الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران — كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية — تخصص: تاريخ وحضارة إسلامية

أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي

914هـ/1508م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية

إعداد الطالب: بوحلوفة محمد أمين

إشراف الدكتور: بوركبة محمد

أعضاء لجنة المناقشة: 2015/02/17

الاسم و اللقب	الصفة	الجامعة الاصلية
أ.د/بوجمعة جهيدة	رئيسا	جامعة وهران
د.بوركبة محمد	مقررا	جامعة وهران
أ.د/بلهواري فاطمة	عضوا	جامعة وهران
د.حمدي احمد	عضوا	جامعة وهران

السنة الجامعية : 1434-1435هـ/2013/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

كلمة شكر و تقدير

و أنا أضع اللمسات الأخيرة لهذا البحث الذي رافقني لمدة تقارب السنتين لا يسعني إلا أن أتقدم بالحمد والشكر الجزيل لله على ما لا استطيع عدّه ،كما أنه لمن دواعي الاعتراف بالجميل بعد اتمام هذه المذكرة أن اتوجه بجزيل الشكر و عظيم التقدير و خالص الامتنان الى استاذي الفاضل الدكتور محمد بوركبة لقبوله الاشراف على هذه المذكرة ، ولما افادني به من نصائح سديدة و توجيهات رشيدة و صبره معي إلى آخر المطاف ، كما أشكر كل أساتذتي الذين أشرفوا على تكويني خلال مساري الدراسي كله و أخص بالذكر منهم: الأستاذ عبد المجيد بن نعمية و الأستاذ محمد بن معمر و الاستاذ الحمدي احمد ، و إلى من ساعدني على إنجاز و إتمام هذه المذكرة ، و منهم عمال مكتبة كلية العلوم الإنسانية و المكتبة المركزية بجامعة وهران ، كما لا يفوتني أن أشكر أمينة مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة و عمالها الذين ساعدوني كثيرا ، و مسؤول مكتبة جامعة الجزائر 01 يوسف بن خدة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل و الخالص لأعضاء اللجنة المناقشة على المجهودات الطيبة التي بذلوها لقراءة الرسالة و على النصائح السديدة التي أفادونا بها .

إليكم جميعا بارك الله فيكم .

إهــــــــــداء

-إلى الذي قال الله فيهما "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " أبي و أمي

-إلى روح جدتي الطاهرة

-إلى إخوتي و أخواتي الأشقاء

-إلى كل الزملاء و الأصدقاء(سفيان، اسماعيل ،ابراهيم ،هواري ،محمد ..... وغيرهم)

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .

-محمد الأمين –

مقدمة

الحمـد لله رب العـالمين و بـه نسـتعين و لا حـول ولا قـوة الا بـالله العلـي العظـيم ، اللهـم صـلي و سـلم علـى الرحمـة المهـداة للعـالمين سـيدنا محمـد الصـادق الوعـد الامـين ، و علـى صـحابته الصادقين الداعين لنصرة هذا الدين .

أما بعد :

يعتـبر فقـه النـوازل مـن بـين أهـم الفـروع الفقهيـة في الشـريعة، إذ يظهـر ذلـك في المسـتجدات الـتي تقـع في حيـاة المسـلم سـواء كـان ذلـك في الناحيـة الاجتماعيـة أو الدينيـة و حـتى الاقتصـادية ، و لـذلك اهـتم بـه جـل العلمـاء و الفقهـاء خاصـة في بـلاد المغـرب الإسـلامي ، إذ عـرف علـم النـوازل تطـورا كبـيرا حـتى ألـف فيـه العديـد مـن التصـانيف، لكـن مـع حلـول القـرن التاسـع عشـر ظهـر أن النـوازل لم تقتصـر فائـدتها كونهـا تعـالج موضـوعا فقهيـا أثـاره المسـلم أو الواقـع في فـترة مـا ، لكنـه تعـدى لتصـبح النازلـة شـاهد علـى ممارسـات معينـة تخـرج عـن نطـاق الحـلال و الحـرام لتتعـدى إلى إظهـار حالـة مجتمـع إسـلامي بمختلـف إيجابيـات و سـلبياته ، وقـد كانـت المدرسـة الغربيـة سـباقة في الاعتمـاد علـى النـوازل الفقهيـة كمصـدر تـاريخي وهـذا بسـبب اعتمـادهم علـى الكتـب الدينيـة المسـيحية لمعرفـة تـاريخهم في العصـور الوسـطى و التعمـق فيـه ، لكـن أخـذت النازلـة أو النـوازل مكانتها ضمن الشواهد التاريخية الحية و التي تخلو من التلفيق إذا قارناها مع الرواية.

لا نشـك أن أضـخم مدونـة في النـوازل الفقهيـة و الـتي جمعـت مـا قبلهـا و بعـدها هـي نـوازل الونشريسـي أو كتـاب "المعيـار المعـرب و الجـامع المغـرب عـن فتـاوى أهـل افريقيـة و الانـدلس و المغـرب "و الـذي عـدّ مصـدرا مهمـا في الفقـه النـوازلي و مصـدرا أيضـا في التـاريخ، ومـن خلالـه اكتشـف البـاحثون و المؤرخـون جوانـب كثـيرة و متعـددة مـن التـاريخ المحلـي و الوضـع آنـذاك داخـل بنيـة مجتمعيـة أقـل مـا يقـال عنهـا أنهـا كانـت في مرحلـة الضـعف و الانهيـار ، ومصـدرنا هـذا اسـتطعنا من خلاله أن نتناول فئة داخل المجتمع المغاربي في إقليم ما يصطلح على تسميته بالمغرب الأوسط

و الـذي عـرف حراكـا سياسـيا آنـذاك و دينيـا و اجتماعيـا ممـا جعلـه يـؤثر في الأقـاليم المجـاورة لـه ، فكـان أهـل الذمـة باعتبـارهم فئـة داخـل مجتمـع مسـلم تكتسـي أهميـة لكـي يصـلنا عنهـا مجموعـة مـن النـوازل في مختلـف المجـالات الحياتيـة ، لهـذا اخترنـا عنوانـا كـان "أهـل الذمـة في المغـرب الأوسـط مـن خـلال نـوازل الونشريسـي" لنكشـف للطلبـة و البـاحثين أهـم الجوانـب في حيـاة هـذه الفئـة الـتي كفـل الشـرع لهـا حقوقهـا ، و يعتـبر أهـل الذمـة احـدى الفئـات المكونـة لمجتمـع المغـرب الأوسـط ،وقـد حفظـت لنـا النـوازل مجموعـة مـن النصـوص الدينيـة تبـين لنـا مختلـف منـاحي حيـاتهم داخـل مجتمـع اسـلامي ومـن خـلال هـذا يمكـن أن نؤسـس للإشـكالية التاليـة: كيـف تناولـت نـوازل الونشريسـي أهـل الذمـة في المغـرب الأوسـط؟ و أيـن ظهـر دور هـذه الفئـة داخـل المجتمـع المسـلم و في مختلـف مجـالات الحيـاة؟ وهـل يمكـن اعتبـار أن المدونـة النوازليـة حفظـت لنـا جـل القضـايا الخاصـة بهـذه الفئـة ؟ و أيـن ظهـر التسـامح الـديني الـذي يـدعو لـه الشـرع داخـل مجتمـع المغـرب الأوسـط مـن خـلال النـوازل ؟ و إلى أي مـدى تجلـى ذلـك؟ ثم هـل تعتـبر نـوازل الونشريسـي كافيـة لمعرفـة كـل الجوانـب المعيشية لهذه الفئة ؟ كل هذا سنحاول الإجابة عنه في فصول هذا البحث .

لقـد دفعتنـا عـدة أسـباب لاختيـار الموضـوع فمنهـا مـا هـو ذاتي و الآخـر موضـوعي ، و يمكـن أن نجملها في النقاط التالية :

أولا : هـو غيـاب الممارسـة الفعليـة لفقـه أهـل الذمـة داخـل المجتمعـات المعاصـرة الإسـلامية ، حيـث أصـبح الـذمي فاقـدا للمشـروعية الدينيـة الـتي تخولـه العـيش بسـلام في المجتمـع المسـلم ، و التعصـب الـديني و المتطـرف ضـد الآخـر في كـل مجـالات الحيـاة ،هـذا مـا خلـق نظـرة سـلبية اتجـاه الإسلام كدين يدعوا في حقيقته للتعايش مع الآخر بمختلف تنوعاته الدينية و العقدية .

ثانيـا : تبيـان التركيبـة المجتمعيـة للمغـرب الأوسـط في عصـور متلاحقـة ،ممـا يعطينـا نظـرة داخليـة للحياة الدينية و الاقتصادية و الاجتماعية .

ثالثا: الاستفادة من أساليب المعاملة التي حضي بها أهل الذمة في المغرب الأوسط في واقعنا اليوم خاصة في ظل غياب روح التسامح في مجتمعاتنا الإسلامية .

رابعا : نقص الدراسات في مواضيع تتناول أهل الذمة في المجتمعات الإسلامية على مر فترات العصور ، جعلني أبحث في واقعهم المعاش من خلال النوازل الفقهية .

يعتبر فقه النوازل من بين أهم الفروع في الفقه الإسلامي ، حيث ركزت مختلف المدارس الإسلامية عليه لبيان و إجلاء أحكام الحرام و الحلال من خلال النازلة ، في حين نجد أن هذا النوع من الفن لم تكن له أهمية تذكر في فن التاريخ سوى بعد أن استعان به بعض المؤرخين في تحليل و معرفة واقع المجتمعات المسلمة من خلال نوازل فقهية حفظت بعض الممارسات الدينية و أثبتت جوانب كانت مخفية في دفات كتب الفقه ، فأهمية الموضوع تكمن في كونه يكشف عن مرحلة زمنية عاش فيها أهل الذمة داخل مجتمع المغرب الأوسط و كانت النوازل هي من أمدتنا بواقعهم في أصح شكل وصلنا ، إضافة إلى ذلك إعادة لقراءة تاريخ المجتمعات من نواحي عدة تجعل الباحث يعيد كتابة جزء من التاريخ الاجتماعي للمغرب الأوسط في ظل التداخل الكبير الحاصل في كتابة تاريخ منطقتنا ، أما الهدف الحقيقي من البحث هو محاولة إبراز واقع أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل فقهية متعددة ، و محاولة إعادة كتابة مرحلة مهمة من تاريخ منطقتنا كونها اتسمت بمراحل زمنية في التاريخ جعلت منها تتوسط الاحداث السياسية وحتى الاقتصادية و الدينية التي تميز المغرب الإسلامي ، و يمكن أن نعدد ثلاث فوائد علمية من هذا البحث و نختصرها كالآتي :

أولا : المســاهمة في بلــورت وتركيــب التــاريخ الاجتمــاعي للمغــرب الأوســط علــى حقــب تاريخيــة متسلسلة، ما يجعل فهم الواقع الاجتماعي المعاش حاليا في الجزائر مفهوم انطلاقا من الماضي .

ثانيــا : بيــان مكانــة فئــات أهــل الكتــاب في المجتمــع الإســلامي و دروهــم الحضــاري في المنطقــة ، و الخروج بحقائق تاريخية تفيد الباحثين عن واقعهم .

ثالثـا : الخـروج باسـتنتاج مفـاده أن أهـل الذمـة كـان لهـم الحضـور القـوي في النسـيج الاجتمـاعي في المغـرب الأوسـط و لا يمكـن تجـاهلهم خاصـة بسـبب حفـظ الشـريعة الإسـلامية لحقـوقهم ، و لـو عـدنا لمجمـل الدراسـات السـابقة لقلنـا أن موضـوع أهـل الذمـة في شـقه الفقهـي كـان متنـاولا بشـكل كثـير ، حيــث ركــزت الدراســات و الأبحــاث علــى الجانــب الشــرعي لهــذه الفئــة ســواء مــن ناحيــة الأحكـام أو الواجبـات الـتي تحكـم وجـودهم في المجتمـع ،أمـا الدراسـات السـابقة مـن الناحيـة التاريخيـة فكانــت قليلــة حســب علمــي خاصــة في المغــرب الإســلامي، مقارنــة بدراســات و أبحــاث كثــيرة في المشـرق الإسـلامي ، و لعـل أهـم الدراسـات الـتي تناولـت موضـوع أهـل الذمـة في المغـرب الإسـلامي أطروحـــة ماجســـتير بعنـــوان "واقـــع الأقليـــات الدينيـــة في المغـــرب الإســـلامي مـــن خـــلال نـــوازل الونشريســـي" لســعيداني لخضــر حيــث إســتعرض الأخــير فيهــا واقعهــم في مختلــف أقــاليم المغــرب الإسـلامي ، رغـم أن الدراسـة تاريخيـة إلا أننـا لا نلحـظ قيمتهـا التاريخيـة كـون الباحـث لم يوفـق في أن يوظــف النــوازل في اســتخلاص الجانــب التــاريخي للمنطقــة بــل قــام بجمــع النــوازل و تقســيمها، فتنـاول في الفصـل الأول تعريفـا للنـوازل و اهـل الذمـة و الأقليـات ، امـا في الفصـل الثـاني فتطـرق الى واقعهــم الاجتمــاعي و الاقتصــادي و اكتفــى بتعليقــات خفيفــة عليهــا لا تعكــس اســتنباط الواقــع التــاريخي لأهــل الذمــة منهــا ،و في الفصــل الثالــث فتنــاول المســائل المتعلقــة بالجانــب الــديني ، وهنــا نلحـظ انـه لم يعطـي لنازلـة يهـود تـوات حقهـا كونهـا شـكلت محـورا كبـيرا لحضـور اهـل الذمـة مـن الجانب الديني ، و أدرج ايضا فتوى الونشريسي المتعلقة بالهجرة من بلاد الكفر و التي كانت

بخصوص الأندلسيين اضافة لقضايا الأسرى و المدجنين ، أما مسعود كواتي فقد كانت دراسته حول صنف اليهود من أهل الذمة و لكن في العصر الحديث و في الجزائر خاصة ، إضافة إلى دراسة زينب عبد الله حول أهل الذمة في العهد الحفصي ، وقد تطرقت الدراسة إلى مختلف جوانب الحياة لكن بعيدا عن النوازل إلا نادرا ، و موضوع أهل الذمة من خلال النوازل يكاد يكون تطبع عليه نوع من العصرنة إن صح القول، فالواقع الآن أصبح يلح على الباحثين لدراسة هذا الموضوع لما يكتسيه من أهمية بالغة.

لكل دراسة أو بحث مصادره و مراجعه الخاصة ، فبحثنا هذا جعلنا نعتمد على مجموعة من المصادر التي خدمت البحث، أولها كاتب "المعيار" للونشريسي و الذي أحصينا منه كل نوازل أهل الذمة و كتاب اليهود في الجزائر لمسعود كواتي ، و اليهود في إسبانيا المسلمة لريموند شايدلين و أهل الذمة في الدولة الحفصية لزينب عبد الله ، إضافة إلى ذلك كتاب الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي لأحمد الحمدي مع مصادر أخرى ، أما المراجع منها واقع أهل الذمة في المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي للخضر سعيداني ،و واقع الأقليات في المغرب الإسلامي لنور الدين طوابة و يهود الجزائر هؤلاء المجهولون لفوزي سعد الله إضافة لمراجع أخرى خدمت البحث ، وتماشيا وطبيعة الموضوع و الجوانب التي تم تناولها من خلاله جاء منهج البحث استقرائيا تحليليا ، تمثل في جمع المادة العلمية من مختلف المصادر و المراجع سواء على مستوى الفقه الإسلامي أو التاريخي الاجتماعي ، ثم تحليل و استنباط الاحكام من المادة العلمية التي تم جمعها وفق منهج تحليلي .

لقد اتبعت في موضوعي هذا منهجية بدأتها بمقدمة ضمنتها تعريفا بالموضوع و طرحا للإشكالية و سردا لأسباب اختيار الموضوع و الهدف منه و اهميته ، و الدراسات السابقة في الموضوع و اهم المصادر، و المراجع المعتمدة في انجاز البحث ، كما عملت على تحديد اطار

مفاهيمي لكل من أهل الذمة و تعريف هذه الفئة من الناحية اللغوية او الفقهية و أقوال الفقهاء في مشروعية اهل الذمة و أصنافهم ، و فقه النوازل عند المالكية و مراحل تطوره اضافة الى تعريف منطقة المغرب الأوسط و تبيان حدوده لتسهيل الامر على الباحث و الطالب لفهم الموضوع ، و كذلك لم أنسى التعريف ببعض المصطلحات التي تحتاج الى تعريف خاصة الفقهية منها ، إضافة الى الترجمة للأعلام و الذين جاءت النوازل على ألسنتهم و تركت المشهور منهم ، مع تعريف الاماكن و المناطق الغير معروفة ، وأيضا قمت على تخريج الاحاديث النبوية الشريفة بذكر راوي الحديث و الباب الذي روي فيه و الكتاب و الجزء و الرقم و الصفحة ، و تحريت النازلة الفقهية التي جاءت في المعيار من مصادر فقهية أخرى فكنت أرجع مثلا لنوازل المازوني و البرزلي و ابن الحاج كي أتأكد من وجودها في المصدر الأم ، إضافة إلى التقيد بالموضوعية غير منحاز الى راي خاصة بما تعلق في قضية يهود توات ، فسردت الآراء و الأقوال و قارنت بينها .

أما المنهج التسلسلي للعناوين و البحث فكنت اذكر الفصل ،ثم المبحث ،ثم عنوان و ترقيمه، وفي بعض الأحيان تطول الفكرة في المبحث فأضطر إلى استعمال الحروف بدل الأرقام، و في الخاتمة ختمت موضوعي بكتابة خاتمة ضمنتها أهم النتائج التي خرجت بها من البحث ، و عنيت في نهاية البحث بوضع فهارس جعلتها للدلالة على ما تم تناوله في البحث فجاءت في ثلاث فهارس: فهرس الآيات القرآنية مع الأحاديث النبوية و فهرس المصادر و المراجع و فهرس الموضوعات . استطعت في هذا البحث أن أعتمد على خطة قصدت من خلالها طرح المادة العلمية وفق تسلسي منطقي تاريخي، نراعي فيه المنهجية العلمية و الأحداث التاريخية، حيث قسمت البحث إلى ثلاث فصول، الفصل الأول جاء بعنوان مفهوم أهل الذمة و فقه النوازل و المغرب الاوسط ، فقد جزءت عنوان البحث فأخذت كل كلمة فيه بالشرح الدقيق فالمبحث الأول عرفت فيه أهل الذمة سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية و مشروعية الذمة

مـن وجهـة الفقـه ، أمـا في المبحـث الثـاني فتطرقـت إلى النـوازل و أهميتهـا التاريخيـة فعرفـت النـوازل و مراحـل تـدوينها في المغـرب الإسـلامي و أهمهـا في المـذهب المـالكي ،أمـا المبحـث الثالـث الـذي ختمت بـه الفصـل فتطرقـت فيـه إلى الإقليم المكـاني الـذي يشـمله البحـث ، فعرفـت المغـرب الأوسـط و حـدوده إضـافة إلى تركيبتـه الاجتماعيـة ، أمـا الفصـل الثـاني فجـاء عنوانـه ،الونشريسـي و مؤلفـه المعيـار و عصـره ، وقسـمناه إلى ثـلاث مباحـث كـان أولهـا التعريـف بالونشريسـي ،مولـده و نشـأته وشـيوخه و مؤلفاتـه، و في المبحـث الثـاني فتطرقـت إلى كتابـه المعيـار ،فعرفنـا بالكتـاب و قيمتـه العلميـة و أهـم مـا جـاء فيـه لنختـم الفصـل بالمبحـث الثالـث الـذي استعرضـنا فيـه عصـر الونشريسـي بمختلـف نواحيـه السياسـية و الاجتماعيـة وحـتى الاقتصـادية ، لننتقـل إلى الفصـل الثالـث و الـذي كـان بعنـوان الحيـاة الاجتماعيـة و الاقتصـادية و الدينيـة لأهـل الذمـة و هـو أكـبر فصـل ، فقسـمته إلى أربـع مباحـث ، تناولـت في كـل مبحـث جانـب مـن جوانـب الحيـاة الاجتماعيـة و الاقتصـادية و الدينيـة ، مـع مبحـث آخـر استعرضـت فيـه الوجـود التـاريخي لفئـة أهـل الذمـة في المغـرب الأوسـط بطوائفهـا الثلاثـة ، اليهـود و النصـارى و أهـل الـديانات الأخـرى ، لنختـم البحـث بـأهم النتـائج المتوصل إليها .

لا شـك ان لكـل بحـث صـعوبات و لعـل مـن اهـم الصـعوبات الـتي واجهتـني في بحثـي هـذا هـو قلـة المصـادر و المراجـع لـتي تتنـاول أهـل الذمـة في المغـرب الاوسـط ، إضـافة إلى صـعوبة اسـتنباط الحـدث التـاريخي مـن النازلـة كونها كانـت في شـكل فقهـي مـا جعلـني أجتهـد في اسـتخراج البعـد التـاريخي منهـا ، إضـافة الى تحديـد مكـان وقـوع النازلـة بمـا يخـدم إقلـيم المغـرب الأوسـط ، حيـث لجئنـا إلى الرجـوع لترجمـة المفـتي في النازلـة لكـي يتبـين لنـا مكـان النازلـة و بـذلك لا نخـرج عـن إقلـيم المغـرب الأوسـط ، و قـراءة النازلـة مـن الوجهـة التاريخيـة و الـذي يعـد صـعبا لكـي نسـتخلص الواقـع بمختلـف جوانبـه الاجتماعية لتلك الفئة ، ولا ننسى البيروقراطية في المكتبات الجامعية واللامبالاة خاصة في

مكتبة كلية خروبة للعلوم الاسلامية بالجزائر العاصمة حيث كلفتني نسخ أربع اوراق مقابلة عميد الكلية شخصيا؟ لكنني لم أظفر بتلك المادة العلمية بالرغم من التعهد الكتابي الذي وقعته للحصول عليها ، و في الأخير استطعت بتوفيق من الله أن أتم هذا البحث و الذي لا يخلو في النهاية من نقائص يمكن تداركها مستقبلا.

الفصل الأول:

مفهوم أهل الذمة ،فقه النوازل، المغرب الأوسط

المبحث الأول: تعريف أهل الذمة

1-لغة

2-اصطلاحا

3-أقسام أهل الذمة

المبحث الثاني: فقه النوازل و أهميته التاريخية

1-تعريف النازلة و الفتوى

2-نوازل المغرب الإسلامي –التدوين و الخصائص –

3-نوازل المالكية و أهميتها التاريخية

المبحث الثالث: المغرب الأوسط –حدوده وعناصره البشرية –

1-مصطلح المغرب الأوسط

2-حدود المغرب الاوسط

3-عناصره البشرية

تتناول دراستنا أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، وهذا لمعرفة أحوال هذا الفئة داخل مجتمع المغرب الأوسط ، فلا يمكننا التطرق لهذا الفئة الا بعد تحديد اطار مفاهيمي لكل من أهل الذمة و احكامهم الفقهية في الشريعة الإسلامية و عرض تطور فقه النوازل لما له من اهمية في التاريخ ، اضافة الى رسم المجال الجغرافي لمنطقة المغرب الاوسط الذي عرف واقع هذه الفئة و تكوينها السكاني ، و بذلك اعطاء نظرة عامة عبارة عن مدخل للدراسة

المبحث الأول : تعريف أهل الذمة

سنتناول في هذا المبحث تعريف أهل الذمة من الناحية اللغوية و الاصطلاحية الفقهية ، وهذا بعرض بعض أقوال الفقهاء من المذاهب الأربعة ، إضافة إلى عرض أقسام اهل الذمة اعتمادا على النصوص القرآنية و النبوية الشريفة ، حتى نتمكن من تكوين صورة شاملة و دقيقة حول أهل الذمة ، ما يمكّننا من ولوج البحث.

المبحث الأول : تعريف أهل الذمة

إن التطرق لمفهوم أهل الذمة في الشريعة الإسلامية ، يستوجب علينا إعطاء تعريف للذمة سواء من الناحية اللغوية أو الفقهية ، فما المقصود إذن بالذمة عند اللغويين و الفقهاء؟

أ/ **الذمة** : أعطى أهل اللغة أهمية كبيرة لهذا اللفظ من حيث التعريف وهذا لما ينبني عليه من عدة أحكام.

1/لغة: لفظ مشترك يطلق على عدة معاني :- الكفالة و العهد و الذمة العهد و الكفالة و جمعها ذمام[1] العقد و الحق :فلان له ذمة أي حق ... الذمة أهل العقد [2]

الأمان، قال أبو عبيد : الأمان في قوله صلى الله عليه وسلم " ويسعى بذمتهم أدناهم "[3] و لهذا سمي المعاهد ذميا لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التي تؤخذ منه[4] من خلال هاته الألفاظ يمكننا أخذ اللفظ المشترك وهو "العهد" و الذي يعتبر قريبا من المعنى الاصطلاحي الذي سنحاول تعريفه .

2/اصطلاحا: نجد ماهيته قد اختلفت في المذاهب لعدة أقوال نذكر منها ما قاله المالكية :

1/**المالكية** : وردت تعريفات عدة للذمة في المذهب المالكي منها "هو التزام تقرير غير المسلمين في دارنا وحمايتهم و الذب عنهم بشرط بذل الجزية و الاستسلام منهم" [5]

---

[1] محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ،دار المعارف ، القاهرة ، مصر، 1423هـ/ 2003 م ، ج 03 ، ص1517

[2] المصدر نفسه ، ج03،ص 1517

[3] رواه احمد ،صحيح ،رقم 4530، أحمد بن حنبل ،المسند ، دار الحديث القاهرة ،تحقيق أحمد شاكر ، 1419هـ /1998 ، ط1،ص253 ، أنظر / محمد شمس الحق آبادي ،عون المعبود شرح ابي داود،كتاب الجهاد باب في السرية ترد على اهل العسكر، رقم 2751، دار الفكر ،بيروت ، لبنان، 1424هـ/2002م،ط01،ص 338

[4] ابن منظور ،لسان العرب ، مصدر سبق ذكره ، ج03 ،ص1517

[5] محمد بن عبد الله الخرشي ،حاشية الخرشي ،ضبطه و خرج آياته و أحاديثه زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان 1417هـ/1997، ط1،ج4، ص76

من خلال هذا التعريف نجد أن الذمة هي عقد يتم بين المسلمين ، وغيرهم ممن يعيشون في بلاد المسلمين لقاء دفعهم الجزية ، ودخول تحت سلطة الدولة ، مقابل الحماية .

" وما لزم الكافر من مال، لامنه باستقرار تحت حكم الإسلام ،وصونه" [1]

" عقد الجزية إذن الإمام، ومعنى أن الجزية هي إذن الإمام –للكافر- ذكر ، و لو قرشيا على المشهور في سكنى موضع مخصوص ، و العاقد الإمام لا غير " [2] .

وعرفه إبن جزي : "كافر حر بالغ ذكر قادر على أداء الجزية ، يجوز إقراره على دينه ، ليس بمجنون مغلوب على عقله ، و لا بمترهب منقطع في ديره" [3] .

في هذا التعريف يشرح لنا إبن جزي الذمي في حد ذاته لا عن الذمة نفسها و قد أعطى شروط فيمن تجب عليه الجزية و من يعفى منها .

3/ **الشافعية**: الغزالي بقوله :" هو كل كتابي عاقل بالغ حر ذكر متأهب للقتال قادر على أداء الجزية" [4] لقد اتبع الغزالي ما نحى إليه ابن جزي في تعريفه للذمي لا الذمة .

[1] المصدر نفسه ، ص 76

[2] محمد بن عبد الله الخرشي ،حاشية الخرشي ، المصدر السابق ، ص 76

[3] أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ،القوانين الفقهية ، تحقيق محمد سيدي مولاي ،دار النفائس، بيروت ،لبنان، 1425هـ/2005م، ط01،ص 274

[4] أبو محمد بن محمد الغزالي ،الوجيز في فقه الإمام الشافعي ، ضبطه و نقحه و صححه خالد العطار ، دار الأرقم بن الأرقم ،بيروت ،لبنان، ط01، 1418هـ/1997م، ج02، ص 197

" إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية[1] و التزام أحكام الملة" [2]

"صورة عقدها : أقركم بدار الإسلام ،أو أذنت في إقامتكم بها على أن تبذلوا جزية و تنقادوا لحكم الإسلام ، و الأصح اشتراط ذكر قدرها ، لا كف اللسان عن الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم و دينه ، ولا يصح العقد مؤقتا على المذهب ، ويشترط لفظ قبول " [3]

و الذي يظهر من كل هاته التعريفات أن منها ما عرف الجزية ، ومنها من تناول الذمة من حيث بيان شروطها، ومنهم من تكلم عن الذمي ، و الشروط التي لابد من توفرها فيه.

بجمعنا لكل ما ورد في التعريفات السابقة فإننا نختار التعريف التالي: " العقد الذي يتم بين الدولة المسلمة و غير المسلمين، يكتسب بموجبه هؤلاء حق الإقامة الدائمة في دار الإسلام، ويتولى المسلمون حمايتهم ، و الدفاع عنهم مقابل ضريبة شخصية تسمى الجزية " [4] .

بعد تعريفنا تعريفنا للذمة **لغة** و **إصطلاحا** ، نتطرق إلى أدلة مشروعيتها ، إذن ما هي هاته الأدلة؟

ب/أدلة مشروعية عقد الذمة:

1/ **القرآن** : قوله تعالى"...حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ « الآية 29 التوبة

---

[1] موفق الدين ابن قدامة ، المغني ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي و عبد الفتاح محمد الحلو ،دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1997م، ط03، ج13،ص 207و 208 و209

[2] منصور بن يونس البهوتي ،كشف القناع على متن الإقناع ، مراجعة هلال مصيلحي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، 1982م ،ج3، ص 116 و 117

[3] محي الدين بن أبي زكرياء النووي الدمشقي، منهاج الطالبين ، تحقيق وتعليق أحمد بن عبد العزيز الحداد ،دار البشائر الإسلامية ،بيروت ،لبنان ،1421هـ/2000م،ط1،ص208

[4] دندل جبر ،الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي ،دار عمار، بيروت ،لبنان ، 1422هـ/2002م ،ط1،ص104

- إن هاته الآية قطعية الدلالة في مشروعية الجزية حيث يقول القرطبي " يقتضي ذلك وجوبها ،ويدل على أنها ليست على العبد و ان كان مقاتلا ،لأنه لا مال له ،وهذا اجماع العلماء على ان الجزية انما توضع على جماجم الرجال الاحرار البالغين من دون النساء و الذرية و العبيد و المجانين و الشيخ الفاني و الرهبان ، و هو معنى عقد الذمة" [1]

- قال تعالى "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ......" الآية 112 آل عمران

قال ابن كثير: قوله تعالى " إلا بحبل من الله" أي: " بذمة من الله ، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم " [2]

2/ **السنة:** وهذا من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم و قوله :

-أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب" [3]

---

[1] ابو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مكتبة الصفا القاهرة، مصر ،1425هـ/2005م،ط01،ج8، ص83

[2] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ، تفسير إبن كثير،تعليق محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1998م، ط01، ج2،ص90

[3] أخرجه مالك ،كتاب الزكاة ،باب جزية أهل الكتاب و المجوس ، مالك ابن أنس، الموطأ، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث، بيرت ،لبنان، 1406هـ/1985م، ج01،ص287،صحيح /أنظر : البيهقي، السنن الكبرى: باب المجوس أهل الكتاب و الجزية ، رقم 17155 ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، 2002، ج09، ص 189

-أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أكيدر[1] دومة فأخذ فأتوه به فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية[2].

-شهد عبد الرحمن بن عوف أنه أخذها من مجوس هجر [3].

-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى إقليم البحرين* يأتي بجزيتها[4] .

لما نزلت آية الجزية أخذها من المجوس ، وأخذها من أهل الكتاب " النصارى" ، وبعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن فعقد لمن لم يسلم من يهودها الذمة، وعقد لهم الجزية[5] .

لقد دلت هاته النصوص النبوية و الآثار الصحيحة أن أخذ الجزية و عقد الذمة جائز مشروع لا شبهة فيه. بعد التفصيل في الذمة و مشروعية الجزية ، يمكننا القول أن الكتاب و السنة و أقوال الصحابة جاءت كلها تثبت أن الجزية واجبة و مشروعة ، ومن خلال هذا يستوجب علينا التفصيل في أقسام أهل الذمة ،فماهي أقسامهم ؟

---

[1] أكَيدر : بن عبد الملك ملك دومة الجندل ،كان شجاعا مولعا بالصيد صالحه النبي ص سنة9هـ بعدما أسره خالد بن الوليد ،ونقض عهده بعد وفاة النبي ص فقتله خالد في خلافة الصديق رضي الله عنه سنة 12هـ أنظر/ أبو حجر العسقلاني ،الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عبد المحسن التركي ،مركز هجر للبحوث و الدراسات الإسلامية، القاهرة،1429هـ/2008م،ج1 ص 217و ص 456 .

[2] رواه أبو داود ،رقم 3037،حسنه الألباني ، ناصر الدين الألباني، صحيح و ضعيف سنن أبي داود : مكتبة المعارف ،الرياض ،العربية السعودية، 1419هـ/ 1998م، ص 465

[3] رواه البخاري ،رقم 2987 ،كتاب الجزية و الموادعة ،باب الجزية و الموادعة مع أهل الحرب ،أبوحجر العسقلاني،فتح الباري في شرح صحيح البخاري،دار الريان للتراث، مصر ، 1407هـ/1986م، ج10،ص297وص298و ص299

[4] رواه البخاري ،رقم2988، المصدر نفسه ،ص303

[5] شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، زاد الميعاد في هدي خير العباد ، حقق نصوصه و خرج أحاديثه ،شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة ،بيروت،لبنان ،1425هـ/2005م، ط4 ،ج3،ص137

* إقليم البحرين يقع في شرق شبه الجزيرة العربية و امتد من البصرة شمالا إلى عمان جنوباً على طول ساحل الخليج العربي، وكانت هجر عاصمة هذا الإقليم، أنظر/ أقاليم الجزيرة العربية، موسوعة ويكيبيديا ، wikipedia.org

ج/أقسام أهل الذمة:

لقد سبق و أن تناولنا مفهوم الذمة ، ولعل كل مذهب فقهي فصل في التعريف الذي حدد من هم أهل الذمة أو بعبارة أخرى هل أهل الذمة أقسام؟ أو هل كل من لايعتنق الإسلام و يعيش داخل الدولة المسلمة يعتبر من أهل الذمة؟ كل هذا سنحاول الإجابة عنه آتيا :

- الذميون :

لغة : يطلق عليهم الذميون، ومفردها "ذميّ" : أي رجل له عهد وأمان [1] .

أما **اصطلاحا** فقد عرفها العلامة يوسف القرضاوي "أنهم الراغبون في الانضواء تحت حكم الدولة المسلمة، والإقامة الدائمة على أراضيها[2] .

- أقسامهم:

1/اليهود و **النصارى** : وهم أهل الكتاب ومشروعية ذلك أخذ النبي صلى الله عليه وسلم منهم الجزية لقوله تعالى" .... مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " الآية29 التوبة.

ومن السنة أخذ النبي الجزية من نصارى نجران و من يهود خيبر [3].

أما من الإجماع فقد أجمع الفقهاء على أن أهل الكتاب تؤخذ منهم الجزية [4].

---

[1] إبن منظور ،لسان العرب ،مصدر سابق ، ج03،ص 1517،أنظر/ أبي بكر بن عبد القادر الرازي ،مختار الصحاح،مكتبة لبنان،بيروت ، 1986م، ص 94

[2] يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ،مكتبة وهبة ، القاهرة، 1425هـ/2005م، ط4، ص 7

[3] سبق تخريجه في ، ص 5

[4] إبن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة، مصدر سابق ، ج1،ص79 ، أنظر /علاء الدين الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،تحقيق علي معوض وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 1424هـ/2003م، ط02، ج09،ص 433 و حاشية الخرشي، مصدر سابق، ج 4، ص76 و محمد بن إدريس الشافعي، الأم ،تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب،دار الوفاء للطباعة و النشر،المنصورة ،مصر، 1422هـ/2001م، ط01، ج05، ص404وص405وص406

2/ **المجوس**: هم عبدة النار ،وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ منهم الجزية من إقليم البحرين[1] وقوله صلى الله عليه وسلم" سنوا بهم سنة أهل الكتاب"[2] . وقد أجمع الفقهاء على تؤخذ منهم الجزية [3] .

3/**المشركون** : ويقصد بهم عبدة الأوثان ، ويلحق بهم في حكم عقد الذمة غيرهم من أهل الكتاب

تنبيه: اختلف أهل العلم حول جواز عقد الذمة للمشركين على أقوال ،لكن مذهب الإمام مالك[4] ، و الأوزاعي و الثوري والحنابلة و الصنعاني[5] رأوا جواز ذلك بدليل من الكتاب و السنة و القياس:

1- **الكتاب**: قوله تعالى". لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..." البقرة آية 256، فالآية تبين لنا حكما وهو عدم إكراه غير المسلمين في الدخول للإسلام فهو دين حجة و إقناع لا إكراه ، وقمع ، أما من السنة ما رواه الصحابي بريدة رضي الله عنه لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية .

2 -**السنة**:

-عن بريدة بن الحصيب[6] رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرا على سرية أو جيش...قال له" و إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ،أو خلال ....فإن هم

---

1 سبق تخريجه ،ص5

2 سبق تخريجه، ص5

3 الكاساني ،بدائع الصنائع ،مصدر سبق ذكره ،ج09،ص 434/أنظر شمس الدين السرخسي،المبسوط ،دار المعرفة،لبنان،1409ه/1989م ، ج10،ص07

4 مالك بن أنس، المدونة الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1415ه/1994م،ط01،ج 01،ص529

5 محمد بن اسماعيل الصنعاني، سبل السلام في شرح بلوغ المرام ، ، تعليق ناصر الدين الألباني ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض ،العربية السعودية ، 1427ه/2006م،ط01 ،ج04،ص259

6 بريدة بن الحصيب بن عبد الحارث الأسلمي :أبو عبد الله أسلم قبل بدر ولم يشهدها ،وشهد الحديبية فكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مات سنة63ه /أنظر،العسقلاني ،الإصابة ،مصدر سابق، ج01،ص533و ص534وابن عبد الله بن عبد البر القرطبي، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ،صححه عادل مرشد ، دار الأعلام ، عمان، الأردن ، 1423ه/2006م ،ط01،ص94

أبوا فسلهم الجزية...."[1] ووجه الدلالة في عموم قوله "عدوك من المشركين" فهذا تعميم لكل المشركين سواء كان عربي أو أعجمي.

3 **القياس** : يعتبر المجوس أشد كفرا من مشركي العرب فكان أخذ الجزية منهم أولى "بل أهل الأوثان أقرب حالا من عبدة النار فإذا أخذت منهم الجزية، فأخذها من عبدة الأصنام أولى "[2] .

بعد أن تناولنا تعريف للذمة و أهل الذمة و أقسامهم وعلى من تجب الجزية ، يمكننا القول أن الشريعة لم تهمل الأقلية الغير مسلمة داخل حدودها إذ كفلت لها حق العيش مع واجبات تؤديها تجاه الدولة مع احتفاظ هاته الأقلية بدينها ، وما يمكننا أن ننوه إليه أن مصطلح أهل الذمة في عصرنا قد أخذ عدة تسميات كالأقلية الدينية ومع ذلك قد تتداخل بعض المصطلحات كالاستئمان و المعاهد ،وكل وله تعريفه ويمكننا أن نتطرق له في عجالة .

المستأمن: هو الكافر الذي دخل دار المسلمين بأمان منهم [3] ، وهو أيضا عهد يعطى للكافر الحربي قبل القتال ،أو أثناءه بمدة معلومة يبقى بمقتضاه تحت حكم الإسلام ،حرا معصوم الدم و المال لا يتعرض إليه أحد[4] إذن يمكننا تعريف **المستأمن** أنه الغير مسلم و غير الذمي، طلب الدخول

---

[1] رواه مسلم ،كتاب الجهاد و السير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم 1731، أبو زكريا النووي، شرح النووي على مسلم ،دار الخير ،القاهرة، توزيع دار السلام، 1416هـ/1996م، ط01، ص399

[2] تقي الدين ابن السبكي ،حاشية العطار على جمع الجوامع، ،تعليق محمدمحمد تامر ، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،1431هـ/2009م، ج04،ص456

[3] إبن الجوزية ، أحكام أهل الذمة، مصدر سابق ، ج01،ص388

[4] الصادق بن عبد الرحمن الغرياني ،مدونة الفقه المالكي و أدلته، ،مؤسسة الريان ،لبنان، بيروت ، 1423هـ/2002م، ،ط1 ،ج02، ص445وص446

إلى أرض الإسلام بعقد أمان يعصم به نفسه ويكون هذا العقد مؤقتا ، و إضافة لذلك يوجد مصطلح أخر وهو **المعاهد** و الذي يكون أقرب للذمي إذ هو الذي عاهده المسلمون عهدا و موثقا بأن لا يتعرضوا له ، أي من أخذ من المسلمين عهدا و موثقا بالأمان"[1] وبخلاف هذا يوجد العهد الذي يعقده المسلمون ، وأهل الحرب على ترك القتال لمدة معلومة ،ومفهومه هنا هو الصلح المؤقت و يسمى الهدنة و المسالمة و الموادعة [2].

لقد تعددت المصطلحات و المفاهيم التي تسمي الغير مسلمين الذين يعيشون داخل الدولة ، فمن الذمي إلى أهل الذمة إلى المعاهد ، فلكها ألفاظ أريد بها إعطاء الفهم الصحيح لهاته الفئة، و من خلال ما تناولناه في التعريفات السابقة ، استطعنا أن نحصر هاته الفئة في تعريف واضح و دقيق يخدم البحث كونه يتناول نوازلهم في مختلف الحياة ، سواء الاجتماعية أو الدينية و الاقتصادية ، و قد جاءت في شكل نوازل فقهية، في كتاب المعيار للونشريسي ، ومن هذا وجب علينا التطرق لماهية النوازل و تطورها والفرق بينها و بين الفتوى و أهم المراحل التي مرت بها ،خاصة في الفقه المالكي ، و هذا ما سنتناوله بالعرض المفصل في مبحثنا التالي .

---

[1] الخرشي، شرح الخرشي، مصدر سابق ، ص 51وص62

[2] ابن الجوزية ، أحكام أهل الذمة، مصدر سابق ،ج02، ص450

المبحث الثاني: فقه النوازل و أهميته التاريخية

سنتناول في هذا المبحث فقه النوازل لما له من مكانة كبيرة في منظومة التشريع الإسلامي ، اذ فيه تدور مختلف الوقائع و الفتاوى التي تعنى بحياة المسلم سواء من جانب المعاملات او العبادات ، و لهذا كان ولا يزال هذا الفقه متجددا يتطور حسب ظروف الزمان و المكان ، فالفتوى لا زالت تأخذ الحيز الكبير من الدراسات الفقهية المعاصرة ، أما قيمتها التاريخية تجلت كونها وسيلة مهمة تحفظ واقع المجتمعات الإسلامية ، وهذا النوع عرف تطورا كبيرا في مغربنا الإسلامي عبر فترات زمنية تداخل فيها السياسي و الديني ، وسنتطرق لذلك بالشرح و التفصيل له من خلال العناوين التالية:

-تعريف النازلة و الفتوى

-نوازل المغرب الإسلامي التدوين و الخصائص

-نوازل المالكية و اهميتها التاريخية

المبحث الثاني: فقه النوازل و أهميته التاريخية

بعد ظهور علم الفقه على يد الشافعي ، و تعلقه بمسائل الحلال و الحرام و لتعبد الناس بالفروع في حاجاتهم اليومية المستجدة ، تطلب ذلك حكما شرعيا لكل مسألة ، فجعل من الفقه يتطور مع الوقت و إلى تفرعه إلى فنون متعددة كالفرائض و الشروط و السجلات و القضاء و أحكام الشرائع و الفتاوى .

وقد أقبل الكثير من العلماء على إختلاف مذاهبهم على التصنيف في هذا العلم وقد جمع شتات ما صدر عن الفقهاء من فتاوى سموها أحيانا بالأجوبة و تارة بالفتوى و أخرى بالأحكام .

ومنهم من جمع فتاوى غيره ،كما فعل القاضي أبو إسحاق إبراهيم التسولي التازي*-866هـ- الذي جمع أجوبة الشيخ الحسن الصغير قاضي الجماعة بفاس -719هـ- ومنهم من جمع النوازل و الفتاوى الصادرة عن طائفة من الفقهاء كما فعل أبو القاسم البرزلي -844هـ- و كما فعل أبو زكريا يحي المازوني -883هـ- و تبعه أبو العباس أحمد الونشريسي -914هـ- في كتابيهما : الدرر المكنونة و المعيار المعرب ،الذي نحن بصدد دراسته، فجمعا فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب، ليكون "المعيار" أكبر مدونة للنوازل عرفها المذهب المالكي.

1/ النازلة :

أ/لغة: قال ابن منظور "النزول ،الحلول ، وقد نزلهم ونزل عليهم و نزل بهم نزولا و منزلا بالكسر شاذ .

و النازلة الشديدة تنزل بالقوم ،وجمعها نوازل ، وقال في المحكم : و النازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس ....و نزل بهم الأمر :حلّ"[1] .

---

[1] إبن منظور ،لسان العرب ،مصدر سابق ،ج06، ص 1401 /أنظر ، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1341هـ/1923م، ج02،ص436

انشد شاعر:

قد هون الصبر عندي كل نازلة ولين العزم حد المركب الخشن

وعرفت النازلة في "معجم لغة الفقهاء" بأنها "المصيبة ليست بفعل فاعل ، وهي الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي"[1] .

والنوازل بهذا المعنى تشمل الحوادث التي تحتاج لفتوى لمعرفة حكمها ،سواء أكانت هذه الحوادث متكررة أو نادرة الحدوث .

ب/اصطلاحا:

عند استقراء تعاريف العلماء القدامى نجد أن مصطلح النوازل لم يكن شائعا بينهم و لم يقد أحد تعريفا دقيقا يصلح أن يكون حدا لها ،وإنما أعطوا تصورا عاما لا يصدق أن يكون تعريفا لمصطلح النازلة[2] .

لقد عرفها إبن عابدين أنها" الفتاوى و الواقعات ، وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لما سئلوا عن ذلك ،ولم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدمين "[3] ، في حين هنالك من عبر بمصطلح النازلة

---

[1] محمد رواس قلعة جي و حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت ،1408هـ/1988م، ط02،ص361

*أبراهيم ابو اسحاق التازي866هـ ، يرجع أصله إلى قبيلة بني لنت البربرية التي كانت تستوطن منطقة تازا و الذي ولد فيها ،كان حافظا للحديث وفقيها تولى القضاء و له شرح كتاب الرسالة لابي زيد القيرواني ، توفي بوهران وقد نقلت رفاته بعد الاحتلال الاسباني الى قلعة بني راشد ، أنظر/ عبد الله بن الحسن النبهاني، تاريخ قضاة الأندلس، منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ط05،ص136

[2] نور الدين حمادي، فقه النوازل في المدرسة المالكية ، الملتقى الوطني الثاني :جهود الفقهاء الجزائريين في خدمة المذهب المالكي،06و07مارس 2012 ،جامعة الوادي ،الجزائر،ج1،ص 219

[3] محمد أمين بن عمر ابن عابدين ،مجموعة رسائل إبن عابدين، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م،ط01، ج01،ص17

من المتقدمين كالشافعي في الرسالة" فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة ،إلا و في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها "[1] .

من خلال هذا يمكننا القول أن **تعريف النازلة** عند المتقدمين لم يكن واضح، بالشكل الحالي إذ وبعد مرور حقب كثيرة تبلور هذا اللفظ مع المتأخرين و أخذ تعاريف عدة نذكر منها:

-وهبة الزحيلي: " المسائل أو المستجدات الطارئة على المجتمع بسبب توسع الأعمال ، وتعقد المعاملات ، والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر ،أو اجتهاد فقهي سابق ينطبق عليها وصورها متعددة ،ومتجددة ، و مختلفة بين البلدان أو الأقاليم ، لاختلاف العادات و الأعراف المحلية "[2] .

– مبارك جزاء الحربي: "الواقعات و المسائل المستجدة التي تنزل بالعالم الفقيه فيستخرج لها حكما شرعيا "[3] .

– حسن فيلالي: "الواقعة و الحادثة التي تنزل بالشخص سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو السلوك أو الأخلاق ،حيث يلجأ هذا الشخص إلى من يفتيه بحكم شرعي في نازلته "[4].

---

[1] محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،1357هـ/1938م، ط01، ص20

[2] وهبة الزحيلي، سبل الإستفادة من النوازل و الفتاوى و العمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، ، دار المكتبي للطباعة و النشر، دمشق، سوريا، 1421هـ/2001م،ط01،ص09

[3] مبارك جزاء الحربي ،نماذج من جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية ،مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية ،جامعة الكويت ،2006م ،عدد 64 ،ص288وص287

[4] الحسن الزين الفيلالي، النوازل المغربية و دورها في حفظ فتاوى أعلام المذهب المالكي بالقيروان، ملتقى:القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق و المغرب حتى نهاية ق5هـ ، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان ،تونس،1995م، ط01،ص229

من خلال هاته التعاريف نجد ثلاثة أمور :

1/ **الوقوع**: أي الحلول و الحصول، بمعنى أن النوازل لا تطلق على المسائل الإفتراضية المقدرة .

2/ **الحدوث**: أي عدم وقوع المسائل من قبل ،فالنوازل إذن تختص بنوع من الوقائع و هي المسائل الحادثة التي لا عهد للفقهاء بها ،من حيث لم يسبق أن وقعت من قبل.

3/ **الشدة**: أن تستدعي المسألة حكما شرعيا بحيث تكون ملحة من حيث النظر الشرعي .

ومن خلال هاته التعاريف وغيرها يمكن أن نخلص **لتعريف النوازل** على أنها" **المسائل و الحوادث أو القضايا الواقعة إذا كانت مستجدة ،وكانت ملحة** " [1].

أما النوازلي فهو العالم المجتهد الذي يملك قدرا كبيرا من الخبرات و التجارب العلمية الميدانية في مختلف مجالات الحياة [2] .

لقد تعددت التعاريف للنازلة ،سواء من المتقدمين أو المتأخرين وكل أعطى ما يناسبها رغم أنها لم تكن بالشكل الحالي ، وفي المقابل هنالك ألفاظ ذات صلة تشترك معها كالفتاوى و الواقعات .

2/الفتوى : 1/لغة:

قال ابن منظور : فتيا وفتوى : إسمان يوضعان موضع الإفتاء ،و أفتيته في مسألته إذا أجبته عنها و الاسم الفتوى [3]، قوله تعالى" ...وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ " الآية 127 النساء

[1] عبد كريم البناني ،النوازل التطبيقية لفقهاء المالكية بالغرب الإسلامي خلال القرنين 4و5هـ مميزات وخصائص، مجلة الفقه و القانون،المملكة المغربية، عدد4،فبراير2013 م،ص 13

[2] المصدر نفسه ،ص13

[3] إبن منظور ،لسان العرب ، مرجع سابق ،ج05، ص 3348

و الفتيا تبين المشكل من الأحكام ، وتفاتوا إلى فلان :إذا تحاكموا إليه، و لو رجعنا في أصل الكلمة من الناحية اللفظية للفتوى نجد أن أصل اللفظ فتوى لامها في الأصل ياء[1] .

2/اصطلاحا:

هي :"إخبار بحكم شرعي من غير إلزام "[2].

وهي حكم الشرع الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه[3]

و الفتوى تكون أخص من النازلة التي تستدعي الحدوث و الوقوع[4] ، ويمكننا أن نسرد بعض المؤلفات في الفتاوى: كفتاوى ابن رشد* 520ھ و التي تعد من تأليفه الفقهية المعتمدة عند المالكية، و فيها قال القلاوي الشنقيطي :

و اعتمدوا ما ألف ابن رشد و المازري مرشدا للرشد

وتختلف عن كتب الفقه النظرية وهي بداية لظهور ابن رشد خلال عهد ملوك الطوائف والمرابطين ، ففيها اجابات تتصل بحياة الناس اليومية ، إضافة لذلك فتاوى البرزلي 841ھ و فتاوى أبي زيد القيرواني386ھ .

---

[1] ويعضد هذا ما قاله الهلالي: و أصل "الواو" في الفتوى "ياء"كتقوى ، وإن ضم أوله صحيح فيقال "فتيا" ،أنظر الهلالي على مختصر خليل، ص108 .نقلا عن محمد أبو الأجفان ،مقدمة فتاوى الشاطبي ،تونس، مطبعة الإتحاد العام التونسي ،ط1 ،1984 م ،ص 68

[2] محمد بن أحمد ميارة الفاسي، الإتقان و الإحكام في شرح تحفة الحكام "شرح ميارة" ، دار المعرفة ، بيروت لبنان،1420ھ/2000م، ص 71

[3] عبد الكريم زيدان ، نظام الإفتاء، دار البعث، قسنطينة ،الجزائر، 1958م ،ص81

[4] محمد بن حسين شرحبيلي ،تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية، المملكة المغربية ، 1421ھ/2000م، ص335

و هنالك مفردات أخرى كالوقائع و الحوادث و الأجوبة، ولعل من بين المؤلفات التي تتمن هذا الإسم: الأجوبة لأبي الحسن على بن محمد القابسي -403هـ،1012م- و الأسئلة لمحمد بن ابراهيم بن عباد -792هـ-138م- و أسئلة وأجوبة لأحمد بن قاسم الجذامي الفاسي-778هـ،1376م[1]- .

بينت الفتوى و النازلة بمختلف تعريفاتها مكامن الفقه الإسلامي الذي اعتمد على تلك التعريفات لتصنيف الحوادث اليومية التي تقع للمسلم ، و بذلك استطاع الفقيه ان يفتي وفق قاعدة مسبقة وهي ماهية الحادثة و منه حصل الفرق بين الفتوى و النازلة ، اضافة لكل هذا تظهر قوة الفقه في أنه يدقق في الحوادث ليعطي التجديد لنفسه مع الوقت مراعيا للمكان ، و هذا ما اصطلح عليه بفقه العصر و الذي يتماشى مع طبيعة الزمان و المكان الذي وقعت فيه الحادثة .

نوازل المغرب الإسلامي– التدوين و الخصائص– :

1/–التدوين:

لقد عرف التدوين النوازلي بالمغرب الإسلامي جملة من المراحل قسمها محمد الحجوي الثعالبي –1376هـ– إلى ثلاث مراحل[2] لكل مرحلة صبغة خاصة، لكن مما يجب ذكره أن الحركة التاريخية لطرق الاجتهاد و الاستنباط في المغرب الإسلامي تختلف عن مثيلاتها في المشرق الإسلامي .

أ/**المرحلة الأولى :–ق2 هـ وق3هـ– مرحلة بناء و تأسيس**: تبدأ من نهاية القرن الثاني للهجرة ، ويمكن أن نقول

---

[1]ناجي لخضر، جوانب من الحياة الإجتماعية و الثقافية للصوفية و المتصوفة من خلال نوزال و فتاوى الغرب الإسلامي ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ، 1431هـ/2010م ،ص 30

*للإطلاع على فتاوى إبن رشد أنظر/ ابي الوليد احمد ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، 1407هـ/1987م، ط01،ص08

[2] عبد الكريم البناني ، مجلة الفقه و القانون ،مرجع سابق ،ص14

أن هذه المرحلة لا نكاد نرى ذكرا للنوازل ، إلا قليلا و بعضه مشكوك فيه كالنوازل المنسوبة لعبد الرحمن بن دينار القرطبي -277هـ- و هذا النوع من التدوين قديم و أصيل في المذهب المالكي، فالمدونة للإمام سحنون

-240هـ- أقدم كتاب وصلنا في المذهب بعد الموطأ و يعد كتاب نوازل بامتياز[1] وكذا المستخرجة من الأسمعة لأبي القاسم الحنفي عبارة عن حصر شامل لمعلومات فقهية لتلاميذ مالك فالمستخرجة هي سماعات أحد عشر فقيها[2].

ثم إن تلاميذة الإمام مالك الكبار كيحي بن يحي الليثي ،وزياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون ،و عبد الرحمن بن دينار ،وأخيه عيسى و أبنائهم وحفدتهم الذين توارثوا الفقه و الرياسة في الأندلس، أجيالا عديدة و الذين كانوا ملء سمع الأندلس وبصرها لم يدونوا النوازل ،أو دونوا بعضها وضاع ،لان العصر لم يكن عصر تدوين هذا النوع من الفقه ،لكن كان ينتقل بالرواية و السند و يعنى به العلماء و ينقلونه في فهارسهم .

ب/**المرحلة الثانية : -ق4هـ،ق8هـ- و هي مرحلة جمود الفقه :**

عموما نشط في هذه المرحلة الاهتمام بفنين جديدين هما: القواعد الفقهية و النوازل .

كما أن كتب النوازل ظهرت كفرع مستقل من المؤلفات الفقهية ، لا تشمل إلا على المسائل التي حدثت بالفعل، و لا تتناول من المادة الفقهية إلا ما يتعلق بهذه المسائل من الأحكام مع ترك هامش

[1] محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ،المملكة المغربية ، 1420هـ/1999م،ط1،ص23و ص27

[2] ميكلوش مورافي ، دراسات في مصادر الفقه المالكي ، دار الغرب ،بيروت، لبنان،1414هـ/1993م ،ط3،ص118

مهم فيها لاجتهاد المفتي داخل فقه مذهبه ، ليرعى ظروف النازلة و الملابسات المحيطة بها ، والأعراف الخاصة التي تلزم مراعاتها[1] .

وتعددت طرائق المجتهدين في تأليف هاته النوازل وفق ما تفتضيه قواعدهم، وكما تعددت أسماء هذه النوازل من جهة لأخرى فتارة حس المكان و تارة اخرى حسب الزمان وطبيعة شخصية الفقيه .

ومن أبرز المؤلفات في هذه المرحلة :

1-الإعلام بنوازل الأحكام* لابن سهل الأسدي ،لأبي الأصبغ عيسى بن سهل القرطبي -186هـ-

2-فتاوى ابن رشد أبي الوليد حمد بن أحمد القرطبي -520هـ-

3- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام** للقاضي عياض بن موسى -544هـ-

ج/**المرحلة الثالثة** من-**ق8هـ إلى زمننا الحاضر :مرحلة الإنحطاط**

أخذ الفقه في هذه المرحلة بالتخلف الشديد ،نتيجة لعوامل عدة منها سقوط بغداد 656هـ/1256م بسبب الغزو المغولي مما أدى لتلف المصادر العلمية فانعكس على تدوين النوازل ، إضافة للنكبة الغرناطية 891 هـ/1492م وبهذا فقدت الألاف من أمهات الكتب الفقهية و زاحم المذهب المالكي الحنفي[2] و انحصرت النوازل تدوينا في المغرب منطقة السوس و التي ألفت لوحدها ستين مؤلفا .

---

[1] محمد حجي ،نظرات في النوزال الفقهية ،مرجع سابق ، ص30

[2] نورالدين حمادي ،ضوابط الفقه النوازلي ، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر ، 1429هـ/2008م ،ص34

ومن أبرز كتب هذه المرحلة :

1-جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين و الحكام للبرزلي -841هـ-

2-المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب ، أحمد بن يحي الونشريسي -914هـ-

3 النوازل الكبرى الوزاني ،أبي عيسى بن المهدي الفاسي

4-مجموعة فتاوى لمحمد بن محمد المعروف بابن العنابي 851هـ[1]

رغم ما حمله هذا العصر من ضعف في مجال النوازل إلا أن المغرب الأوسط –الجزائر حاليا- عرف كما من التأليف، رغم الصعوبة التي يجدها الباحث لعدم توفر فهرس شامل ، وقد كانت صبغة الفقه النوازلي تتعرض لموضوعات مختلفة وتارة أخرى تركز على قضية بعينها .

و فيما يلي نماذج من التأليف في الفتاوى و النوازل :

1-أجوبة من الفتاوى تنسب إلى أحمد بن محمد الحاج البجائي التلمساني 760هـ-

2-أجوبة نوازل محمد بن أحمد المعروف بالكماد [2]

3-فتاوى في الفقه و الكلام لعمر الوزان .

---

[1] أبو القاسم سعد الله ،ابن العنابي الحنفي الجزائري ، رائد التجديد الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر،1977م ،ص 145

*للإطلاع أكثر ، أنظر/ عيس بن سهل الأسدي ،نوازل الاحكام ، نورة التويجري، دار المجد ،الرياض، العربية السعودية ، 1995/1410م، ط01، ج01و ج02، ص07وص08وص09وص10

**للإطلاع أكثر ،أنظر/ القاضي عياض وولده محمد، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ،تحقيق محمد بن شريفة ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان، 1997م ، ط02،ص 14وص15وص16وص17وص18 وص19

[2] نور الدين حمادي، ضوابط الفقه النوازلي ،مصدر سابق ،ص244

2/-الخصائص:

لفقه النوازل في المغرب الإسلامي خصائص ومميزات يصح إجمالها في:

أ-**واقعية الفقهاء** :

تعتبر هذه الصفة من بين الصفات الغالبة و الظاهرة في نوازل المغرب الإسلامي ، فهي نوازل وقعت فعلا وموجودة أصلا ،وقد اصطبغت كتب النوازل بصبغة المذهب المالكي و الذي يتوسع في أصلين من أهم الأصول التي يقوم عليها هذا المذهب : المصالح المرسلة و سد الذرائع و هما لصيقان بواقع الناس و تطور الحياة و تجددها[1].

ب-**استيعاب مصادر الفقه المالكي** :

هو قدرة المفتي على التعامل معها و تنزيلها على الواقع و ذلك إعمالا للمصدرين التشريعيين ،العرف و عمل أهل المدينة ، ثم الإبداع في الفقه النوازلي ، من حيث المرتكز الأصولي و من حيث تطويعهم لهذا الفقه ليتماشى مع واقع الناس [2].

ج-**المحلية**:

وهي ميزة واضحة و جلية في مصنفات الفتاوى و النوازل ،منبعها بيئة واقعية مقرونة بالزمان و المكان على إختلاف محتوى النازلة من موضوع ديني أو اجتماعي أو سياسي ، فهي لا تبقى سابحة في مطلق الفقه و إنما تجسد مسائلها ،"فيأتي السؤال و كذا الجواب بتفاصيل النازلة و يذكر أسماء

---

[1] توفيق الغلبزوري ، فقه النوازل في الغرب الإسلامي"نوازل عبد الرحمن أبي الحاءك التطواني"نماذج و قضايا، ،مجلة الإحياء ،المملكة المغربية ، عدد22،جمادى الأولى 1425هـ/يونيو 2004م،ص 113

[2] مبارك رخيص، قضايا المجتمع المرابطي من خلال النوازل الفقهية، الندوة الدولية دور المذهب المالكي في تجربة الوحدة المرابطية لدول المغرب الإسلامي ،مطبعة البلابل ،فاس ،المغرب،2010 م ،ص125

الأطراف المعنية حتى تاريخ النازلة أحيانا و ذلك كله مادة خصبة و ثروة لا تقدر ،للفقهاء و المؤرخين "[1] .

فكل هاته العوامل تعطي للمتفي دقة الرد و الفتوى ،إذ يقول ابن قيم الجوزية :" و لا يتمكن المفتي و لا الحاكم من الفتوى و الحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم أحدهما فهم الواقع و الفقه به ... وفهم الواجب في الواقع"[2] ، فبتطرقنا إلى خصائص النوازل في المغرب الإسلامي ، وجب علينا عد أهم المميزات التي تميزت بها و أصبحت مشهورة في المغرب الإسلامي و الأندلس .

3/-أهم مميزات كتب النوازل لدى علماء المغرب الأوسط :

أ/ **الابتداء بطرح سؤال النازلة :**

تبتدئ كل نازلة بسؤال يختصر غالبا من طرف المفتي أو جامع الفتاوى ، وقد يطول حين يترك بصيغته الأصلية على ما فيه من ضعف لغوي وتركيبي ، فيكون مفيدا لتصوير تفاصيل النازلة المتحدث عنها .

ب/ **عدم الاقتصار على الإجابة على النازلة :**

في كثير من الأحيان لا يقتصر الفقيه النوازلي على الإجابة على النازلة فقط ، بل يفيد في أمور أخرى لم يسأل عنها ، وربما يحتاج إليها السائل في المستقبل[3] ، و الأصل في ذلك الجواب الذي قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحر .

---

[1] محمد بن شريف، وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية ، عدد46 ،شعبان، 1407هـ/1987م،ص 24

[2] شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين من رب العالمين ، تقديم أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان ،دار ابن الجوزي ،القاهرة ،مصر ،1423هـ/2002م ،ط1،ج2،ص 165

[3] نورالدين حمادي ،ضوابط الفقه النوازلي، مصدر سابق ،ص 35

ج/استعمال اللهجات المحلية:

تنحرف عبارات المفتين أحيانا عن الأسلوب الفصيح ،لا سيما عندما يتحدثون مع من سألهم عن الأعراف المحلية، مثال عبارة " نتعوج " التي وردت في المعيار[1]، وفي ذلك إشارة واضحة عن معايشة الفقيه لواقع الناس و فهمه له مما يسهل عليه الأمر ، و لأن اللغة هي أساس الفهم .

د/ الاختصار في الجواب:

إذا كانت بعض النوازل تقتضي بعض الإطالة و الإفادة في مواضيع أخرى لضرورة مراعاة حالة النازلة، فإننا نجد في المقابل أن نص النازلة قصير في الغالب أما جوابها فيكتسي صبغة الاختصار حتى لا يخل ربما بالفتوى[2].

ه/ مكاتبة علماء المذهب في الأقطار الأخرى:

ومن ذلك ما دأب عليه القاضيان محمد بن بشير ويحي بن معمر الألهاني ،مع العلم أن بحثهما ليس دليل على عجز حاشيتهما من المشاورين ،بل من اختلاف هؤلاء في الحكم الأنسب للنازلة المعروضة ،وذكر عن أبن بشير عن عياض من قول بقي بن مخلد و السياق له"كان ابن بشير يشاور في قضائه عبد المالك بن الحسن زونان و الغازي بن قيس و الحرث بن أبي سعد و إسماعيل بن البشر التيجبي

---

[1] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب، تخريج جماعة من الفقهاء باشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،1401ه/1981م،ج01 ، ص "ز"

[2] أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي الشاطبي، فتاوى الشاطبي ، تحقيق: محمد أبو الاجفان ،الوردية، تونس ،1406ه/1985م، ط2، ص97و ص98

..."و قال ابن حارث "كانوا إذا اختلفوا عليه كتب إلى مصر : إلى عبد الرحمن بن القاسم و عبد الله ابن وهب .."[1]

1/نوازل المالكية و قيمتها التاريخية :

أ/ **نوازل المالكية :**

إن الباحث وهو يطالع تطور حركة التأليف الفقهي و توالي مصنفات النوازل يلمس خصوصية المذهب المالكي بالأندلس و انفراد المدرسة المالكية المغاربية و الاندلسية عن غيرها ، فمن اجتهاد داخل المذهب الى اعمال النظر و الرأي ،الى أخذ القول المشهور و الراجح إلى مراعاة الأعراف وما جرى عليه العمل ،كلها أدوات تجعلك تقف على حركية هذا الفقه و قابليته للتجديد خاصة في مجال النوازل، و التي تأتي على صورة الواقع الفقهي اليومي المعاش للناس [2].

ولعل "المعيار" يعد أكبر و أهم مدونة في النوازل حيث لا يعرف له نظير سواء في القدر أو المحتوى، ولكن يمكننا أن نعدّ مؤلفات أخرى كانت قيمتها جلية ، رغم أنها لم تحظى بالشأن الكبير وفيما يلي ، أهم ما ألفه المالكية في فقه النوازل:

---

[1] القاضي عياض بن موسى السبتي ،ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحيق عبد القادر الصحراوي، المملكة المغربية، طبع بأمر من الملك الحسن الثاني ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية ، ج03،ص 332

[2] مصطفى الصمدي، فقه النوازل عند المالكية تاريخا ومنهجا، مكتبة الرشد ، العربية السعودية ،الرياض، 1428هـ/2007،ط1،ص29

*جيان:بالفتح ثم التشديد مدينة واسعة بالأندلس وهي شرق قرطبة و ينسب إليها جماعة وافرة منهم :ابن مالك الطائي الجياني صاحب الألفية في النحو ،أنظر/ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1988م،ج2،ص195

**جاء في مقال :مدخل إلى فقه النوازل لعبد الحق بن أحمد حميش "الدرة" وهذا خطأ لأن الأصح الدرر بالجمع لا بالإفراد

1-الإعلام بنوازل الأحكام :عيسى بن سهل أبي الأصبغ الجياني*قاضي طنجة و مكناس و غرناطة –ت486هـ-

2-الدرر** المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى المازوني -883 هـ-1478م - وهي مدونة جمع فيها المازوني فتاوي في المذهب المالكي، وكانت لها قيمة فقهية و تاريخية عظيمة ، وتميزت بلغة راقية في جلها و اعتمدت على تناثر الأبيات الشعرية كشواهد لغوية او نظما لبعض المسائل العلمية ،حتى أننا نجد ايراد المازوني لبعض المسائل البلاغية كالمشاكلة ،اضافة لنقل المازوني فتاوى غيره من العلماء ، ومن الميزات ايضا أن صاحبها يعرض السؤال على عدة فقهاء بالمراسلة للعلماء في الجزائر وبجاية و تونس ، و هو بذلك جمع فتاوى مسائل المتأخرين من علماء تلمسان و الجزائر و تونس ،إضافة لميزات عديدة لهذه المدونة و التي اكتفينا بهذا القدر منها[1].

3-نوازل ابن الحاج محمد بن أحمد بن خلف-529هـ-

4-نوازل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب قاضي جبل طارق-799هـ/1377م-

5- نوازل الأحكام فتاوى أبي مطرف عبد الرحمن بن قاسم –ت497هـ-

6- مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة و الجبال محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الكيكي -1175هـ-[2].

---

[1] أبو زكريا يحي بن موسى المازوني،الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، تحقيق ماحي قندوز، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف،الجزائر،1433هـ/2012م ،ط01،ج01،ص 135،ص136،ص137،ص138

[2] عبد الحق بن أحمد حميش ،مدخل إلى فقه النوازل ، مجلة الإمام ، جامعة الشارقة ،الإمارات العربية المتحدة ،عدد10،محرم 1430هـ، ص287 و288

7-الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادر عن علماء الحضرة لمؤلف مجهول، ويعد هذا من أهم ما وصلنا من نوازل غرناطة زمن احتضارها فجمع فيه صاحبه فتاوى أشهر أعلام غرناطة و أعمالها، و كان ذلك بعد سنة 838هـ سنة وفاة أبي القاسم بن سراج آخر المفتين الذين يترحم عليهم المؤلف .

8-جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين و الحكام أبي القاسم البرزلي-841هـ[1]-1438م وهي فتاوى كما قال عنها صاحبها البرزلي ،قصدت جمع أسئلة اختصرتها من نوازل ابن رشد و ابن الحاج و الحاوي لابن عبد النور و غيرهم من فتاوي المتأخرين من أيمة المالكيين من المغاربة و الإفريقيين مما أدركناه و اخذنا عنه أو غيرهم ممن نقلوا عنهم و غير ذلك مما اخترناه ، ومن اهم ميزات هذه المدونة أن البرزلي يورد السؤال ثم يجيب عنه اذا كان موجها له او يذكر اجابة الفقيه الذي اجاب عنه ليعقب هو عليه ، وكثيرا ما يستدل فقهينا بأقوال شيخه ابن عرفة* و أحكامه التي أمضاها ، أما بالرجوع لمسلكه في تبويب الكتاب فقد اتبع اغلب جامعي الفتاوى ،حيث رتبه على ابواب من الطهارة الى العبادات و الأنكحة و البيوع و الطلاق و الشركات ،لكنه زاد كتاب تعلق بأحكام الفتوى و المفتين ،أضافة الى متفرقات كالأدعية و الوعظ و الرقى و الطب[2] .

---

[1] مصطفى الصمدي، فقه النوازل عند المالكية ، مرجع سابق ،ص 231

[2] أبي القاسم بن احمد البرزلي، جامع مسائل الاحكام ،تحقيق محمد الحبيب هيلة، دار الغرب الاسلامي،لبنان،2002م،ط01، ج01،ص46

9-نوازل لعمر عبد القادر الرندي الأندلسي الفاسي -1290هـ- حيث جمع فيها فتاويه وفتاوي غيره و صنفها على ابواب الفقه ، ثم ذيل عليها بالجامعة للنوازل المنوعة ، وهي لا تخرج عن نوازل كونها تعالج الفقه أكثر مما تعالج وقائع الناس و حياتهم[1] .

10-نوازل عبد الصمد بن التهامي بن المدني نزيل طنجة -1352هـ[2]- .

وقد لا يسعنا المجال لذكر كل ما دونه المالكية في هذا الباب لغزارة الإنتاج، و يمكن القول أن النوازل في المغرب الإسلامي ساهمت بشكل كبير في حل قضايا و معضلات واقعية ،و أمدتنا بصورة حقيقية للمجتمع آنذاك سواء من ناحية دينية أو اجتماعية أو سياسية ،و لهذا أين تكمن قيمة النوازل من ناحية كونها مادة تاريخية يعول عليها في معرفة أحوال فئات المجتمع كأهل الذمة ؟ أو فهم طبيعة النظم الاجتماعية و السياسية السائدة زمان و مكان النازلة؟

ب/**القيمة التاريخية للنوازل المالكية** :

لم تحظ الدراسات التاريخية الخاصة بالحياة العامة للمغرب الأوسط بأهمية ،فشح المصادر التاريخية التي تمدنا بالأوضاع في فترة من الفترات كانت قليلة، إضافة إلى تشتت المادة بين دفات المصادر ،وهذا ما جعل من كتب النوازل مادة ضخمة يستقي الباحث منها طبيعة المكان و الزمان الذي حدثت فيه النازلة ،وبذلك تكون مصدرا هاما ،ويؤكد هذا سوفاجي في كتيبه "مدخل لتاريخ المشرق الإسلامي"

---

[1] محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بالرباط جامعة محمد الخامس، المغرب،1409هـ/1989م، ج02،ص 137

[2] عبد الحق بن أحمد حميش ،مجلة الإمام ، مرجع سبق ذكره ،ص288

* هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي 716 هـ/1316م ، من كبار الأئمة في زمانه، عاصر الدولة الحفصية و ابن خلدون ، له تآليف عديدة منها: «مختصره في الفقه والفرائض للحوفي»، وكتاب «الحدود الفقهية» وغيرها، توفي سنة 803 هـ / 1400م ،أنظر / عبد الرحمن السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد ابراهيم، دار الفكر، لبنان، 1399هـ/179م،ط02،ص 229 ، واحمد بن حسين ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م،ط04،ص 329

INTROUDUCTIO A L'HISROIRE DE L'ORIENT [1] MUSULMAN و اعتبر النوازل من مصادر التاريخ الإسلامي، ليأتي بعده روبار برونشفيك و الذي نبه إلى الأهمية التاريخية للمصادر الفقهية و ضرورة الاعتماد عليها نظرا لما احتوته من معلومات تاريخية و اقتصادية متنوعة لا نظير لها [2].

وبالتالي لا يمكن استدرار المخزون التاريخي الأنثروبولوجي للمادة النوازلية و الإستفادة منها إلا بعد تطويعها و إجراء التعديلات المنهجية عليها[3] .

1- من الناحية الاجتماعية :

لقد تعددت مظاهر التاريخ الاجتماعي في نوازل المغرب الإسلامي ،لأنها ألصق بحياة الناس الاجتماعية و الاقتصادية [4]، إذ تبين و توضح جوانب متعددة ،كأساليب الزواج و مقدار الصداق و كيفية التصرف بالمهر و مسائل أخرى عن النكاح و انتشار بعض الأنكحة الفاسدة .

وفي النوازل صور عن التعامل في الأسواق من حيث المكاييل و الأواني و الغش و التدليس كذلك الملاهي و القدور المتخذة للخمور و عن صاحب الحمام وعن اليهود و النصارى[5] أو أهل الذمة الذين نحن بصدد دراسة واقعهم داخل حدود المغرب الأوسط و حياتهم داخل المجتمع .

---

[1] Introuduction a l'histoire de L'orient musulman .journale dse savonts –voule3-n3-p179-180 –aneè 1945

[2] حافظ حادة، الحياة الإقتصادية بإفريقية في العهد الحفصي من خلال نوازل البرزلي و الونشريسي وكتب الحسبة، مجلة المشكاة تونس،عدد 07، 2009م،ص128

[3] محمد الأمين بالغيث، مدينة مازونة الفقهية و أثارها خلال ق7هـ/15م ، أعمال الملتقى الوطني، المذهب المالكي في الجزائر ، أفريل 2004م /أنظر مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية ،جامعة الجزائر،عدد01، 2004م ،ص117

[4] أحمد السعيدي ،النوازل الفقهية و العلوم الإنسانية "علم التاريخ مثالا"، دورية كان التاريخية، المملكة المغربية، السنة الثانية ،عدد06 ذو الحجة 1430هـ/ ديسمبر كانون الأول2009م، ص 17

[5] عبد العزيز حاج كولة ، الحياة الإجتماعية و الإقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 05و06هـ /11-12م ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر02 ،2010/2009م،ص 20

إضافة لذلك فالنوازل مصدر عظيم لتاريخ البادية ،إذ الحوليات سكتت عن جانب منه وبذلك تمكن الباحث من صناعة صورة سوسيولوجية عن ما وراء سور المدينة.

2- من الناحية الاقتصادية:

نتمكن من خلال النصوص النوازلية من كشف عدة قضايا اقتصادية ، ففي ميدان الفلاحة قدمت لنا معلومات قيمة عن الأرض و حكمها ، و عن الملكيات الزراعية و ظروف استغلالها ،إذ تضمنت بعض النوازل الإرث و البيوع و المعارضة ،وقد كشفت جوانب هامة عن علاقة أرباب الأراضي بالمزارعين ،و طبيعة انتاجهم و كيفية تقسيم العمل[1]،ثم العلاقة بين المدن و البوادي بسبب المجاري المائية وما يلحق بها كمد السواقي وشق الترع و بناء السدود و غيرها[2].

إن ما يصح قوله هو أن التراث النوازلي المالكي لبلاد المغرب الإسلامي و الأوسط خاصة ، هو نتاج تداخل ظروف بيئية و واقعية فرضها الزمان و المكان ، جعل السكان يستنجدون بمهارة الفقيه الذي وجد نفسه مجبرا على الإفتاء مما ساعد على ظهور فن جديد و تواصل بين العلماء في مختلف الأقطار ،وبذلك يمكن أن نخلص إلى فقه النوازل ، و الذي ما زال يحتاج إلى دراسة معمقة وهذا لفهم الوقائع التاريخية من منظور المؤرخ لا الفقيه، وهكذا يتضح لنا أن كتب النوازل اشتملت على أحداث تاريخية

---

[1] عبد القادر بوتشيش ،العلاقات الإنتاجية بين المزارعين و أرباب الأراضي في المغرب و الأندلس خلال ق6هـ/12م "إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الإجتماعي و الإقتصادي، دار الطليعة، بيروت، لبنان،1422هـ/ 2002م،ط01، ص77و ص 83

[2] عمر بنميرة ،قضايا المياه بالمغرب الأوسط من خلال أدب النوازل، التاريخ و أدب النوازل ، ندوات ومناظرات رقم 46 ، مطبعة فضالة، الرباط ،المملكة المغربية ، 1994 م ، ط1،ص77

وفقهيـة واقتصـادية واجتماعيـة قـد لا تتـوافر في كتـب التـاريخ أحيانـاً؛ وذلـك لأن النـوازل تعتـبر انعكاسـاً صادقاً لأحداث المنطقة وظروفها[1].

لقـد لعبـت الفتـوى دورا هامـا في اسـتكناه المقاصـد الشـرعية و اسـتيعاب مشـاكل مجتمعـات المغـرب الإسـلامي و التكيـف معهـا، حيـث ارتبطـت النـوازل الفقهيـة بهـذه الرقعـة الاسـلامية بفقهـاء المالكيـة ،لمـا يمتـاز بـه عـن غـيره مـن المـذاهب الأخـرى ،مـن تنـوع في الأصـول التشـريعية ،حيـث تـرك مالـك تقـديرها للعـرف و لـيس غريـب أن المغاربـة قـد وجـدوا في هـذا الأصـل –العـرف- معينـا لهـم علـى حـل بعـض المسـائل الـتي لم يطـرح لهـا مثيـل ،و هـذا مـا جعـل لـه امكانيـة الـتلاؤم مـع الواقـع ، وهـو أمـر تميـز بـه فقهـاء المالكيـة بالمنطقـة ، ويعتـبر التـأليف النـوازلي هـو الأسـلوب المعتمـد عليـه مـن طـرف فقهـاء المالكيـة بـالمغرب الإسـلامي لإثـراء النشـاط الفقهـي[2]، فقـد لعـب الفقهـاء دورا حيويـا في تطـور حركـة التـأليف الفقهـي النـوازلي ، بالمنطقـة ، و الذي يعتبر صورة حقيقة عن مدى تطور فقه النوازل بالمنطقة .

ان مـا يمكـن قولـه أن جهـود العلمـاء المغاربـة في خدمـة الفقـه المـالكي و الاهتمـام بمصـادره الأوليـة ،قـد أدى الى الانفجـار الفقهـي في ميـدان التـأليف الموسـوعي و اقامـة الـدليل عـبى ان الفكـر المغـربي كـان يتحـرك بخطـى قويـة نحـو نشـر هـذا المـذهب و الـذي يهمنـا هـو كثـرة التـأليف في مختلـف فـروع الفقـه المـالكي و منهـا كتـب الفتـاوى و النـوازل ، و الـتي اصـبحت مصـدرا رئيسـيا لمـا جـاء بعـدها مـن موسـوعات فقهيـة و اعتمـد عليها كمصادر للافتاء بالمغرب الاسلامي كانت اغلبها مما اعتمد عليه الونشريسي في تأليف لموسوعته

[1] أنور محمود زناتي ،كتب النوازل مصدراً للدراسات التاريخية والقانونية، مجلة الشريعة و القانون،المملكة المغربية ، جوان 2012،عدد12، ص 03

[2] سعيد كربوع، كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي و التوظيف التاريخي –المعيار المعرب نموذجا- مجلة علوم الانسان و المجتمع ،جامعة بسكرة، مارس 2014م،عدد09،ص 66

"المعيار المعرب" ، و بالتخصيص للمنطقة الجغرافية يمكن ذكر ما عرفه النشاط الفقهي في المغرب الأوسط و الذي اعتبر الونشريسي جزءا منه كدليل على التجدد و النشاط العلمي الذي لم يفارق المنطقة .

ان كتب النوازل شملت على مضامين عديدة لم تقتصر على الجانب الديني بل تعدت الى جوانب عديدة وهنا يؤكد المستشرق إيميل أمار في بحثه مجموعة الوثائق أن كتب النوازل لها قيمة تتعدى أن تكون دينية[1] فقط .

[1] إسماعيل الخطيب، أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، رمضان 1416/ فيفري 1996م ، عدد 316 ، ص 04

المبحث الثالث: المغرب الأوسط ، حدوده و عناصره البشرية

يتضمن هذا المبحث تعريف منطقة المغرب الأوسط جغرافيا ، ورسم الحدود الطبيعية له ، و العناصر السكانية المكونة له ، و هي تتعدد وفق عوامل سواء كانت تاريخية او طبيعية ، و هذا كله عبر عدة عناوين مفصلية هي:

- مصطلح المغرب الأوسط
- حدود المغرب الأوسط
- العناصر البشرية المكونة للمغرب الأوسط

المبحث الثالث: المغرب الأوسط ، حدوده و عناصره البشرية

1/ مصطلح "المغرب الأوسط"

يرجع بعض الباحثين إلى أن مصطلح المغرب ظهر في زمن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما قال لأنصاره " تيسروا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب" و ذكرها ابن الأثير[1]، لكن يرجح أنه كان يقصد أهل الشام رغم أن الفتوحات كانت قد وصلت هذه المنطقة ، و بالرجوع إلى نص ابن عبد الحكم في فتوح افريقية و الأندلس نجده يذكر لفظ المغرب " و أراد عمر رضي الله عنه أن يوجه إلى المغرب" ثم سرد

قائلا : " خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد ، معاوية بن حديج* ..."[2] ، من خلال النصين السابقين ، نخلص إلى أن لفظ المغرب استعمل قصد التعبير عن أهل إفريقية اذا علمنا أن معاوية ابن حديج غزا بلاد البربر مرات ،فهذا دليل قوي على ما قصده ابن عبد الحكم .

بتتبعنا قول ابن حوقل في تحديد بداية لبلاد المغرب، " وهذه جملة أحوال المدن المشهورة و المراسي و القرى المعروفة على نحو بحر المغرب من حد برقة إلى بحر المحيط "[3]، أما إذا أردنا أن نحدد بشكل شبه دقيق حدود المغرب ، فنذكر ما قاله ابن خلدون " المغرب قطر واحد ...فحده من الغرب البحر المحيط ..أما حده من الشمال فالبحر الرومي-يقصد البحر المتوسط- ...وأما حده من جهة

---

[1] ابن الأثير الجزري ، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1407هـ/1987م ،ط1، ج3،ص 218

[2] ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا و الأندلس ، تحقيق عبد أنيس الطباع ،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م،ص46 ، أنظر/ ابن الابار ،الحلة السيراء، تعليق علي ابرهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1420هـ/ ، 2000م، ط1، ص13

[3] إبن حوقل، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،لبنان، 1417هـ/1996م،ص 83

القبلة و الجنوب فالرمال الملتهبة .....إلى برنيق من بلاد برقة"[1] في هذا التعريف تظهر لنا حدود بلاد المغرب بحدودها الحالية ، إذ بداية من الشرق تكون مدينة برقة بداية لحدوده و من الجنوب ما يصطلح على تسميته اليوم بالصحراء الكبرى أما من الشمال فالبحر المتوسط الذي كان يسمى بالرومي أما من الغرب فكما عبر عليه ابن خلدون بالبحر المحيط ولم يسمه ببحر الظلمات كما ذكر الإدريسي ذلك .

ليس لدينا تاريخ مضبوط فيما يخص استعمال مصطلح المغرب الأوسط ،لكن بتتبع قيام وسقوط الدول في هذه المنطقة يظهر أن الأقاليم و الحدود حتى الطبيعية منها لم تكن واضحة، سواء في عهد الدولة الفاطمية (297هـ-909م /567هـ-1171م) أو قبلها ، وبمزيد من التتبع نجد نصا يذكره حسين مؤنس يحدد معالم حدود المغرب بثلاثته ، الأوسط و الأدنى و الأقصى " وعندما ينشئ بنو حماد بن بلكين قلعة بني حماد ،وتطمح أنظارهم إلى الاستقلال عن بني عمومتهم .....ستظهر شخصية المغرب الأوسط بقسميه الشرقي و الغربي"[2].

بعد قراءة متأنية للمصادر الجغرافية ، يظهر لنا أن مصطلح المغرب و المغرب الأوسط لم يكن معروفا إلا مع عملية الفتح وظهور الدويلات، وما يجب التنويه له أن المغرب الأوسط إنما هو نسبة إلى

---

[1] عبد الرحمن إبن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، راجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية ،بيروت،لبنان، 1431هـ/2009م، ج06،ص98و ص99

*معاوية بن حديج بن قنبرة بن حارثة السكوني ، و يكنى بأبي نعيم ،صحابي على اكثر الاقوال ،شهد فتح مصر سنة20هـ،وشهد حروبا كثيرة مع البربر في افريقية مع عبد الله بن ابي السرح، غزا جزيرة صقلية سنة 44هـ ، ولاه معاوية على مصر ثم عزله ، توفي سنة52هـ ،أنظر/ علي بن محمد ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م،ط01،ص 1144و ص1145

[2] حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته من القرن السادس ميلادي إلى القرن التاسع عشر ميلادي، العصر الحديث للنشر، بيروت ،لبنان، 1413هـ/ 1992م، ط1، ج01، ص 584

المغرب الأقصى ، و لما كانت البلاد مغربا لإفريقية و مشرقا للمغرب الأقصى أطلق عليه المغرب الأوسط[1] و الذي رسمت حدوده وفقا لمعطيات تاريخية و سياسية ،فإذن ما هي حدوده ؟

2/ حدود المغرب الأوسط :

لقد عملت الصراعات القبلية و ظهور الدويلات و زوالها دورا كبيرا في تعقيد أو ترسيم معالم واضحة لحدود المغرب الأوسط ،إذ و على مر التاريخ كانت الحدود الطبيعية معلما شبه ظاهر يرتكز من خلاله على تحديد بداية ونهاية سلطة كل دولة ، فكما يعتبر "نهر ملوية"[2] غربا حدا للفصل بين المغربين لا نجد شرقا ما يدل على بداية أو نهاية للأوسط ، أما في الجنوب فالصحراء تكاد لا تنتهي ، فكيف يكون له حد؟

ظلت حدود المغرب الأوسط بين شد وجذب لا تعرف لها ترسيما واضحا حتى عند الجغرافيين و الرحالة ،و مع هذا يأتي صاحب الاستبصار ليطلعنا على حدود المغرب الأوسط ، فمن وادي مجمع إلى تازا في الطول وسواحل وهران و مليلة إلى مدينة تيزيل [3] .

من خلال ما تمكنا من جمعه لأقوال الجغرافيين نستطيع ترسيم حدود ، تبدأ من الزاب على حدود الجريد مرورا ببسكرة و الأوراس و بونة شرقا أما غربا فنهر ملوية كحد طبيعي بين المغربين أما جنوبا فتمتد الصحراء من فجيج غربا إلى بلاد سوف[4] ، أما ابن خلدون فيظهر الحدود من خلال قوله"

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال ، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية ،مصر1424هـ/ 2003م، ج1، ص 78

[2] إبن خلدون ، العبر، مصدر سابق ،ج07،ص66

[3] مجهول ، الإستبصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ،دار النشر المغربية ،الدار البيضاء، المغرب، 1985م ،ط1،ص176

[4] مدينة بالقرب من درجين لا يعرف عليها عمران وتكون قد أخذك إسمها من السائفة الرمال الدقيقة /أنظر الإستبصار ،المصدر السابق ،ص159

واقتطع حماد ممالك المغرب لنفسه ما بين أوراس إلى تلمسان و ملوية .....واستولى على مركزهم آشير بجبل تيطري.....و بقي آل باديس بالقيروان و ما إليها "[1].

لم ترتسم الحدود للمغرب الأوسط ، رغم كل الدلائل التي وصلتنا من الجغرافيين و الرحالة وقد كانت تخضع دائما لمنطق الغلبة ،وبهذا نخلص إلى أن الحدود الحديثة هي شبه الحدود التي كانت ولا زالت تحدد معالم المغرب الإسلامي، الذي إنما هو رقعة واحدة تدخّل منطق القوة و السياسة ليصنع ثلاث كيانات ، رغم التكوين البشري الواحد و الذي سنتطرق اليه التطرق إليه .

3/العناصر البشرية المكونة للمغرب الأوسط:

لا تزال الدراسات الاجتماعية في مجال الإنسان و المحيط قليلة سواء قديما أو حديثا ، وبالتكلم عن العنصر البشري داخل منطقة المغرب الأوسط، يلزمنا قراءة لبعض المصادر القديمة التي تنبئنا عن أصول الإنسان في هذا المكان مع الإشارة أن وجوده قديم جدا ، باعتبار ما وجد من رسومات في منطقة الطاسيلي كشاهد ودليل مادي.

كان من نصيب مؤرخي اليونان أن كتبوا عن الإنسان في شمال افريقيا ،فنجد أن المؤرخ هيرودوتس قد أشار في رحلته التي كانت لبرقة إلى القبائل التي تسكن الساحل الشرقي لشمال افريقيا "إن القبائل اللوبية التي تسكن بلاد مصر و برقة تسمى أسبوط و تتاخمها في الغرب منها نحو الصحراء قبائل أوسخير ... وتوجد بجهة فزان قبائل الغرامانت .... وبين خليج قابس قبائل ماغ .."[2] ولكن مع مجيء

---

[1] ابن خلدون، العبر ، مصدر سابق، ج 07 ،ص68

[2] عثمان الكعاك ، البربر ، مجلة "تاوالت " الثقافية ،المغرب، عدد 03 ، 2012 م، ص12 و ص 13

سلسلة من الجغرافيين و المؤرخين ، كانت لهم كتابات عن الإنسان في هذه المنطقة، فالرومان كتبوا عن أحوال البربر مثل ما كتبه نيقولاس الدمشقي و أرتيميدورس الرهاوي عن البربر[1] إلا أنه لم يصلنا منها شيء سوى بعض الإشارات في مصادر أخرى ذكرتها ، إضافة لذلك وردت بعض الأسماء لقبائل مثل نوميديا و المزاملة[2] .

لقد توجت الفتوحات الإسلامية في منطقة الشمال الإفريقي بتعزيز قوة و نفوذ الجنس العربي ، و بطرد الرومان خلت الساحة لتكوين ولاية تابعة لسلطة الخلافة في المشرق، ولم تكن فكرة الاندماج صعبة على العرب كون سكان هاته المنطقة قبائل وبطون و أن حياتهم مقتصرة على الرعي و الفلاحة[3] و هذا ما عهدته العرب في شبه الجزيرة العربية .

ان الحديث على ما أورده ابن خلدون في كتابه العبر ، نجده قد فصل بشكل دقيق عن أصل البربر و قبائلهم و بطونهم ،فهم قسمين أو طائفتين أهل وبر– سكان الخيام – و أهل مدر – سكان بيوت–[4] ،أما غوتي **gautier** فقسمهم إلى بتر وهم أهل البداوة و الرحلة ، و البرانس و هم أهل الحضارة و الإستقرار[5] و لكن ابن خلدون يذهب لتعليل هاته التسمية و الانقسام فيقول أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان ،أحدهما يسمى مادغيس الملقب بالأبتر و لذلك يقال لشعوبه البتر، و الآخر يدعى برنس و يقال لشعوبه البرانس و يذكر أن النسابة مختلفون في كونها لأب واحد[6] ؟ ويمكننا

[1] المصدر نفسه ،ص 19

[2] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية و الحضارة البونية ، در الأمة للنشر ، الجزائر، 1998م، ص16

[3] ابن خلدون ، المقدمة، إعتناء ودراسة أحمد الزغبي، دار الارقم بن الارقم ،القاهرة ،مصر ،1421هـ/2001م،ط01،ص150

[4] عبد الوهاب بن منصور ،قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط، المملكة المغربية ، 1388هـ/1968م ، ج1 ، ص 293

[5] Gaurier –le paseè de l afrique –p242 -

[6] عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب، مصدر سبق ذكره ،ص 295

أن نعد بعض القبائل البربرية البتر: بنو لوا ، نفزاوة ، نفوسة ، ضريسة أما البرانس فنذكر: أوربة صنهاجة ،كتامة، مصمودة، وكزولة أو جزولة[1] .

إن التكوين البشري للمنطقة لم يتغير رغم السنين المتلاحقة ، و عقلية البربري لا زالت إلى يومنا هذا متميزة بطباعها الحادة التي لا تقبل الانهزامية و التبعية ، وهذا ما أدى إلى ظهور دويلات خارجية في المنطقة رفضت الانصياع للجنس العربي ، اضافة الى الفتن المتلاحقة التي ظهرت في الأندلس بسبب البربر و العرب ، ما خلق جوا مضطربا ،وفي نفس الوقت سيظهر لنا التنوع البشري تمازجا في العادات و التقاليد داخل محيط المغرب الأوسط ، يكون فئات الديانات السماوية الثلاث محركا له ، مما سيفرز مفهوم أهل الذمة في المجتمع الإسلامي و الذين نقلت إلينا اخبارهم اليومية و معاملاتهم في المجتمع المدونة النوازلية ، و هو الذي سنتطرق اليه عند الونشريسي من خلال كتابه المعيار .

[1] المصدر نفسه ،ص ص 299 و302

إن مصطلح أهل الذمة تم طرحه عند الأصوليين و الفقهاء وحتى عند اللغوين ،حيث اجتهد العلماء في إعطاءه الصيغة المناسبة و الحقيقة له ، و المقصود من ذلك كله هو مراعات حق العباد ، كون الشريعة الإسلامية وجدت لحفظ النفس البشرية ، و لذلك نجد أن مجمل الألفاظ التي حددت مفهوم الذميين أو أهل الذمة، إنما الهدف منها تحقيق الحق المبني على النصوص القرآنية و تحري الحق، لهذا اختلف التعريف عند المذاهب الفقهية الأربعة و كل وضع حدودا لماهية الذمة ، فنخلص إلى أنهم أولئك الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع الاسلامي، و الذي بدوره يكفل لهم حريتهم الدينية شرط دفع مقدار من المال ، إضافة لذلك رأينا أنهم أصناف متعددة حسب الظرف ، فقسمهم الفقهاء الى اقسام كالمعاهد و المستأمن ، و انما هذا جاء كبيان على دقة التشريع الاسلامي في معاملة الفئات الغير اسلامية داخل حدوده .

و قد أظهر الفقه بفروعه المتعددة خاصة في المذهب المالكي قوة علماءه ومقدرتهم على مسايرة الواقع المعاش للناس ، فنجد أن الفتوى أو النازلة قد عرفها العلماء و أعطوا لها السياق الاصطلاحي الذي ينبني على إشكالية تصادف المسلم لم يكن لها سابق او شبيه في ما مضى ، و هذا ما أظهر لنا التعدد في إعطاء المفاهيم للنازلة عند الفقهاء ، أما لو تحدثنا عن التراث النوازلي المالكي في المغرب الإسلامي فسنقول أنه إرث غني و كبير ، حيث سعى العلماء على مر الفترات الزمنية على تدوين النوازل و جعلها في مصنفات كان لها الأثر الكبير في تطور هذا الفرع الفقهي في بلادنا ، فنوازل الونشريسي أو نوازل البرزلي و المازوني و العديد منها ،كلها خدمت المرجعية المالكية و طورت هذا العلم مما أهله ليكون في الحاضر أرشيفا إن صح التعبير عن تاريخ المجتمع في جوانبه الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و بذلك ساهم في معرفة ماضي مغربنا الاسلامي ، و نحن نتحدث عن أهل الذمة و النوازل لا يمكننا أن نخرجهم من إطارهم المكاني ،كل هذا الموروث نمى في منطقة المغرب الأوسط و التي كانت شاهدا على ذلك ، فالمصطلح بحد ذاته عرف مراحلا حتى اصبح يسمى بالمغرب الأوسط ،حيث أسهب ابن خلدون في تحديد حدوده الطبيعية و التي هي ربما أقرب بكثير لحاضره اليوم ، فعامل السياسية و منطق الغلبة كان لهم الدور الحاسم في رسم معالم الحدود، رغم أن

العنصر البشري للمنطقة واحد ، كونه لا يخرج عن البربر إضافة الى تمازجه مع الجنس العربي نتيجة الظروف التاريخية التي عرفتها المنطقة ، و دخول بعض الفئات الدينية الأخرى .

الفصل الثاني: الونشريسي، عصره وكتابه المعيار

المبحث الأول: التعريف بالونشريسي

1–مولده

2–شيوخه

3–مؤلفاته

المبحث الثاني: عصر الونشريسي

1–الحياة العلمية

2–الحياةالسياسية

3–الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث: كتاب المعيار و قيمته العلمية

1–تعريف كتاب المعيار

2–أهم ما جاء في كتاب المعيار

3–قيمة الكتاب العلمية

تعتبر المدونة النوازلية ثرية بمختلف القضايا الفقهية ذات الأبعاد الإجتماعية و الاقتصادية و حتى السياسية ، فالونشريسي في كتاب "المعيار" حفظ لنا كم هائل من القضايا الفقهية ، وسنتطرق في هذا الفصل عن حياة الونشريسي وتكوينه الفقهي الذي سمح له بأن يتربع على كرسي الفتوى في تلمسان ثم في فاس ، واهم الدوافع التي عجلت برحيله من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى اضافة الى الحياة الاجتماعية و الاقتصادية التي ميزت عصره و أهم العناصر السكانية التي عرفها المغرب الأوسط ، لتبيان صورة مركبة للونشريسي و عصره و ما قدمه من مؤلفات ، وهذا من خلال ثلاث مباحث أولها:

المبحث الأول : التعريف بالونشريسي

سنتطرق خلال هذا المبحث الى مولده في أي سنة وكانت و أراء المترجمين في ذلك و إلى أهم شيوخه الذين تكون على ايديهم اضافة الى مصنفاته العلمية .

-مولده

-شيوخه

-مؤلفاته

المبحث الأول : التعريف بالونشريسي

هو أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن علي الونشريسي[1] ولد عام 834 هـ[2] و قد عرف نفسه بخطه في أماكن عديدة من كتبه ،أما بعض معاصريه فقد عرفوه أنه" أحمد بن يحي ابن محمد بن عبد الواحد بن علي"[3] ، فذكر الكتاني في فهرسته أن الونشريسي[4] تلمساني الأصل[5] و المنشأ.

---

[1] نسبة إلى سلسلة جبال الونشريس وتقع حاليا بولاية تسمسيلت في الجزائر ، ينبع مجرى واد شلف الطويل منها ، أنظر/ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مرجع سابق، ص 895 ، لقد كانت لي زيارة خاصة لسلالة من عائلته في بلدية برج بونعامة حيث أخبرني أحد معارفي أنهم يمتلكون بعض المخطوطات ولكنهم رفضوا أن يطلعوني عليها .

[2] الونشريسي ، المعيار ، مرجع سابق ، ص "أ" /تبقى سنة مولده مجهولة إذ يأخذ من خبر محمد بن قاسم القصار مفتي فاس أن الونشريسي توفي سنة 914هـ/1508م وعمره ثمانون سنة ،أنظر/احمد بابا التمبكتي ،نيل الإبتهاج ،منشورات كلية الدعوة ،طرابلس، ليبيا، 1410هـ/1989م، ج1،ص135 ، و إبن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، مراجعة محمد ابن ابي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1226هـ/1908م، ص53و ص54 ،و أبي العباس احمد ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي،دار التراث، القاهرة، دت، ج01،ص91

[3] محمد بن عسكر الشفشاوني ،دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تحقيق محمد حجي ،دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ،الرباط ،المغرب، 1397هـ/ 1977م،ط2، ص 52و ص 54

[4] للإشارة يوجد ستة فقهاء بهذا الإسم نذكر منهم : -أبوعلي الحسن بن عطية الونشريسي (781هـ، 1379م) القاضي، أنظر/ محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1424هـ/2002م،ط01، ج1، ص 342 و-أبو الربيع سليمان الونشريسي أنظر/محمد بن الحسن الحجوي ،السامي في الفقه الإسلامي ، تخريج عبد العزيز القاري ،المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، العربية السعودية ،1397هـ/ 1976م،ط1، ج2، ص277،و التمبكتي، نيل الإبتهاج، مصدر سبق ذكره، ،ج01،ص183

[5] هو ليس تلمساني بل ونشريسي الأصل و المنشأ تلمساني ،أنظر /المعيار ،مصدر سبق ذكره ، ج1 ،ص "أ" ،و شهاب الدين المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة،مصر،1361هـ/1942م، ج3،ص 65 ، و جاء في رسالة ماجستير "المنهج الفائق و المنهل الرائق و المعنى اللائق بآداب الموثق و أحكام الوثائق" لطوهارة فؤاد ، جامعة منتوري ،قسنطينة ،2011م ، ص 163: أن الونشريسي "إنتقل من مسقط رأسه و هو لا يزال صغيرا رفقة أسرته إلى تلمسان وقد يعود السبب إلى إنعدام الأمن و الإستقرار في المنطقة " إنتهى

الفاسي الدار و المدفن[1] ، ترجم له الكثيرون لعلو مكانته في الفقه و الإفتاء و كثرت التصانيف في شخصه ، فأصبح مضرب التضلع في الفقه المالكي بلا منازع في المغرب الإسلامي عبر أزمنة لاحقة .

أما عائلته فلم تورد لنا المصادر شيئا عنها ، سوى ما تفرد به صاحب سلوة الأنفاس عن وفاة ولده "عبد الواحد الونشريسي" حيث قال: أنه توفي قتيلا و ذلك ليلة الاثنين لسبعة عشر خلت من شهر ذي الحجة سنة 885هـ/1480هـ[2] .

لقد برع عالمنا هذا في مختلف الفنون خاصة في عقد الشروط و الوثائق و الكتابات السلطانية، و ربما لا يضاهيه أحد في ذلك كما أشار التنبكتي ، وقد تولى القضاء بفاس[3] .

[1] عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني ، فهرس الفهارس و الإثبات و معجم و الإثبات و المشيخات و المسلسلات ، إعتنى به إحسان عباس ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، 1402هـ/1982م،ط02،ج2،ص1122وص1123

[2] محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن قبر من العلماء و الصلحاء بفاس، تحقيق محمد حمزة الكتاني ، دار الثقافة ،الرباط ، 1425هـ/2004م، ط1،ج2، ص 171

[3] التنبكتي ،مصدر سابق ،ص 323

شيوخه : بعد أن اشتد عوده بدأ في تحصيل العلم الشرعي على أيدي علماء عصره و مدينته تلمسان[1] ، منهم الشيوخ العقبانيون أمثال أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني[2] و محمد بن عيسى الجلاب[3] و الشيخ ابن مرزوق الكفيف[4] ، و الشيخ أحمد بن زكري[5] التلمساني المغراوي .

بعد قضائه أربعين سنة من التعلم و التعليم جاءت محنته مع السلطة السياسية – الدولة الزيانية – فقد قال الحق لما أعلن عن موقفه من السلطان أبي عبد الله محمد بن ثابت -873هـ،910/ 1486 م،1505م- جراء ما يحدث في المجتمع ، وهذا ما عجّل به على الرحيل مرغما إذ نهبت داره من مجموعة من الغوغاء وفر يوم 01 محرم من سنة أربع و سبعين و ثمان مائة[6] للهجرة نحو فاس[7] ، ولنا إشارة في

---

[1] تلمسان مدينة إسلامية شهيرة بالمغرب الأوسط و هي واقعة بين التل و الصحراء و تبعد عن وهران مسيرة ثلاث أيام و تشرف على البحر المتوسط وكانت عبارة عن قرية صغيرة سكنها البربر تسمى"أجدير " وقد إفتتحها أبو المهاجر سنة 55هـ /674م وقد تلاحقت عليها الأزمنة ،إذ بعد سقوط الموحدين قصدها بنو عبد الواد و أسسوا فيها دولة الزيانيين .أنظر/أحمد بن يعقوب، البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860م، ص137 ،و ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق ، ج02،ص 44 .

[2] أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني ، التلمساني ،فقيه وشيخ و محقق ،مالكي المذهب ،مجتهد أخذ عنه ابن مرزوق ،ولي القضاء لكنه مال للتدريس ،مات سنة 854هـ/1450م أنظر/ نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، منشورات المكتبة التجارية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ،لبنان ، 1971م،ط1،ص 130و ص 131

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي ، الجلاب التلمساني شهرة ، توفي سنة 875هـ أنظر التنبكتي ،نيل الإبتهاج ، ج2، ص238 و ابن مريم ،البستان، ص 162

[4] أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الشهير ابن مرزوق ، التلمساني، المشهور بالكفيف ، من علماء المالكية ، 901هـ 1486م ،أنظر نيل الإبتهاج ،المصدر نفسه ،ج2،ص 286

[5] أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني المغراوي ، مالكي، متخصص في الأصول ،توفي سنة 899هـ /1493م أنظر/ التنبكتي ،نيل الابتهاج ، المصدر السابق ،ج1،ص 45وص 50 ،ابن مريم ،البستان، ص 38 ،وابن القاضي، درة الحجال ،مصدر سابق،ص90

[6] الكتاني، سلوة الأنفاس، مصدر سابق، ج2 ،ص172

[7] فاس ،بفاء ثم ألف و سين مهملة ، مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ،حاضرة البحر في أصلها مدينتان عدوة القرويين و عدوة الأندلسيين ، تقعان في سفح جبل يفصل بينهما نهر ، وقد ذكر الجزنائي ثلاث رواية عن سبب تسميتها بفاس وهي أن إدريس عندما اراد بناء اساستها صنعت له فأس من ذهب فكثر الكلام عليها فسماها المدينة فاس و ثانية أنه وجد فأسا كبيرة=

كتابه عدة البروق يلمح فيها إلى الحادثة فيقول" ....ثم إن بعض الهمج ممن له جرأة أو تسلط على الأموال و المهج انتهبه في جملة الأسباب مني و غاب به عني ، فأدركني من ذلك غاية المشقة و الحرج..."[1] .

عند قراءتنا للنص المذكور أنفا بتمعن ، نجد أن الونشريسي يلمح لشيء دار بينه و بين شخص ذا سلطة كبيرة لم يعجبه ما بدر من الشيخ فتكفلت مجموعة من الهمجيين بمهمة المضايقة ما أرغم الونشريسي على الرحيل ، ومع كل هذا لم تخبر المصادر عن طبيعة هذه الحادثة و كيف جرت و ما الداعي لها ؟ ،وما يمكن افتراضه هو ما كان يحدث في الأندلس من تقاعس حكام الدولة في نجدة المسلمين ، فهو ربما ما أزعج السلطان، خاصة عندما نجد ان الونشريسي كانت تأتيه أسئلة كثيرة تستفسر عن جواز بقاء المسلمين في الأندلس بعد سقوطها .

على الرغم من هذا ،فقد أقبل الونشريسي على تدريس المدونة و مختصر ابن الحاجب ،إلا أنه أكب على تدريس الفقه ، فكان فصيح اللسان ، و تخرج على يديه علماء كبار ، مثل: محمد بن محمد ابن الغرديس التغلبي قاضي فاس، و ابن قاضيها -976هـ- و محمد بن عبد الجبار الورتدغيري و الحسن بن عثمان التملي عالم السوس [2].

على قدر العلم الغزير الذي تميز به الونشريسي جاءت مؤلفاته كثيرة و متنوعة ،إذ ألف في فنون شتى وترك مكتبة فقهية لا نظير لها .

=عند حفر الأساس و الثالثة أنه تيمن بإسم مدينة كانت في ذلك الموضع و اندثرت كانت تسمى ساف فقلب اسمها لفاس، أنظر/ ياقوت الجموي، معجم البلدان ،مصدر سابق، ص 230، وعلي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1411هـ/1991م،ط02،ص23و ص24

[1] الونشريسي ،عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجنوع و الفروق، دراسة و تحقيق حمزة أبو فارس ، درا الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان 1411هـ/1990م، ص 79

[2] الونشريسي ، المعيار، مصدر سابق، ج1، ص "د"

مؤلفاته:

لا شك أن عالما و فقيها مثل الونشريسي ترك إرثا كبيرا من التصانيف ،وهو الذي ورث مكتبة "أبو عبد الله الغرديسي" الذي توارثها عن رجال و بيوتات عرفوا بالعلم[1] ، وكانت مجالات هاته التصانيف تتراوح ما بين فتاوى أو ردود على العلماء و الفقهاء أو تعليقات على الكتب أو تصانيف كانت تزيد عن العشرين ، ويتعلق الأمر بالمؤلفات التالية :

1-المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب ، و الذي بصدد دراسته من خلال فتاوى أهل الذمة ، وهو أشهر كتبه و به اشتهر فقد جمع فيه النوازل الفقهية في شكل أبواب تتصل بتعامل الأشخاص ،و تهتم بشؤون المجتمع و أثار فيه مسائل ثقافية و اقتصادية و اجتماعية ،مثل التعليم و القضاء و الاجتهاد وغيرها ، و من خلال هذا المؤلف ساهم الونشريسي في المحافظة على التراث الفقهي لرجال القضاء و الإفتاء و التشريع في المغرب الإسلامي وهنالك إشارة عن ذلك يقولها" جمعت فيه من أجوبة متأخيرهم العصريين و متقدميهم ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه ،لتبدده و تفريقه "[2] .

2-أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر ،وما قد يترتب عليه من العقوبات و الزواجر . هي على شكل رسالة أجاب فيها على الفقيه أبو عبد الله محمد بن قطية ،وقد تناول فيها حكم بقاء المسلم في أرض الكفر الأندلس و حكم الإقامة في بلاد الكفار عامة ، حققها حسين مؤنس 1996م في صحيفة الدراسات الإسلامية بمدريد[3] ، وبالمناسبة انتقد مؤنس الونشريسي

---

[1] سلسلة الفهارس، فهرسة أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي ،دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط ،المملكة المغربية ،1396هـ/1976م، ص 52

[2] الونشريسي ، المعيار، مصدر سابق،ج1،ص 1

[3] حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ،مج 5، عددان 1و2 ، ص 129وص 192

لفتواه التي تفرض الهجرة من الوطن الأندلس و رأى أن فتواه كانت تتضمن شيئا من التشدد؟ ، رغم أن مؤنس ليس فقيها ، اضافة إلى أن الفتوى لها شروطها ، فعامل الزمان ومكان يحدد طبيعة الفتوى .

لقد كان عنوان هاته الرسالة دقيقا جدا حيث يسميها" من غلب على وطنه من النصارى" و ليس من حكم وطنه ، إذ لقدر الله أن يسيطر النصارى على بلد ما بالسلاح لكنهم لم يقتلعوا روح الإسلام منه بل تنازعوا على الحكم، إضافة أن الرسالة خصصت لنكبة الأندلس و مسلميها الذين أفتى لهم بالهجرة ،ورغم هذا بقي الملايين منهم حتى إصدار المرسوم الأول 1609م و مرسوم "مرسية" سنة 1614[1]م الذي أمر بطردهم نهائيا .

3- إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك : ضم هذا الكتاب مائة و ثماني عشر قاعدة ،وهي قواعد اختلف في تفسيرها فقهاء المذهب و قد طبع هذا الكتاب بالمغرب الأقصى[2] .

4-إضاءة الحلك و المرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك .

عبارة عن جواب رد فيه الونشريسي على الشيخ عبد الرحمن الحميدي بن سليمان الحميدي 894هـ/1488م قائلا " ... ثم لما لج في ضلاله، وتمادى على ردي خلاله حملني لحاجة ، وعدم انقياده للحق و اعوجاجه ، أن ألفت في المسألة تأليفا مفيدا جدا... سميته بإضاءة الحلك و المرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك"[3] وفي هاته نلحظ أن الونشريسي يتهم الشيخ الحميدي بالضلال لفتوى أفتاها رغم ما وصله من الونشريسي في شأنها.

---

[1] سلمى خضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998 م ،بيروت، لبنان، ط1 ، ص 140

[2] تم تحقيقه من أحمد طاهر الخطابي بالمغرب سنة 1980 ، وطبع مرة ثانية بتونس من تحقيق محمد قويدر سنة 1985م

[3] الونشريسي ، المعيار، مصدر سابق ، ج8،ص 334

5-المنهج الفائق ،و المنهل الرائق و المعنى اللائق بآداب الموثق و أحكام الوثائق و كان هذا الكتاب في صناعة التوثيق ،و مما يثير الشك هو قول ابن مريم أن الكتاب لم ينته منه الونشريسي[1] ، وذكر أبو القاسم سعد الله الكتاب[2] و قد طبع بفاس سنة 1880م .

6-الأجوبة و تعرف "بالمسائل القلعية"

عبارة عن أزيد من خمسين مسألة وردت على الونشريسي من قبل الفقيه أبي عبد الله محمد القلعي[3] فأجاب عنها ، حيث ذكرها ابن مريم "....تسمى بالقلعية وقد انتفع الناس بها ..." [4].

7-الوفيات ذيل به كتاب شرف الطالب في أسنى المطالب ابن قنفذ .

8-الولايات و تناول فيه الخطط الشرعية في سبع عشرا ولاية و هو مطبوع[5]

9-الأسئلة و الأجوبة

مجموعة من الأسئلة و الأجوبة و ضعها في كتاب عام 871هـ/1466 م بتلمسان و بعث بها إلى أستاذه عبد الله القوري حيث قال" ...كتبت إلى الشيخ أبي عبد الله القوري رحمه الله ،سنة إحدى وسبعين و ثمان مائة ،وأنا بتلمسان ،أسأله عن عدة مسائل...."[6].

---

[1] ابن مريم ،البستان، مصدر سابق، ص54

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، ،1418هـ/1998م، ط01 ، ص120 و ص 124

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ص126

[4] ابن مريم، البستان ، مرجع سباق ،ص 271

[5] تم طبعه في المملكة المغربية بتحقيق محمد حجي 1976 م

[6] الونشريسي ،المعيار، مرجع سابق، ج6 ،ص574

10-تنبيه الطالب الدراك ،على توجيه الصلح المنعقد بين ابن صعد و الحباك و هي رسالة من ستة عشرا صفحة أدرجها في المعيار[1].

11-نظم الدرر المنثورة وضم الأقوال الصحيحة المأثورة في الرد على من تعقب بعض أقوال جوابنا على نازلة صلح السيفي و ابن مدورة " رسالة قصيرة جاءت في المعيار[2].

12-فهرسة وضعها برسم تلميذه القاضي ابن عبد الجبار ذكرها الكتاني[3] .

13-عدة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع و الفروق

يتناول مقاصد الشريعة الإسلامية فيه ،و يحتوي على عدد ضخم من الفروق التي تبين العلل في إختلاف الأحكام بين المسائل وهو موضوع قل فيه التصنيف[4] .

14-الفوائد المهمة " فوائد في التصوف و الحكم و الأحكام" كما يسمى ذكره محقق عدة البروق

15- الواعي لمسائل الإنكار و التداعي ذكره المؤلف في ايضاح المسالك [5].

16-شرح الخزرجية في العروض

17- تعليق على كتاب الأعلام القريب النائي في بيان خطأ عمر الجزنائي جاء في كتاب أزهار الرياض[6].

---

[1] المصدر نفسه ،ص541و ص 543

[2] الونشريسي ،المعيار ،ص 574و ص 575

[3] الكتاني، سلوة الأنفاس، مرجع سابق، ج2 ،ص 278

[4] الونشريسي،عدة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع و الفروق ،مصدر سابق، ص 106

[5] الونشريسي ، المعيار، مصدر سابق ، ج1 ، ص3

[6] المقري ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، مصدر سابق ،ج1،ص4

من خلال كل هذا استطعنا أن نجمع أكبر قدر من التصانيف التي ألفها الونشريسي، فمنها ما هو محقق و منها ما ينتظر ، وقد ساهم العلامة الونشريسي في اثراء المكتبة التراثية بنوعية مؤلفاته التي لا تزال تدرس إلى اليوم، وبذلك حفظ للمرجعية المالكية قدرا كبيرا ، وساهم في تطورها خاصة في الفترة التي كانت المنطقة تعيش عصر ضعف في جوانب مختلفة .

المبحث الثاني : كتاب المعيار و قيمته العلمية

في هذا المبحث سنتطرق إلى التعريف بكتاب المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية و الاندلس و المغرب ، و اهم ما جاء فيه من فتاوى فقهية و اين تجلت قيمته العلمية خاصة في جانبها التاريخي وهذا من خلال العناوين الآتية :

-تعريف مؤلفه المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية و الاندلس و المغرب

-أهم ما جاء في كتاب المعيار

-قيمة الكتاب العلمية

المبحث الثاني: كتاب"المعيار" وقيمته العلمية

1/التعريف بالمعيار أو " المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب"

إن التطرق لكتاب فقهي مثل المعيار هو بمثابة كشف للتاريخ السياسي و الاجتماعي و الثقافي لمنطقة المغرب الإسلامي و الأندلس، إذ باعتباره مصدر ضخم جمع مختلف الفتاوى و النوازل عن علماء عصره و سلفه ،اضافة كون الكتاب يعطينا بصورة دقيقة وضعية الأقلية الدينية أو أهل الذمة و ظروف عيشها داخل بيئة اسلامية ومدى التفاعل الحاصل بينها وبين المسلمين في جوانب عديدة من الحياة .

كانت أو طبعة للكتاب في فاس ، في 12 جزءا ، وقد استمد الونشريسي فتاويه كما يقول التنبكتي من نوازل مازونة و نوازل البرزلي و أضاف إليهما ما تيسر من فتاوى أهل فاس و الأندلس [1].

حيث قام إيميل آمار E.Amar بتحليل هاته الفتاوى تحليلا عاما في نشرية الأرشيف المغربي archives marocaines مجلد 13 و 12 باريس 1908 -1909 م الصفحة 522 و الصفحة 536[2] .

كما اعتمد برانشفيك و روجي إدريس في أطروحتيهما و درس إدريس أيضا 245 فتوى متعلقة بالنكاح من الجزء 2 و الجزء 6 في مقال بعنوان: الزواج الإسلامي في المغرب من خلال فتاوى المعيار للونشريسي

[1] التمبكتي ، نيل الإبتهاج ، مصدر سابق ،ص 395و ص88

[2] سعد غراب ، كتب الفتاوى و قيمتها الإجتماعية "مثال نوازل البرزلي" ، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية ، مصر، القاهرة، ،1975م ،ص 75

le mariage en occident musulman d'aprèes un choix de fetwa .mèdièvales extradites du mieyar d'al –wansarisi [1]

كما قام الأستاذ محمد حسن موسى مدخلا لدراسة المجتمع الفلاحي المغربي من خلال نوازل الونشريسي قسم المزارعة و المساقاة و الشركة .

بالرجوع لكتاب المعيار باعتباره أكبر الجوامع كما [2] نجده قد جمع ألفين و خمس وثلاثين فتوى صدرت عن مشاهير علماء عصره ، و لا ننسى أنه اعتمد في فتاوى المغرب الأوسط و الأدنى على نوازل البرزلي كما اشرنا سابقا و نوازل المازوني صاحب الدرر [3] ،وإذا تتبعنا النوازل التي جاءت في المعيار نجد أنها لا توجد إلا في هذا الكتاب ، فالكتب النوازلية التي جمعت قبل عصر الونشريسي تحتوي على نوازل غير التي توجد في المعيار.

أما إذا أردنا أن نعرف تاريخ بداية التأليف فنقول أن المصادر التاريخية لم تمدنا بالتاريخ المحدد ،لكن تاريخ الانتهاء منه كان قد صرح به الونشريسي بقوله" و كان الفراغ من تقييده مع مزاحمة الأشغال ، وتغير الأحوال ،يوم الأحد الثامن والعشرين من شوال ،عام واحد و تسعمائة" 901هـ /1495م[4] ،إذ

[1] ستوديا اسلاميكا ،مركز البحوث الاسلامية و الاجتماعية ،جامعة شريف هداية الله ،جاكرتا ،اندونيسيا ، عدد32 ، 1970م ، ص 175 و ص167

[2] محمد ابراهيم علي ، اصطلاح المذهب عند المالكية ، دار البحوث للدراسات الاسلامية و احياء التراث ،دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1421هـ/2000م ،ص578

[3] التمبكتي، نيل الإبتهاج، مصدر سابق،ج2،ص 340

[4] الونشريسي، المعيار، مصدر سابق،ج12،ص395

يظهر أنه بعد سقوط غرناطة بثلاث سنوات ، و أول من قام بإخراج أو نسخ المعيار فقول أحمد منجور ، فهو لما تناول ترجمة السكتاني[1] ذكر أنه كان ذاكرا لكثير من النوازل الفقهية ،باحثا عنها و عن غيرها فيكتب بيده ويشتري بماله وما يبرهن على ما قلناه سالفا هو قوله" وقد استنسخ نوازل أبي العباس الونشريسي ،وهو أول من أخرجها ..."[2] ، وبالرجوع لمحمد حجي نجده في مقدمة الجزء الأول للمعيار يشير أن اثنان من الفقهاء المغربيان هما من نشراه في مجلد واحد ،كان أحمد بن سعيد المجيلدي الفاسي1094ه[3] واحد منهما ، و ربما هذا يبعث على شيء من التناقض فمن قول أحمد منجور إلى قول محمد حجي ،ولكن يمكن أن حجي كان يقصد أول من جمع المعيار في كتاب واحد لا أخرجه على أصله .

ثم يذكر حجي أن أول طبعة لكتاب المعيار كان في فاس سنة 1314ه/ 1897 م بالمطبعة الحجرية في إثني عشرا جزءا ،بعناية ثمانية من الفقهاء و الخطاطين و المصححين وعلى رأسهم ابن العباس البوعزاوي* الفاسي[4] .

[1] أبو الحسن علي بن الحاج أبي بكر السكتاني مفتي مراكش ،قتل سنة 964ه،1556م، أنظر/ فهرسة المنجور، مصدر سابق ، ص 38 و 40

[2] المصدر نفسه ، ص36،38

[3] الونشريسي ، المعيار ،مصدر سابق ،ج01، ص "ط"

[4] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق ،ص-ط-

*أبو العباس بن المهدي بن العباس البوعزاوي الفاسي ، محافظ خزانة مسجد القرويين و المسجد الأعظم بفاس، تلقى العلم عن جماعة من الفقهاء منهم أبو الحسن سيدي علي ظاهر المدني و و قاضي مكناسة العلامة سيدي احمد بن طالب بن سودة ، و العلامة جعفر الكتاني و عبد الملك الضرير وغيرهم ، وكان له اعتناء كبير بنسخ الكتب الغريبة و النادرة ، وقد ساعد العلامة سكيرج كثيرا بمنحه بعض الكتب النفيسة وذلك ايام دراسته بالقرويين و مدحه في قصيدة مطلعها"

-ما في وصالك لي يرى من باس و ترد بعد البعاد نعاسي ، وتوفي سنة 1337ه بفاس ، أنظر/ الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج01، ص 294 ، و أحمد بن العياشي سكيرج، قدم الرسوخ، رقم 39،أنظر/:www.cheikh-skiredj.com

2/أهم ما جاء في كتاب "المعيار"

خلال دراستنا هذه اعتمدنا نسخة من طبع و نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية المغربية ، وتم طبعها بأمر ملك المغرب الحسن الثاني وكان بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر هجري كما جاء في النسخة، و بإشراف مجموعة من الفقهاء على رأسهم محمد حجي ، وقد طبع الكتاب سنة 1401هـ/1981م، ومما يجدر ذكره أن هذه النسخة غير محققة بل هي مخرجة فقط ، ولهذا يحتمل ان نجد فيها بعض السقط، خاصة في الألفاظ التي تكون عامية ، إضافة أن محمد حجي لم يذكر مراحل الاخراج او كيف تم ذلك، او ماهي النسخ التي اعتمد عليها في عملية الاخراج .

جاء الكتاب في اثنتا عشرا جزءا، احتوى كل جزء منه على ما يلي:

الجزء الأول: خصصه المحقق للتعريف بالكتاب و صاحبه

الجزء الثاني:نوازل الصيد و الذبائح و الأشربة و نوازل الأيمان و النذور و نوازل الحدود و التعزيرات

الجزء الثالث: و فيه نوازل النكاح

الجزء الرابع : و فيه نوازل الخلع و النفقات و الحضانة و الرجعة ، ونوازل الإيلاء و الظهار و اللعان ، ونوازل التمليك و الطلاق و العدة و الاستبراء .

الجزء الخامس: وفيه نوازل المعاوضات و البيوع

الجزء السادس: نوازل الوصايا و بقية نوازل البيوع و نوازل الرهن ، و الصلح و التفليس و الحمالة و الحوالة

الجزء السابع: نوازل الأحباس

الجزء الثامن: مسائل المياه و المرافق و نوازل الشفعة و القسمة ونوازل الإجارات و الأكرية و الصناع وبقية نوازل المياه و نوازل الضرر و البنيان

الجزء التاسع : بقية نوازل الوديعة ، نوازل العارية و الوديعة ،نوازل الهبات و الصدقات و العتق ،نوازل الوصايا و أحكام المحاجير ،ناوزل الغضب، نوازل الإكراه الاستحقاق

الجزء العاشر: نوازل الأقضية و الشهادات و الدعاوى ، نوازل الوكالات و نوازل الإقرار و المديان

الجزء الحادي عشر: نوازل الجامع

الجزء الثاني عشر: توابع نوازل الجامع[1] .

لقد جاءت عدد الاجزاء كثيرة نظرا للكم الهائل من النوازل التي دونها الونشريسي ، مما يبين سعة الاطلاع و شمولية الكتاب كونه تناول كل ابواب الفقه من جانب نوازلي ، وهو بذلك كنز علمي لا يقدر بثمن .

إن المسائل التي عالجها الونشريسي هي ما يمكن أن تتطرق إليه كتب النوازل ، من مواضيع اقتصادية و اجتماعية و دينية و فكرية، وهذه كلها تعرض إليها غيره من فقهاء النوازل إلا أن الفرق الذي يميز الونشريسي عن غيره ، هو تركيزه على بعض المسائل دون أخرى ،كتركيزه على مسألة الجهاد فربما كان الوضع الراهن في ذلك الوقت يتطلب ذلك لما كانت المنطقة تعيشه من مواجهة مع القوة النصرانية في الأندلس ، و إعطاء الأسبقية أيضا لموضوع المياه عن غيره من المواضيع.

[1] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق ،فهرس ،ج1،ج2،ج3،ج4،ج5،ج6،ج7،ج8،ج9،ج10،ج11،ج12

3/قيمة الكتاب العلمية :

إن أهمية الكتاب تزداد مع كل جيل خاصة ما عرفه من التطور في الظهور منشورا و بحلى جيدة ، وفي الوقت نفسه ظهرت أهميتها الكبيرة من خلال:

في سنة 1956 قام محمود علي مكي ببيان أهمية كتب النوازل بمناسبة إخراج كتاب "أحكام السوق" ليحي بن عمر 289هـ/901م[1] من المعيار .

نشر حسين مؤنس "أسنى المتاجر" ليطلع هادي ادريس بعدة دراسات قيمة عن الزيريين 1959 م[2] وفي سنة 1966 نشر فرناندو دي لا جرانخا أول بحوثه اعتمادا على المعيار بعد أن قضى سنوات في دراسته و الانتفاع منه ، ثم توسعت الاهتمامات به فكتب محمد حسن عن الريف المغربي من خلال كتب النوازل معتمدا على الكثير من نوازله ، إضافة إلى بحوث فنسون لا غاردير و الذي تناول بعض النوازل من المعيار ، و كتب بيير غيشار مقالا سنة 1990 م عن الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الاندلس خلال القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الميلاديين من خلال فتاوى المعيار[3] ، ثم قام ابراهيم حركات ببحث حول الأوضاع الاقتصادية في العهد السعدي حيث تناول فيه النظام الجبائي و الاقتصادي و الحياة الفلاحية و الصناعة و التجارة بتوظيف المعيار كأحد المصادر ،ثم وظفه محمد القبلي في دراسته وهو المساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين مجموعة من فتاوى المعيار و يطرح الباحث كيف وصل السعديون إلى الحكم .

---

[1] يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني 289هـ/902م ،من أهل جيان ، يعد من فقهاء قرطبة ،سكن القيروان ،له عدة مؤلفات منها" الرد على الشافعي" و "إختصار المستخرجة" و "الميزان"مات بسوسة عن 76 سنة ،أنظر/خير الدين الزركلي،الأعلام ،دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان، 2006 مايو، ط15،ج08، ص160 ، وابي الوليد عبد الله ابن الفرضي، تاريخ العماء و الرواة للعلم بالأندلس، مكتبة الخانجي،القاهرة، 1408هـ/1988م،ط02،ص 181

[2] Idris –r.h-la berbère orientale sous les zirides -2 vols—paris-1959 pp-145 /146

[3] سعد غراب ، كتب الفتاوى و قيمتها الاجتماعية ، مصدر سابق، ص 76

يجب علينا ذكر ما ذهب إليه المنوني إلى مدى أهمية الكتاب ،إضافة إلى تنبيه ابو القاسم سعد الله ، فبعد أن قدم الكتاب و ما يحتويه ،نبه إلى قيمته فهو كما قال :أنه ليس فقط موسوعة للفقه المالكي ،بل حتى في القضايا الاجتماعية و السياسية و العلمية [1] ، إضافة إلى تأكيد الأستاذ ناصر الدين سعيدون على قيمته في أبحاثه المتعلقة بالأوقاف[2] و كما اعتمد عليه محمد مزين في دراسته عن فاس و البادية سنة 1979م و قد وظف فريق من الباحثين المعيار في بحث حول الحصون في الأندلس في ندوة أقيمت عام 1993 م[3] بتونس .

لقد شكل كتاب "المعيار المعرب" قيمة فقهية لا يضاهيها فيها أي مدون في علم النوازل قديما ولا حديثا و أصبح لحد اليوم محاط الباحثين خاصة في التاريخ الاجتماعي لسكان منطقة المغرب الإسلامي ، ولم يفقد قيمته العلمية بل العكس ازدادت مع الوقت كونه كان مؤلفا شاهدا على فصول و احداث لم تنقلها لنا الروايات و حتى المصنفات التاريخية آنذاك.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1،ص 143

[2] ناصر الدين سعيدون، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم و مؤرخين و رحالة و جغرافيين " دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، ،1999م،ط1 ، ص 277 و ص 285

[3] محمد مزين، الأرض في العلاقات بين فاس وباديتها خلال القرنين 16مو17م، تطور العلاقات بين البوادي و المدن في المغرب العربي، سلسلة الندوات و المناظرات رقم 10، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس ، الرباط ،المملكة المغربية، 1988م، ص15و36

المبحث الثالث : عصر الونشريسي

سنتناول في هذا المبحث عصر الونشريسي بما يحمله من مستجدات آنذاك خاصة على الساحة السياسية نقطة تحول في العالم بأسره ، اذ كان العصر الذي انقلبت فيه موازين الحضارة فعرف العالم الاسلامي البداية الفعلية للانحطاط بسقوط غرناطة و اكتشاف العالم الجديد ، أما في المغرب الاسلامي فقد ورثت ثلاث دويلات ضعيفة الارث الموحدي مما جعلها تفشل في تسيير الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للمنطقة اضافة للتناحر حول السلطة ، و سنستعرض هذه الجوانب من خلال العناوين الآتية:

-الحياة العلمية

-الحياة السياسية

-الحياة الاجتماعية

عصر الونشريسي

كان عصر الونشريسي بداية تصدع الحضارة الإسلامية لما شهدته الفترة من ركود في مختلف الجوانب ، فحتى الحياة العلمية لم تزخر بالجديد المعرفي و العلمي خاصة في مجال العلوم العقلية ، أما في مجال العلوم النقلية فكانت أغلب الانتاجات تفتقر إلى التأثير في الحياة العلمية و الممارسات الدينية ، واذا أردنا معرفة طبيعة البيئة العلمية أيام الونشريسي فيمكننا أن نتطرق اليها كالآتي :

1 / الحياة العلمية :

من خلال ما ألفه الونشريسي وغيره في عصره ، يتضح أن هناك نقلة نوعية من حيث طغيان العلم على مختلف الجوانب الحياتية داخل المجتمع الحضاري ،إذ لا ننسى أن في عصره كثرت تراجم الكتب الأندلسية إلى اللاتينية ،و حولت مئات المكتبات بعد التهجير القصري نحو المغرب الإسلامي ،فهذا عامل أساسي في كثرة عملية النسخ و التأليف و كذلك نجد من بين العوامل المؤثرة في ازدهار الحياة العلمية وفود عدد كبير من علماء الأندلس نحو الشمال الإفريقي ،وبذلك كان شعاعهم العلمي ظاهرا جدا ، ولو قلنا أن تلمسان و فاس كانتا منبع كبير لحركة علمية راقية ، لتأكد ذلك من خلال كثرة العلماء الذين أنجبتهم المدينتان ، وقد كانتا على اتصال مستمر حيث خضعتا لسلطة سياسية واحدة ، وحتى بانفصالهما سياسيا بقيا على اتصال وثيق.

إن ما يمكننا تقديمه على وجود صلات فاعلة بين حاضرتين ،تلمسان و فاس هو وجود أسباب و ظروف منها:-أولا :كانت كلتا المدينتين عاصمة سياسية ،تحتضن السلطان ،مما يؤدي إلى إنفاق أموال كبيرة على العلم و المعرفة و تشجيع التنافس العلمي و الفكري ، وهذا دفع بأغلب أهل العلم بالإستقرار بها[1] .

[1] ابراهيم حركات، الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، مجلة الأصالة ،الجزائر، عدد26 ، 1395 هـ، 1975م، ص188

-ثانيا: الهجرة التي كنا قد أشرنا إليهما من الأندلس و إلى المغرب الإسلامي ،وهذا هروبا من الأوضاع المتردية في شبه الجزيرة الإيبيرية ،وهذا ما كون الجماعة الأندلسية فحملوا معهم حضارتهم فساهموا في تسريع وتيرة الحركة العلمية[1] ، وثالثا :الصلات العلمية و الفكرية بين علماء المغرب الأوسط و الأقصى .

من خلال كل هذا يظهر أن العصر الذي عاش فيه الونشريسي عرف ،تغيرات سياسية كبيرة منها سقوط الأندلس[2] و ظهور قوة الأتراك كمخلص ، و رغم هذا بقيت الحياة العلمية شبه مزدهرة الحال تعرف على فترات نوعا من الركود وهذا بعد القرن التاسع هجري ، أما المجال السياسي و الاجتماعي فسيعرف تحولا ملحوظا مما سيؤثر في تكوين منطقة المغرب الأوسط بشكله الحالي بنسبة كبيرة جدا .

2/الحياة السياسية :

تشكل السلطة السياسية عاملا مهما في إدارة شؤون الحياة ، اذ باستقرارها تزداد قوة الحضارة و يكثر الإقبال على المعرفة و العلم، ولعل الونشريسي أثرت فيها المستجدات التي طرأت على الواقع سواء بوجوده في المغرب الأوسط في الفترة الأولى أو بفاس في الفترة الثانية ، ويمكننا تناول كلتا المرحلتين ومدى تأثيرهما فيه.

أ-الحالة السياسية في المغرب الأوسط: كما هو معروف فقد عايش أبو العباس الونشريسي الدولة الزيانية في المغرب الأوسط ، فعاش الأربعين سنة الأولى من حياته في بيئة حافلة بالأحداث السياسية ،تمثلت في اضطرابات شديدة ظهرت في التنافس على الحكم و بالرجوع إلى تاريخ ولادة الونشريسي نجده يعاصر فترة حكم" أبو العباس العاقل ابن السلطان أبي حمو موسى الثاني 834 هـ/866 هـ " وقد كان

[1] محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،سلسلة بحوث ودراسات رقم 20، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المملكة المغربية ، 1420هـ/2000م، ط03، ص 32

[2] ناصر الدين سعيدون، الجالية الأندلسية بالجزائر ،مساهمتها العمرانية و نشاطها الاقتصادي و وضعها الاجتماعي، مجلة أوراق مدريد، إسبانيا، عدد 04، 1981م ، ص 124 .

هذا مدعوما من الحفصيين ، وقد ضبط الأمور و استتب الأمن و اظهر حسن السلوك و السيرة[1] مما أكسبه عطف الرعية و مودتهم ، وهذا ما جعله ينقلب على الحفصيين سنة 837هـ ، و خرج أبي فارس الحفصي إليه و احتل جبل وانشريس[2] قهرا و ضم أهله تحت طاعته و لكنه توفي وهو في طريقه نحو تلمسان فعاد جيشه .

ولم تهدأ الأوضاع في فترة العاقل حتى ظهر أخوه المعتصم المدعو أبو يحي ، والذي أغار على تلمسان بمساعدة من أحياء العرب سنة 840 هـ و لكن أبا العباس ردهم فأرتد أبو يحي إلى وهران و استولى عليها[3] ، لكن الصراع لم يهدأ ، فقد تناحر أفراد الأسرة الحاكمة فيما بينهم ،ففي سنة 842 هـ هاجم المغرب الأوسط أبو زياد محمد الملقب بالمستعين بدعم من الحفصيين و قد لعبت القبائل العربية دور كبيرا ، واحتل مدينة الجزائر و متيجة و تونس و مليانة[4] ، وقد واصل في توسعاته حتى شارف على حدود سلطان أبي العباس العاقل ، لكنه عاد للجزائر ليؤسس لدولته الجديدة ،ولكن أبا يحي أخ السلطان أبي العباس أطاح به ، وقد تجدد الصراع بين أبا العباس و أبي يحي على مدينة وهران سنة 851هـ ففر أبا يحي لبجاية ثم لتونس وتوفي بها سنة 867هـ.

[1] مبارك الميلي ،تاريخ الجزائر القديم و الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، 1986 م، ج2 ، ص 462

[2] وارسنيس بالأمازيغية و تعني أعلى ، سلسلة جبال تقع شمال غرب الجزائر و يبلغ طولها 1985م ، وتمتد من شرق وادي شلف إلى غرب وادي مينا ،وهي تابعة اقليميا لتسمسيلت و تشمل السلسة عدة ولايات كغليزان وشلف و المدية و تيارت و عين الدفلى و كنا قد أشرنا في المبحث الأول إلى وجود اضطرابات عجلت برحيل أسرة الونشريسي من منطقة الونشريس إلى تلمسان /أنظر ، موسوعة ويكيبيديا ،بوابة الجزائر ، جبال الجزائر ، www.wikipedia.org و الزركلي ،الأعلام ،مصدر سابق ، ج04،ص 14

[3] عفيفة خروبي ، أصول فتاوى أبي العابس الونشريسي في العيار المعرب، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006م ، ص56

[4] مليانة مدينة قديمة، تقع جنوب غرب الجزائر ، بناها الرومان و أطلقوا عليها اسم مكنانة و قد حرف العرب الاسم فأصبح مليانة،سكنها بلكين بن زيزي و كانت مشهورة بطواحينها ، أنظر/ الحسن الوزان ليون الإفريقي، ،وصف إفريقيا ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ، ج2 ،ص 34 و ص 35 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق، ج05 ،ص196

أما الحفصيون فلم يفوتوا الفرصة للدخول في المشاكل التي لحقت بالبيت الزياني مما جعلهم يزحفون على المغرب الأوسط و يتوسعوا في البلاد ، فخرج أبو عمرو عثمان الحفصي سنة 866 ه متجها لتلمسان مستعينا بالعرب كقبائل سويد و بنو عامر[1] ، وهذا ما جعل أبي ثابت يبايع أبي عمرو و بذلك كانت المبايعة سلمية. في هاته الظروف المتردية ،اضطر أبو العباس الونشريسي إلى مغادرة البلاد بسبب العلاقة السيئة بينه و بين السلطة وقد أشرنا إلى ذلك سابقا ، وبهجرته انتقل إلى جو سياسي آخر ربما لا يكاد يختلف عن نظيره في المغرب الأسط .

ب/الحالة السياسية في المغرب الأقصى:

لم تكن الفتن بالمغرب الأقصى أقل من ما كان يحدث بالمغرب الأوسط، إذ عرفت تعاقب سلاطين كثر تميزوا بضعف الشخصية و سوء إدارة البلاد ، وهذا ما يظهر في السلطان عبد الحق أبي سعيد المريني869هـ/1465م [2] و الذي أولى الوزارة لأحد العاملين من اليهود ،مما زاد ظلمهم للرعية ، ولعل حادثة المرأة الشريفة من بني مرين التي تعرضت للضرب من طرف أحد اليهود جعلت من خطيب وفقيه فاس أبو فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي حثه للعامة على الفتك باليهود و خلع طاعة السلطان عبد الحق ، مما فجر ثورة شعبية قضت على اليهودي و السلطان سنة 869هـ و بوفاته انتهى حكم بنو مرين[3] وقد عين أبو عبد الله الجوطي على العرش ، فلم يستطع السيطرة على الأوضاع فعزل سنة 871هـ

وفي هاته الأوضاع أقبل الونشريسي إلى فاس . فصعد بنو وطاس بزعامة محمد الشيخ و تمكن من إخضاع مدينة فاس سنة 874هـ فقامت دولة جديدة بالمغرب الأقصى، لكن المشاكل التي عرفتها البلاد أثرت على الزعيم محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي نذكر منها :

---

[1] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر مرجع سابق، ص 465

[2] أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد و جعفر الناصري، دار الكتاب للنشر ،الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م، ج02 ،ص95 و ص 96

[3] المصدر نفسه ، ج2،ص 114

-ظهور الفتن الداخلية كالثورات على السلطة السياسية و التي كانت تنبئ عن الحالة الغير مستقرة في المنطقة ، مما خلق عند بعض المتصوفة حالة من النقم وهذا ما ظهر في ثورة أحد المريدين وهي ثورة عمرو بن سليمان المغيطي المعروف بالسياف[1] وقد دامت عشرين سنة حتى سنة 890هـ وقد قتل السياف* في هاته السنة، كذلك احتلال البرتغال لأهم شواطئ المغرب. أما زوال مملكة غرناطة فكان الكارثة لتدهور المسلمين فسقطت ايدي القشتاليين سنة 897هـ/1492م و بذلك ذهاب دولة بني الأحمر ، فوفد أبي عبد الله بن الأحمر على السلطان الوطاسي محمد الشيخ لاجئا له حيث ناشده بأبيات ذكرها المقري في أزهار الرياض:

مولى الملوك ملوك العرب و العجم   رعيا لما مثله يرعى الذمم

بك استجرنا و نعم الجار أنت لمن   جار الزمان عليه جور منتقم[2]

-وتوسع النفوذ البرتغالي بالاستلاء على مدن مغربية في سنوات 907هـ و910 هـ و 912 هـ و 914هـ و هي سنة وفاة الونشريسي .

لقد أثرت الأحداث السياسية التي عصفت بالمغرب الأوسط في الونشريسي ،اذ نراها في فراره من تلمسان ولجوئه لفاس أما الأحداث في المغرب الأقصى فكانت لا تقل بكثير عن ما فارقه ، و ربما نلحظ ذلك في مؤلفه أسنى المتاجر و الذي يعبر بشكل صريح عن الاوضاع المتردية بشكل كبير في الاندلس و ما جاورها .

---

[1] الناصري، الاستقصا، مصدر سبق ذكره ، ج2،ص 122

*عمرو بن سليمان الشيظمي المغيطي،كان من تلامذة محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات ،و قد ادعى النبوة وثار على الوطاسيين في ثورة دامت 20 سنة قتل سنة 890هـ أنظر/ الأستقصا ،ص122 و محمد جنبوبي، الأولياء بالمغرب ، دار القرويين للنشر ، المملكة المغربية ،1425هـ/ 2004م،ص 186 و ص 187

[2] المقري، أزهار الرياض، مصدر سابق ،ج1،ص 72

3/ الحياة الاجتماعية :

إذا أردنا معرفة طبيعة الحياة الاجتماعية التي ميزت المغرب الأوسط و الأقصى ،يجب علينا الرجوع بلا شك إلى الونشريسي كدليل دامغ يظهر لنا دقائق المجتمع عن طريق النوازل ، ولكن ما سنحاول التطرق له في هذا الباب هو ،كيف كان المجتمع في سيادة الزيانيين ؟ و ما هي الطوائف التي عاشت فيه ؟

ربما لا يمكننا أن نتطرق بالتفصيل في هذا المبحث عن المجتمع لأننا سنخصص ما تبقي من الدراسة له ، وكعينة أخذنا منه أهل الذمة ، معتمدين بذلك على نوازل الونشريسي . بعد الاضطرابات الحاصلة في منطقة المغرب الإسلامي خاصة السياسية ، جعلت الأخيرة المجتمع يتغير و اقتصاده يأخذ منحى مغاير ، خاصة مع ازدياد النفوذ الاسباني و البرتغالي في المنطقة ، وهذا أدى إلى ظهور ظاهرة البداوة، بفقدان أهم الحواضر الساحلية و التي أصبحت مراكز استيطان خاصة بالجنود و بعض الجاليات ،أسفر هذا على هجرة جماعية ، فإما بسبب اختلال الأمن و انقطاع السبل[1] .

إذا أخذنا قراءة لأصناف السكان الذين يكونون المجتمع يمكن أن ندرجهم في أربعة أصناف هي:

أ/البربر:

وهم السكان الأصليون لبلاد المغرب الإسلامي ،ولعل زناتة كانت تشكل الأغلبية الساحقة فابن خلدون يفيدنا بنص يؤكد ذلك" و الأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم و يعرف بهم فيقال وطن زناتة "[2] ومن أشهر قبائل زناتة مغراوة و بنو يفرن و جراوة و بني عبد الواد و بني زروال و غيرهم ، و

[1] محمد حجي، الحركة الفكرية في المغرب في العهد السعدي ، دار المغرب للتأليف و النشر و التوزيع، المملكة المغربية ، 1977م، ج1،ص 51

[2] إبن خلدون، العبر ،مصدر سابق، ج7،ص 11

لا ننسى أيضا ما فعله السلطان أبو حمو موسى الأول حيث نقل إلى تلمسان رهائن الوطن حضرا كانوا أو بدوا و أسكنهم بقصبة المدينة حيث لا تخرج قبائلهم عن الطاعة و لا تتجرأ عن الامتناع في دفع الجباية [1] و هذا مع سماح السلطان لهم ببناء الدور و اتخاذ النساء و تشييد المساجد و الأسواق، وما نلحظه أيضا من هذا التمازج هو صناعة مجتمع من مختلف العرقيات قصد الهيمنة سياسيا عليه ، و صناعة الولاء للدولة.

ب/ العرب: ان التحدث عن هذا الجنس في إقليم المغرب الإسلامي يقودنا لحقيقة ، وهي أنهم دخلوا المنطقة مع سلسلة الفتوح ،فالفئة الأولى من التابعين كأبي مهاجر الدينار62هـ-681م و موسى بن نصير و عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنهم ، كانوا الأوائل من العرب في هذه المنطقة ، ولكن الدخول الحقيقي للعرب كان مع الهجرة الهلالية حيث عربت المنطقة رغما عنها و شهدت تحولات جذرية سواء من الناحية الاجتماعية كظهور عادات و تقاليد جديدة أو اقتصادية كظهور مهنة الرعي[2] على حساب مهن أخرى ، وبذلك كان للقبائل العربية دور كبير في المجتمع و السلطة.

ج/المسيحيون : وهم من أصل أوروبي ، وترجع علاقتهم بالمغرب الأوسط إلى زمن بعيد ، إذ نص البكري يقودنا إلى وجودهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ، بأنهم كانوا يأتون لكنيسة مسيحية بأجادير بتلمسان ولكن مع السلطة الموحدية و التي كانت قاصية معهم و التي هدفت إلى إزالة كل مظاهر الوجود المسيحي في المنطقة ،و ما يمكننا جزمه هو وجود المسيحين في فترة الزيانيين انما كان آنيا لا يتصل بالمسيحين الذين أشار ‘اليهم البكري ، وهم أربعة أقسام:

---

[1] ليون الافريقي، وصف إفريقيا ،مصدر سابق، ج2،ص 21

[2] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية و إشكالية إنحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط ، مجلة الأداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة، الجزائر، عدد04، 1425هـ/2004م ،ص 44

أولا : الجند

ثانيا: الصقالبة

ثالثا : السود

رابعا: الأغزاز أما بعضهم أتوا من مدن عدة كالبندقية و جنوة و قشتالة و أرجون ، ولا ننسى أن يغمراسن استعمل بعضهم كمرتزقة ، في حين زاد نفوذهم في الدولة حيث استغلوا استعراضا أقامه يغمراسن في باب القرمادين 653هـ للتخلص منه ،في مؤامرة[1] دعته للتخلص منهم، وفي الوقت تخبرنا بعض النصوص اللاتينية أن مجموعة من هؤلاء المرتزقة ،تتكون اساسا من القشتاليين و الآراغونيين و القطالونيين أنهم قاتلوا في صفهم بقيادة الأب فيلارجو و غيوم دي كارتيلا ضد بنو مرين.

د/ اليهود: كانت الكارثة قد حلت عليهم زمن الموحدين حيث تعرضوا لجرائم بشعة في بعض مدن الأندلس، كميورقة، ولكن بعض التجار منهم استقروا بتلمسان نتيجة موقعها الجغرافي الحيوي و تحكمها في الطرق التجارية و شاركوا في الحياة الاقتصادية بشكل كبير مما ساهم في فعالية الحركة الاقتصادية ، وبسقوط الأندلس كانت تلمسان مع موعد نزوح الألاف من المهجّرين اليهود ، اذ هذا العامل خلق مشاكل بين اليهود القدماء و الوافدين الجدد ،وهنا نلحظ اشارة قدمها عطا الله دهينة حيث أشار إلى تدخل الحبر **فراييم انكاوة** في تلمسان لفض النزاع بين الفئتين[2]. و ما تجدر الإشارة إليه أنه إلى غاية اليوم لا تزال هنالك عائلات كبيرة ذات أصول يهودية تستوطن مدينة تلمسان و قسنطينة وقد غلب عليها الزمن ربما بتغيير الدين و العادات .

[1] إبن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج7،ص 84و ص 85

[2] عطا الله دهينة ، الجزائر في التاريخ ، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في دولة بني زيان ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م ،ص 490

لقد تمازجت الحياة الاجتماعية خلال العهد الزياني ، وظهر ذلك من خلال تنوع العرقيات المكونة له ،إضافة إلى مساهمة الأقلية الدينية في الحياة العامة ، و لعل ما سنتناوله فيما تبقى من الدراسة سيكشف أشياء جديدة و أنماط اجتماعية حفظتها لنا النوازل بشكل دقيق .

كان ميلاد الونشريسي نقطة تحول في الفقه المالكي إذ عرف تطورا هائلا خصوصا بما تركه هذا العالم من مصنفات كان لها الأثر البالغ في إعادة التجديد لهذا المذهب ، فالونشريسي بشيوخه الذين تعلم على أيديهم مبادئ المذهب كالجلاب و العقباني و إبن مرزوق هذا أهله ليكون فيما بعد صاحب أكبر مدونة نوازلية عند المالكية ، وهو بذلك حفظ لنا المرجعية الفقهية للمنطقة إضافة إلى أن المدونة تعتبر صورة حية لواقع المجتمع في مختلف نواحيه الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية ، أما أثر السلطة السياسية في المغرب الأوسط كان واضحا و ساهم في رحيل الونشريسي إلى المغرب الأقصى لإكمال الدعوة للعلم ، حيث عجل صراعه مع الزيانيين لأسباب تبقى مجهولة في الغالب الى المغادرة و تم الترحيب به عند المريين في آخر أيامهم ، فأصبح قاضيا في فاس و أحد الذين يرجعون اليهم في المواثيق و العقود أما كتابه المعيار فهو أهم تأليفه ففاق شهرته كل الآفاق ، حيث احتوى على أبواب الفقه المعروفة و لم يترك بابا إلا شمله بصيغة النوازل ، فقيمة الكتاب العلمية كبيرة و هي متجددة في كل عصر وفي كل فن من فنون العلم .

بالرجوع للعصر الذي عاش فيه الونشريسي يمكن القول أنه بداية للانحطاط الفعلي للحضارة الإسلامية و المسلمون في مختلف الميادين ، وهذا ما ظهر في سقوط غرناطة كآخر معاقل الوجود الاسلامي في أوربا ، و كان شاهدا على ذلك ، إضافة إلى الأوضاع المتعفنة سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا في المغرب الإسلامي و التداول الحضاري ظهر بين الغرب الأوربي و المسلمون ، لكن هذا لم يمنع في ظهور بعض العلماء ، و خلاصة القول أن الونشريسي استطاع من خلال مؤلفه المعيار أن يترك حضوره في الفقه المالكي و أن يكون مصدرا لدراسة التاريخ الاجتماعي و الفكري و السياسي لمجتمع المغرب الأوسط و المنطقة بأكملها .

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية لأهل الذمة

المبحث الأول : اليهود و النصارى في بلاد المغرب الأوسط

-اليهود في المغرب الأوسط

-نصارى المغرب الأوسط

-المجوس و أهل الديانات الأخرى.

المبحث الثاني : نوازل أهل الذمة في الحياة الاجتماعية

-طعام أهل الذمة

-اللباس

-الأعياد و الاحتفالات

-الجوار

-المنازعات القضائية

المبحث الثالث: نوازل أهل الذمة في الحياة الاقتصادية

-الجزية

-المعاملات المالية

-نوازل الأحباس

المبحث الرابع: الحياة الدينية لأهل الذمة من خلال النوازل

-نازلة يهود توات

-المناظرات الدينية

يتمحور كلامنا في هذا الفصل على أهل الذمة ، فنستعرض تاريخ وجود مختلف الفئات الدينية التي سكنت المغرب الأوسط خلال عهود زمنية سابقة ، و واقعهم في المجتمع الإسلامي بذكر الحياة الاجتماعية المرتبطة بالممارسات اليومية كاللباس و الأكل و الأعياد و بعض العادات ، إضافة إلى الجانب الاقتصادي و مدى فعاليتهم داخل منظومة الاقتصاد الاسلامي كالبيوع و الجزية و الوقف و بعض المناصب الادارية المالية في الدولة ، لننتقل الى الممارسة الدينية لأهل الذمة و التي نستعرض فيها واقع شعائرهم الدينية و ما مثلته بعض القضايا الدينية مثل قضية يهود توات ، وبهذا نعطي صورة متكاملة لهذا الفئة في المغرب الأوسط، و نبدأ فصلنا بالمبحث الأول و الذي سيكون معنون بــ:

المبحث الأول : اليهود و النصارى في بلاد المغرب الأوسط

وفيه نتناول عن تاريخ وجود اليهود في المغرب الأوسط و طيف هاجروا من المشرق إلى هذه المنطقة و الدوافع لتلك الهجرة، ثم ننتقل الى نصارى المغرب الأوسط كذلك و كيف انتشر الدين المسيحي في المنطقة ، لنعرج في الأخير على بعض الطوائف الدينية الأخرى التي سكنت المنطقة كالمجوس ، وكل هذا اخترنا له عناوين فرعية هي كالتالي :

-اليهود في المغرب الأوسط

-نصارى المغرب الأوسط

-المجوس و أهل الديانات الأخرى .

المبحث الأول : اليهود و النصارى في بلاد المغرب الأوسط

أ/ اليهود في المغرب الأوسط :

1-اليهود:

- **التسمية**: اليهود من الهوادة و هي المودة أو التهود و هي التوبة كقول موسى عليه السلام "... إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ " الآية 156 الأعراف، فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم و مودتهم بعضهم لبعض، و قيل لنسبهم إلى "يهود" أكبر أولاد يعقوب عليه السلام[1] .

عرف اليهود عبر العصور بأكثر من تسمية "عبري" و إسرائيلي لكن تسمية يهود هي الأكثر استخداما و خاصة في المصادر التاريخية العربية[2] .

إن الحديث عن وجود اليهود في بلاد المغرب الإسلامي عموما و الأوسط خصوصا لهو شيء عسير ، وهذا لقدم ونقص المصادر التي تناولت اليهود في المنطقة ، فالأقوال التاريخية متضاربة جدا في تحديد زمن معين لوجودهم و لكن يمكن الجزم أن دخولهم جاء عبر مراحل هي:

2- الهجرة إلى بلاد الشمال الإفريقي :

يرى **أندري شوراكي Andre chouraqui** أن الوجود اليهودي في بلاد المغرب يعود إلى العصور الموغلة في القدم، و يحدد وصولهم مع الفينيقين و الذين أسسوا مدينة قرطاجنة* ، وقد اعتمد

---

[1] محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1998م ، ط1،ص49، أنظر/صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط03،ج01،ص34 و فراس سواح، الحدث التوراتي و الشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين، دمشق، 2000م،ط03، ص261وص262

[2] محمد الأمين ولد آن ، أهل الذمة بالأندلس في ظل الدولة الأموية ، ماجستير ، جامعة وهران، 2005م /2006م ، ص 12

على الاحتمالات، و الرأي نفسه يقدمه **موريس إيزينت** حينما أكد أن الفنيقين رافقهم اليهود وهم من أسسوا النواة الأولى لليهود في بلاد الشمال الإفريقي[1] ، لكن **الأستاذ عطا أبو رية** في كتابه اليهود في ليبيا و تونس و الجزائر يقول" ووصل اليهود إلى هذا المكان-يقصد جبل نفوسة بليبيا- هربا من الاضطهاد الروماني و غيرهم و اندمجوا في حياة السكان الاقتصادية و الثقافية و الدينية و الاجتماعية بمعزل عن الادارة الرومانية و البيزنطية "[2] .

أما **كاهن M B , Kahen** فحدد بداية مجيء اليهود إلى المغرب إثر حملة بطليموس سوتر على بيت المقدس حوالي 320 ق.م و ترحيل أكثر من ألف يهودي إلى مصر ، حيث أرسل جزءا منهم إلى ليبيا استوطنوا بلدة تدعى قورينة** و منها انتشروا لبقية بلاد المغرب[3] ثم تتضح الهجرة إلى المغرب فيما بعد بجلاء اليهود بعد حملة "بنو خذ نصر* "سنة 586 ق.م على بيت المقدس فتوجه عدد كبير من اليهود لمصر و منها لبلاد المغرب[4] و حاولوا الاندماج بالبربر حيث تخبرنا المراجع الأجنبية التاريخية أن جراوة القبيلة البربرية دانت باليهودية وهذا ما يفنده ابن خلدون و هو أن الكاهنة زعيمة هاته القبيلة كانت وثنية

---

[1] مسعود كواتي ، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين ،دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ،2000م ،ص 11 و أنظر / Chouraqui André - Les Juifs d'Afrique du Nord- Marche vers l'Occident-volume97-pp422-424-1953-paris

*قرطاجة و إسمها الفينيقي"قرت حدشت" يعني المدينة الجديدة،أسسها الفينيقيون الذين أتوا من صور سنة 814ق.م وتقع حاليا على بعد 16 كلم من على تونس العاصمة، أنظر/ مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاجة، تحقيق ابراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1981م، ط1، ص 10

[2] عطا ابو رية ، اليهود في ليبيا و تونس و الجزائر، ايتراك للنشر و التوزيع ،مصر، 2005م ،ط1، ص 41

[3] رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية و الإسرائيلية و الروح العدوانية ، عالم المعرفة ، الكويت، 1986م، يونيو، ص 12

[4] مسعود كواتي ، اليهود في المغرب الإسلامي ، مرجع سابق، ص 13

الديانة ،فقد كانت تحمل صنما من خشب أثناء إحدى الحملات التي قام بها المسلمون أثناء عملية الفتح للمنطقة و هذا دليل قوي على أنها لم تكن يهودية الديانة [1] .

3-اليهود خلال العهد الروماني و الإسلامي:

إن الدراسات التي تناولت اليهود في الشمال الإفريقي[2] غالبا ما تؤكد أن الفترة الرومانية هي الأولى التي عرفت الاستقرار الفعلي لليهود و بعدها انتظمت حركة التوافد على المنطقة خلال الحكم الوندالي و البيزنطي ، و قد استمرت بشكل كبير خلال العهد الذي شهد دخول المسلمين للمنطقة .

خلال العهد الإسلامي و خاصة أثناء الفتوحات عومل اليهود على أساس أهل ذمة تكفل لهم الشريعة حقوقهم ، ولكن مع تلاحق العصور و نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس و التي أصبحت اقل ترحيبا باليهود و هذا مع بداية 793/ 794هـ إذ بدأت المذابح المنظمة و الارتداد الجماعي تنذر بانهيار المجتمع اليهودي[3] واستمر هذا لغاية القرن 9هـ لا سيما في مملكة قشتالة و كاتالونيا[4]، و يعبر **الكونت سيركور** بقوله " إن أحدا من الناس لم يتحمس لليهود ، ولم يتأسف على طردهم لأنهم جميعا كانوا يعدونهم

---

[1] عطا ابو رية، اليهود في ليبيا و تونس و الجزائر ، مرجع سابق، ص 45

[2] ناصر الدين سعيدون، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988م، ص 283

*هو ملك بابل(605ق.م-562ق.م) و التي تأسست على أنقاض الدولة الآشورية ،هزم اليهود خلال ثورتهم في مملكتهم بفلسطين ولما أعادوا الكرة أسرهم وقادهم لبابل: أنظر/أحمد عبد الله ،العنصرية اليهودية ،مكتبة العبيكان، الرياض، العربية السعودية، 1998م،ط1، ج1، ص208

**عرفت في المصادر العبرية "كرينيكا" وأنشئت في النصف الثاني من القرن07ق.م و قد إكتشفت بعثة جامعة مانشستر قطعة نقدية يهودية، أنظر/عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2007 م، ص 298

[3] ريموند شايندلين ، اليهود في اسبانيا المسلمة ، سلمى خضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الاسلامية، ج1 ، مرجع سابق ، ص 314

[4] مسعود كواتي ، اليهود في المغرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 15

بلاء و كابوسا يجثم على صدر الطبقة الفقيرة ..."[1] وانتهت حياة اليهود في اسبانيا عمليا بعد تنفيذ أمر الطرد في آب 1492م و لكن البعض آثروا البقاء فيها بوصفهم يهودا متنصرين أو يهودا في الخفاء[2] .

كانت المدن الساحلية للمغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة مكانا للاستيطان ، فقد حضي الوافدون الجدد برعاية الحكام و السكان المحليين و هذا ما أشارت إليه بعض الدراسات حيث استقبلوا من طرف السلطان أبي العباس أحمد العاقل و منحهم قطعة ارض "المرجة" قرب أسوار المشور فبنوا بها دورهم و استقروا فيها و اصبحت تسمى بدرب اليهود .

يعتبر تاريخ وجود اليهود في منطقة شمال إفريقيا قديم بالنظر لتضارب الروايات ، و التي لم تحدد الاستقرار الفعلي لهم في المنطقة ، لكن يمكن الاستقرار على أن العهد الروماني كان البداية الفعلية لتواجدهم في المجتمع البربري ، و لا يمكن الاعتماد على رواية يهودية الكاهنة كدليل لوجود اليهود في المنطقة قبل الوجود الروماني –كان طرحا روجت له المدرسة الكولونيالية الفرنسية اليهودية[3] قصد إعطاء يهود الجزائر صبغة السكان الأصليين مثلهم مثل البربر– و مع توالي الفتح الإسلامي و دخول الإسلام للمنطقة وجدت هاته الفئة الحرية الكبيرة التي كانت الشريعة الإسلامية تكفلها لها ، و بتعاقب الدويلات في المنطقة و ضعف السلطة السياسية في الأندلس و سقوطها توافد يهود الأندلس لمدن شمال إفريقيا و تمكنوا من الإندماج في المجتمع .

---

[1] محمد حسن العيدروس ، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس ، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 1433هـ/2012م، ط1، ص62

[2] ريموند شايندلين ، اليهود في إسبانيا المسلمة ، مرجع سبق ذكره ، ص 315

[3] Slach –n-jude /hellener .jude.Berbers Rchenhes Sureles .Origines des Jiufs etdojudaisme Afrique :paris ; 1909 ;p 1164

ب/ نصارى المغرب الأوسط:

عرفت منطقة الشمال الإفريقي كباقي مناطق الحوض المتوسط الاحتلال الروماني ، حيث عمدت هاته الإمبراطورية إلى نقل معتقداتها إلى المنطقة ، و بترسيم الدين النصراني كدين لروما على يد قسطنطين الأول* 272-337ق.م كان من الواجب أن تسعى الدولة الرومانية في نشره بين جموع القبائل البربرية ، رغم عدم الترحيب الذي لاقاه هذا الدين عندهم، فمعظم القبائل البربرية كانت وثنية ، ولعل ما يهمنا هو فئة النصارى في المغرب الأوسط ، فما هي البدايات الأولى لهذه الفئة في المنطقة؟

1 -**النصارى أو النصرانية:** سميت بهذا الاسم نسبة لبلدة الناصرة في فلسطين، وهي التي ولد فيها المسيح عليه السلام و قيل إشارة لنصرهم لعيسى عليه السلام و تناصرهم فيما بينهم و هذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر و يشهد قوله تعالى (...قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ...) الآية 14 ، الصف .

و في العصور المتأخرة أطلق عليها المسيحية نسبة للمسيح عليه السلام فالمسيحية[1] هي النصرانية[2] و النصارى هم الطائفة التي اتبعت تعاليم الدين النصراني ، وقد تعرض للتحريف مع الزمن .

---

[1] المسيح أو المسيحية ،قال أهل اللغة لها خمس معاني : قيل المسيح لسياحته في الأرض و لأنه ممسوح الرجل ليس لرجله أخمص و قيل خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن و قيل لا يمسح ذا عاهة إلا برئ و قيل المسيح الصديق و اشتقت الكلمة من المسيح للتعبير عن الديانة المسيحية ،أنظر / أبي الفرج ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم للنشر و التوزيع، بيروت لبنان،1423هـ/2002م، ط01،ص 194و ص195

[2] ناصر القفاري، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار ناصر العقل، الرياض ،العربية السعودية، 1413هـ/1993م، ص18 و ص19 ،أنظر/ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م، ط04، ص925

*هو إمبراطور روماني،حيث كان حكمه نقطة تحول في الديانة المسيحية ففي عام 313ق م اصدر مرسوم ميلانو وقد سميت القسطنطينية بإسمه ،توفي عام 337ق.م، أنظر/ Bertrand Lançon, Tiphaine Moreau, *Constantin, un Auguste chrétien*, Paris, Armand Colin, 2012, 256 p.

تعتبر منطقة المغرب الإسلامي ذات البعد المكاني مهمة جدا ، فبقربها من أوربا جعلها تعرف منذ القرون الأولى تعرف حركات تنصيرية[1] ، فالمنفذ الذي دخلت منه النصرانية كان قرطاجة وهذا خلال القرن 2 م وقد تميزت المدن بكثرة عدد معتنقي هذه الديانة[2] فقامت فيها الكنائس و امتدت بصورة سطحية على طول الشريط الساحلي في المغربين الأوسط و الأقصى وصولا لطنجة[3] ، و الملاحظ أن والدة القديس أوغسطين كانت بربرية الأصل وهذا ما يدعونا للقول أن بعض القبائل البربرية كانت تدين بالنصرانية ،لكن المعتقدات لم تكن تخرج على تقديس الإله"بعل مولوخ" وقد أدى هذا الأمر إلى مطاردة روما لأصحاب هذا المعتقد في المنطقة ، ونلحظ أيضا وجود معتقد كانت روما نفسها تتبناه وهو عقيدة التثليث[4]. إن المصادر التي تشير إلى فئة النصارى حتى نهاية العهد الروماني قليلة، لكن تستوقفنا إشارة واضحة لكثرة هذه الفئة في المنطقة إذ كتب القديس أوغسطين* للبابا سلستيان بأن يعين له أسقفا لرعية فوسالا و هي مكان يبعد عن بون "عنابة" بستين كيلومترا ، ومن هنا يتضح مدى كثرة أتباع هذه الديانة[5]،وفي هذا الصدد يشير **ميسناج Mesnage** إلى نجاح المبشرين في جمع أتباع حولهم وساهموا في نشر المسيحية في المنطقة[6] .

---

[1] كمال محمد جاه الله ،الحراك التنصيري في الأقاليم الافريقية ، مجلة قراءات افريقية ، المنتدى الإسلامي ، بريطانيا، عدد10، شوال –ذي الحجة، /أكتوبر –ديسمبر 2011 م،ص04

[2] حضارة المغرب في عهد الرومان ، مجلة دعوة الحق ،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ،عدد 66 ،ص 34

[3] بديعة الخرازي ،تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، ط1، 1428هـ/2007م، ص 14

[4] حضارة المغرب في عهد الرومان، مجلة دعوة الحق ، مرجع سبق ذكره ،ص 34

[5] أ،ف، غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هشام الحسيني ، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م، ص70و ص71

[6] خديجة منصوري، الدوناتية و ثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا ،ماجستير ،جامعة وهران، 1986/1987م، ص 64

*القديس أوغسطين 354/430م ،ولد بمدينة طاجسطا (Thagaste) سوق اهراس حاليا ،من اب وثني وام مسيحية، رحل لروما ودرس الخطابة في ميلانو و تأثر بالمذهب الريبي "الشك" ، اعتنق المسيحية عام 386م،ثم عاد لهيبونيس "عنابة" واسس رهبانيته و التي لازالت الى اليوم، ألف كتابه "الإعترافات" سنة 400م و"مدينة الله"سنة 410م،و ممن تأثر بفكره توما الاكويني ، مات بهيبونيس، أنظر/ جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة،دار الطليعة للنشر،بيروت،لبنان،2006م،ط03،ص117وص122

2- واقع النصارى خلال الفتح الإسلامي :

يقول الناصري" و كان الفرنج مجاورين للبربر في المغرب الأدنى و القوط مجاورين لهم في الأقصى ليس بينهم و بينهم إلا خليج البحر ، فحملوا أهل السواحل منهم على الأخذ بذلك الدين .... و استمر الحال على ذلك حتى جاء الله بالإسلام و أظهره على الدين كله فدانت به البربر على ما نذكره ان شاء الله ، فلهذا السبب كان كسيلة الأوربي و يليان الغماري و غيرهما من كبار البربر النصارى" [1].

انطلاقا من هذا النص يتبين أن النصرانية كانت كمعتقد عند قبائل البربر و وصلت إلى رؤسائها،و لكن في نفس الوقت بعد عملية الفتح تحول البربر إلى الإسلام و دانوا به ليصبح الدين الأول عندهم.

إن ضعف السلطة السياسية في المغرب الإسلامي في أولى الحقب كان السبب في بقاء المسيحية كدين و ليس كطائفة، بل وبقيت معتقدات أخرى إلى أن جاء إدريس الأكبر فوحد القبائل المتفرقة و قضى على ما كان من أديان و نحل ،حيث يمكن الحديث عن اندثار المسيحية بصفة نهائية (كدين) و من ثم لم يعد هناك ما يؤثر على نوع من أنواع التواجد الكنسي لأن الأمير قضى على كل متعلقات المسيحية لكي تستقيم له أمور بناء دولة موحدة[2] . بعد زوال دولة الأدارسة و قيام و سقوط دويلات أخرى وصولا لحقبة المرابطين ، لم تتحدث المصادر التاريخية عن الديانة النصرانية و أتباعها ،لتشهد فترة المرابطين و الموحدين حراكا للنصارى كفئة كفلت لها الدولة حقوقها، رغم أن درجة التسامح كانت متفاوتة ، فإذا رأينا المجتمع الأندلسي وجدنا أن فئة النصارى تعد كباقي الفئات المكونة للمجتمع ودرجة التسامح الديني كبيرة عكس المغرب الأوسط ، في حين أن هذه الفئة وصلت لمرتبة مرموقة في الدولة المرابطية فتقلدت عدة مناصب في البلاط المرابطي و حتى في الجيش فمثلا تذكر لنا المصادر العربية اسم الروبرتير و هو قائد

---

[1] الناصري ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،مصدر سابق ، ص 69 و ص 70

[2] بديعة الخرازي ،تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، مرجع سبق ذكره، ص19

حامية في الجيش المرابطي إضافة لذلك إمتهن النصارى أيضا الزراعة[1]، وهناك فئة أخرى تقلدت مناصب و وظائف عليا في الدولة و سمحت لنفسها أن تكون من طبقة النبلاء في تلك الفترة ، وهو ميزة ظهرت بخاصة في فترة علي بن يوسف بن تاشفين[2] ،

ومنهم المستعربون* و تعدى الأمر إلى أن أصبح منهم كحرس شخصي للأمير[3] ، وفي فترة الموحدين فقد نشط التبشير خاصة مع إنطلاق المذهب الفرنسيسكاني** سنة 1208م و قد تم قتل المبشرين الأربع الذين أرسلهم المجمع الديني من طرف الأمير الموحدي سنة 1220م ولم ينجوا سوى واحد الذي فرّ إلى المغرب الأوسط ثم إلى الأدنى ، ومع صعود المأمون بن المنصور 627 - 630 هـ/ 1231 / 1232 م للحكم سمح ببناء أول كنيسة في المغرب الإسلامي إذ كانت خطوته جريئة مردها إلى العامل السياسي . لقد اشترط ملك قشتالة*** على المأمون لمساعدته بأن يبني كنيسة للنصارى و أن يسمح لهم بدق النواقيس كل صلاة و بالمقابل يدعمه بالجنود و هذا ما قبله الأمير الموحدي ،و يمكن اعتبار أن هذا الوضع جاء نتيجة لضعف القوة السياسية ما مكن من نفوذ لنصارى المغرب الإسلامي[4] .

---

[1] إيمان عبد الرحمن حسن العثمان، التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر يوسف بن تاشفين، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، الموصل ، العدد 02/15، 1435هـ/2014م، ص 04و ص 05

[2] إبراهيم القادري بوتشيش ،المرابطون و سياسة التسامح مع نصارى الأندلس ،مجلة دراسات أندلسية ، تونس، رجب 1414هـ/ 1994م، عدد 11، ص27

*المستعربون هم المسيحيون الذين كانوا يعيشون في الأندلس خلال الحكم الإسلامي فتحدثوا العربية و مارسوا تقاليد العرب و لفظها بالإسبانية " Mozarab" ، أنظر / ميكيل دي إيبالزا ، المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مرجع سابق، ص234

[3] عيسى بن الذيب ، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين دراسة إجتماعية و اقتصادية، دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009/2008م ،ص 72

[4] بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، مرجع سابق ، ص22

**هي جماعة دينية مسيحية تأسست على يد الراهب فرنسيس الآسيزي ،و قد انبثقت عن الطائفة الكاثولية و مع الزمن تفرعت إلى ثلاث فئات منها الكبوشينس و رهبان فرنسيسكان و أديرة فرنسيسكان ، و الهدف منها مواجهة التحدي العاجل من التراجع الروحي ، والنمو الحضري ، والانتشار السريع للبدع (وخصوصا في جنوب فرنسا و شمال ايطاليا) ،أنظر/

J.Moorman- A History of the Franciscan Order from Its Origin to the Year 1517-paris Pierre Fontaine-1955-pp125.

لقد وجدت الطائفة النصرانية في المغرب الإسلامي منذ القدم، فقد عمدت روما و بعض رؤساء القبائل البربرية على إرساء الديانة ولكن بحلول الفتح عرفت ركودا كدين ، لتأتي فترة الدويلات و التي أعطت مكانة لهذه الفئة سواء في العهد المرابطي بالتدرج في مراتب السلطة أو خلال العهد الموحدي نتيجة للضعف السياسي و العسكري .

إن واقع الأقليات من أهل الكتاب بشقيه اليهودي و النصراني في المجتمع الإسلامي ، بدأ يكتسي بعدا دينيا وهذا بسبب الواقع السياسي الذي ستعرفه المنطقة خاصة بسقوط الموحدين و ظهور الدويلات و الإمارات في المغرب الإسلامي و الأوسط خاصة و الأندلس ، ليكون التعايش المبني على الشريعة أساسا في بقاء هذه الفئة من المجتمع، وهنا نلحظ حرص المسلمين على هذا التعايش من خلال النصوص النوازلية التي ستكون صورة حية عن واقعهم في المجتمع الإسلامي ، وفي نفس الوقت لا يمكن تجاوز بعض الفئات من باقي الديانات الأخرى كالمجوسية حيث شهدت هي أيضا حضورا داخل المجتمع .

*** مملكة قشتالة بالإسبانية Reino de Castilla ، واحده من ممالك القرون الوسطى في شبه جزيرة أيبيريا، تسمى مقاطعة كاستيا، برزت عندما استقل بها فرنان غونزاليز Fernan Gonzalez عام 961م نازلت ملوك الطوائف بسهولة وفرضت عليهم الجزية واشهر ملوكها ألفونسو السادس (1040 م/ 1109م)، اتحدت مملكة قشتالة و ليون و مملكة أراجون و كونت ما يعرف بإسبانيا، أنظر/ Gonzalo Martínez Díez- El condado de Castilla (711-1038). La historia frente a la leyenda -2 vols Madrid – Valladolid-Junta de Castilla y León - Marcial Pons Historia- 2005- 819 p

ج/ المجوس و أهل الديانات الأخرى :

بعد استعراض فئات ديانات أهل الكتاب يمكننا الانتقال أهل الديانات الأخرى ، و الذين كانوا ينتشرون في أصقاع بلاد المغرب الإسلامي و الأوسط بشكل قليل ،مقارنة للحضور القوي للمعتقد السماوي الكتابي ومنه هل كان المجوس فئة كثيرة داخل مجتمع المغرب الأوسط؟ وهل تعددت فئات أخرى ممن تدين بديانات وثنية ؟

1/ المجوس :

لغة من تمجسّ الرجل و تمجسوا صاروا مجوسا و مجسوا أولادهم صيروهم كذلك و مجسه غيره[1] .

المجوسية بالفتح نحلة (دين) و في الحديث "فأبواه يمجسانه" [2].

يقول الشهرستاني :" المجوسية يقال لها الدين الأكبر و الملة العظمى"[3] .

لقد عرفت المجوسية بأنها ديانة الفرس ، لأن معظم الفرس كانوا يدينون بها و التي كانت الدين الرسمي للدولة الساسانية و لم يذكر المجوس في القرآن إلا في قوله تعالى" إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "الآية 17 الحج .

---

[1] إبن منظور ، لسان العرب ، مصدر سبق ذكره ،ج06،ص 213

[2] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، رقم 1319، العسقلاني، فتح الباري، مصدر سابق، ص 293

[3] الشهرستاني أبي الفتح محمد ، الملل و النحل ، تعليق و تصحيح أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت 1413هـ/1992م،ط02،ص257

يورد ابن خلدون عن البربر أنهم دانوا بالمجوسية شأنهم شأن أهل الأمصار بالشرق فيقول" ... و كان دينهم المجوسية شأنهم شأن الأعاجم بالمشرق ...." [1] ومن خلال هذا النص يظهر أن هذه الطائفة قد كان لها وجود فعلي و هناك نص آخر يثبت ذلك لصاحب الأنيس المطرب يقول فيه" ...وقبائل برغواطة في أمم لا تحصى و أنهم مجوس و أهل ظلال و كفر و أخبر بديانتهم الخبيثة التي تمسكوا بها ..." [2] ، من هذا النص المقتضب يتضح جليا أن فئة المجوس كانت تتواجد بالمنطقة رغم قلتها و نضيف أيضا ما جاء به الجزنائي حيث يقول " ... أكثر هذه البلاد على دين النصرانية و اليهودية و المجوسية و الإسلام بها قليل..."[3] . من خلال تلك النصوص الثلاث يمكن القول أن المجوسية عرفوا حضورا كفئة في النسق السوسيولوجي للمغرب الإسلامي ، وأيضا ما يلاحظ أن هذه الفئة لم تؤثر في المجتمع بشكل كبير و الدليل هو قلة حضورها في النصوص النوازلية كما سنرى ذلك عكس فئة اليهود و النصارى .

فئات الديانات الأخرى :

لم تكن هناك فئات من الديانات الأخرى سوى بعض معتنقي الوثنية ، و الذين كانوا من ضمن السكان الأصليين البربر، فالمعتقدات التي تبناها البربر لم تتمكن من تحطيم العمق الديني البدائي كعبادة الجن و الماء و العيون الطبيعية و الممارسات السحرية[4] و التي لا زالت سارية في بعض أقاليم المغرب

---

[1] إبن خلدون، العبر ، مصدر سابق ، ج6،ص 139

[2] إبن أبي رزع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، اعتناء كارل يوحنا تورنبرغ، طبع دار الطباعة المدرسية ، اوبسالة، 1823م، ص82

[3] الجزنائي علي ، جنى زهرة الآسى في بناء مدينة فاس، مصدر سابق ، ص13

[4] جميل حمداوي، الديانة عند الأمازيغين ، مجلة المثقف، العراق ، عدد 20، أفريل 2014 م، ص 03،ص04

الإسلامي ليومنا هذا وكله راجع إلى المتخيل الأمازيغي ، فنجد كتابات منقوشة كاسم لجن الوادي و هذا في وادي أميساك بالقرب من قسنطينة أو كما يسميها السكان جني الينبوع[1] و لعل الإنسان الأمازيغي

أسطوري في ميولاته الدينية إذ وجدت على مر العصور طقوس و قرابين في معتقده الديني ، و يظهر جليا في تقديس الأمور الميتافيزيقية خاصة إذا اقترنت بالولاية و الولي و الخروقات ، و الموروث الغيبي من الوثنية جعلهم يعتقدون في الولي أمورا غير عقلية[2] . لم يجد أتباع المجوسية و الوثنية أنفسهم ، في مجتمع كانت غالبيته مسلمة إذ بدأت أعداد هاته الفئة في الانقراض مع الزمن إلى أن انتهت عكس الديانات السماوية التي بقيت رغم مرور حقبات زمنية طويلة، و لازلنا نرى حضورا لها في عصرنا سواء في الجزائر خاصة المسيحيون او في المغرب اليهود و المسيحيون و حتى تونس كل هذا يعكس مفهوم تعايش الأديان.

---

[1] رشيد آكشار، تاريخ الوثنية في المغرب و قوة تأثيرها على ممارسة المغاربة ، هبة برس، المغرب ،عدد 6584 ، 2013م، ص03

[2] الحمدي أحمد ، متصوفة بلدان الساحل الإفريقي و موضوع الولي و الولاية ، مجلة الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ،الجزائر، ،عدد 16، ماي 2012م، ص280

المبحث الثاني : نوازل أهل الذمة في الحياة الاجتماعية

سنتطرق في هذا المبحث الى اهم مميزات الحياة الاجتماعية لفئة اهل الذمة في المغرب الأوسط معتمدين في ذلك على النازلة ، فنستعرض طعامهم و لباسهم و أهم الأعياد الدينية و الاحتفالات اضافة الى مسائل الجوار و المنازعات القضائية وهذا بالعناوين الآتية :

-طعام أهل الذمة

-اللباس

-الأعياد و الإحتفالات

-الجوار

-المنازعات القضائية

نوازل أهل الذمة في الحياة الاجتماعية

احتوت المدونة النوازلية للونشريسي على مجموعة من النوازل الفقهية الخاصة بأهل الذمة و التي كانت تدور في مختلف الحياة العامة للمجتمع الإسلامي ، وقبل البدء في استعراضها يجب التنويه إلى أن مختلف النوازل المتعلقة بأهل الذمة أو الأقليات الدينية* لا يشير صاحبها إلى المكان و الزمان ، ولهذا قمنا بجرد كل النوازل المتعلقة بأهل الذمة في المغرب الأوسط و المغرب الإسلامي ، وتارة اعتمدنا على هوية المفتي كأساس لتحديد الإطار الزماني و المكاني، ولم تخلو الحياة الاجتماعية من مظاهر الحياة اليومية كاللباس و الطعام و الأعياد و الممارسات الدينية ...إلخ ، وكل هذا سنحاول تشخيصه من خلال النوازل .

1/طعام أهل الذمة:

لقد اشتهر أهل المغرب الإسلامي و الأندلس بفن الطبخ و إعداد الطعام ، و ما يؤكد ذلك الاهتمام الكبير بهذا الفن هو المصدر التاريخي الذي وصلنا لإبن رزين التجيبي** بعنوان" **فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان**" و الذي سرد فيه أنواعا كثيرة من الأطعمة التي تميز بها أهل المغرب و الأندلس عن سواهم من المشرق ، لكن لسنا هنا بصدد الحديث عن ما فيه بقدر ما لمح إليه المؤلف و هو أن الثريد كان الصنف الشائع من الطعام لأهل المغرب أو كما يدعى "الكامل" وهو يتكون من عدة أنواع من اللحم و الدجاج بكثير من التوابل مما أطلق عليها وصف أطباق الملوك و الوزراء[1]، وما يؤكد ذلك النص النوازلي حيث جاء نص حول ذبيحة اليهود فهم يذبحون لأنفسهم و أيضا اتخذوها مهنة فيذبحون للمسلمين و يبيعون اللحم، وكان الاستفسار من جواز المسألة من عدمها .

[1] دايفد وينز، فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مرجع سبق ذكره، ص 1019

*الأقلية الدينية مجموعة من مواطني الدولة تشكل أقلية عددية بالنسبة لتعداد السكان و تتميز إما عرقيا أو دينيا أو قوميا أو لغويا ،أنظر/ بشير شايب، مفهوم الأقليات و عوامل نشوئها، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية ، عدد 12 ،الجزائر، 2012م، ص02

الونشريسي يقدم لنا الجواب من المنظور الفقهي ، فذبائح اليهود إذا وقع فيها شيء ينافي الشرع فيجب منعهم من البيع في أسواق المسلمين[1] ، وإلى الآن جاءت الفتوى تجيب على ذبائح أهل الذمة اليهود لكن لا نجد إجابة عن مهنة القصابة أو الجزارة كحرفة عمل فيها اليهود؟ فالنص النوازلي لا يمدنا بالإجابة وهذا ما يطرح إشكالا عن تغاضي المفتي عن الشطر الثاني من النازلة؟ ولسنا هنا لشرح البعد الفقهي للمسألة بقدر ما يهمنا بعدها التاريخي و الذي يتركنا نستخلص من هذه النازلة أن تجارة اللحوم في المغرب الإسلامي و الأوسط خاصة كانت بيد اليهود ،فقد استحوذوا عليها فهم يبيعون اللحم إضافة لاحترافهم مهن مختلفة كالقصابة و الخياطة و النسيج و بيع الأقمشة وهذا يبين تحكم اليهود ببعض الحرف في المجتمع المغاربي آنذاك[2] إضافة ،يجب الإشارة إلى أن دباغة الجلود كانت مقترنة بمهمنة بيع و ذبح المواشي إذ عرفت تلمسان حرفة دباغة الجلود و كان اليهود المسيطرون عليها حتى أصبحت حكرا عليهم[3]

.

[1] الونشريسي ،المعيار، مصدر سابق، ج2،ص 29

** ابن رزين التجيبي فقيه و راوي للحديث ، ذكره ابو حجر العسقلاني في لسان الميزان نزل سبتة وألف كتابه في الطعام سنة 636هـ/1238م ،أنظر /محمد بن شريفة، ابن رزين التجيبي حياته و آثاره، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، 2009م،ط01،ص 18

[2] هشام فوزي عبد العزيز، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي ، مجلة دراسات أندلسية، المغاربية للنشر و التوزيع، تونس، عدد15 ،1416هـ/1996م ، ص 102

[3] فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤولاء المجهولون، شركة درا الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1995 م، ص30

جاء في كتاب الحسبة لأحمد بن عبد الله الجواب عن الشطر الثاني من النازلة فهو يقول"... ولا بأس أن تكون لهم مجزرة على حدة"[1]، من خلال هذا النص يتضح أنه من الواجب أن تكون لأهل الذمة قصابة لوحدهم و لا يجوز شراء اللحم منهم رغم أن شرعة اليهود توجب الذبح .

ولا نخرج عن طعام أهل الذمة حيث جاء نص في فتوى ابن العربي* أنه هل يجوز أكل دجاج الكتابيين معهم إذا سلوا عنقه أم تأخذ منه طعاما ؟ فأفتى القاضي ابن عربي بجواز ذلك ، فلم يزل الطلبة و الشيوخ يستشكلونها و لا إشكال فيها عند التأمل ، "...فالله أباح لنا طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه الذي أبيح لهم ....أما إذا حرم عليهم و كذبهم الله في إباحتهم له فلا يحل أكله ..."[2] .

من خلال هاته النازلة يمكن رؤية العلاقة بين النصراني و المسلم، حيث تأتي النازلة لتبين أولا مدى التعايش الحاصل بين فئات المجتمع فكلمة "تؤكل معه" دالة على السلم و التفاهم بين الكتابيين النصراني و المسلم ،إضافة لنهي المفتي عن أكل طعام اليهود الذين نزل في حقهم نص يحرم مصادر الأكل عندهم ، للإشارة عرف اليهود بتحضيرهم أنواعا من الطعام الخاصة باللحم و الدجاج فكان طبق من لحم الحجل و الدجاج و طبق آخر بلحم الضأن[3]، وهذا دليل قوي على حضور فئة اليهود في مجتمع المغرب الأوسط .

---

[1] أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ،في آداب الحسبة و المحتسب ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب ،تحقيق ليفي بروفنسال ،مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م، ص94،ص95

*أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد إبن عربي الإشبيلي ، ولد عام 468هـ و رحل للمشرق ولقي عدة علماء ، توفي قرب فاس و دفن هناك عام 543هـ، من تآليفه العواصم من القواصم والمحصول في الأصول أنظر / شهاب الدين ابن العماد ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق محمود الأرناؤوط ،دار إبن كثير ،سوريا، دمشق، 1410هـ/1989م، ط1،ج6، ص 232 و صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،لبنان، 1420هـ/2000م،ط01،ج03،ص265

[2] الونشريسي ،المعيار، مصدر سابق ، ج2، ص09،ص10

[3] دايفيد وينز، فنون الطبخ في الأندلس ، مرجع سابق ، ص 1035

جاءت فتوى أخرى بخصوص اللحم الذي يبيعونه اليهود أو بيع اليهود للطريف ، فكان حكم الفتوى مختلفا بين إبن القاسم و إبن وهب و أشهب ، حيث كره ذلك إبن القاسم و أجازه أشهب و نافع بل حتى ذهب إبن القاسم إلى كراهة شراء اللحم من مجازر اليهود و النصارى[1].

إن الاختلاف الحاصل في مسألة شراء اللحم من أهل الذمة عند علماء المسلمين لم يكن يخرج حتى يقصي رأي على حساب آخر ، حيث كل فتوى جاءت حسب ظروف و معطيات معينة و كلها تصب في المصلحة العامة للمسلمين ،و النازلة الخاصة بطعام أهل الذمة و الاستفسار الذي دار حولها من طرف المسلمين بيّن لنا مدى تحكم اليهود خاصة ، و النصارى بصفة أقل في التجارة .

إذ أفادتنا النازلة بحقيقة تجارة اللحوم و أنها كانت في الغالب بيد أهل الذمة و اليهود خصيصا ،إضافة إلى أنها كشفت لنا أن اليهود مارسوا عدة نشاطات تجارية داخل مجتمع المغرب الأوسط و المغاربي بصفة عامة كالقصابة أو الجزارة[2].

لقد تنوع الطعام في المغرب الأوسط و ارتكز في الغالب على اللحوم ، مما عكس الرفاهية للمجتمع آنذاك و فنون الطبخ بفئاته المتنوعة من يهود و نصارى و أعطى نوعا من التحضر و الذي كان امتدادا طبيعيا لمختلف فنون الطبخ بالأندلس إضافة لتحكم أهل الذمة ببعض الحرف كالقصابة .

---

[1] الونشريسي، المعيار ،مصدر سابق ، ج5، ص250

[2] التجارة و الصناعة في الأندلس، مركز دراسات أندلسية و حوار الحضارات، موقع : www.andalusite.ma ،شوهد يوم:2014/04/14م،الساعة 23:20د

2/ اللباس:

إن اللباس باعتباره كساء يقي الإنسان من المتغيرات الطبيعية كالحر و البرد ، و هو كذلك تعبير خاص على ثقافة معينة لمجتمع ما ، كما يؤكد "**ستون**" على أهمية المظهر في التفاعل الاجتماعي، لأن المظهر يعني تميز الشخص عن الآخر و تميزه عن الآخرين[1] ، و ما وصل إليه الإنسان من تطور حضاري جعل من اللباس يعكس بعض المناسبات و الطقوس و العقائد التي يمارسها و يعتقنها ،فنرى بعض المجتمعات تلبس الأسود تعبيرا عن الحزن وعكس الفرح تجد الفستان الأبيض عند العروس دليلا على الفرحة ، و اللباس يعكس أيضا توجهات عقدية كالحجاب في أوربا إذ هو دلالة أو رمز ديني ثقافي اجتماعي[2] ، ومن هذا اعتنت الشريعة الإسلامية باللباس خاصة من ناحية الكيف ، ولعل لباس أهل الذمة داخل مجتمع المغرب الأوسط كان من المسائل التي طرحت بشدة في المدونة النوازلية وهذا للتمييز بينهم وبين المسلمين .

كان لباس البربر أو سكان المغرب الإسلامي القشابية ، وهو لباس طويل ذو كمين وله غطاء للرأس موصول بها ، لبسه البربر منذ القدم إضافة إلى البرنس*و هو في الغالب يلبسه الوجهاء و الرؤساء و يزدانون به في الأعياد و المواسم ،و كان الرجل من المجتمع البربري يضعون على رؤوسهم ما يسمى بـ"الفنور" وهو قلنسوة من الصوف عالية ملبدة مدورة ويشد من فوق بعمامة[3] أما النسوة فعادة ما يلبسن

---

[1] بن سعدون فريد، اللباس التقليدي التلمساني بين الهوية الثقافية و المردود الإقتصادي،ماجستير ،جامعة تلمسان، 2011/2010م، ص50،ص51

[2] بومدين بوزيد، اللباس الديني الرمزية المعرفية و الإجتماعية ،مجلة الدوحة، وزارة الثقافة و الفنون ،قطر، عدد66، أبريل 2013م، ص 41

*البرنس أو البرنوس عبارة عن رداء ثقيل منسوج من الصوف أو الوبر بدون أكمام مربوط في الرقبة و ينسدل بإتساع و أشهر ألوانه الأسود و الأبيض ،أنظر/ بوتقرابت رشيد ،ظاهرة الإهتمام باللباس عند الشباب الجامعي ،ماجستير ،جامعة الجزائر2، 2007/2006م، ص70 ، أنظر / Richard ayoun-l'exil des juifs d'Afrique à l'époque du nord –insaniyat n 31 –janvier/mars 2006-pp 98-99

[3] محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية ، ليبيا ، 2010م، ج1،ط2،ص46،ص47 .

الحايك** ، وقد أدى لباس أهل الذمة إلى استشكال نازلة جاءت بها المدونة النوازلية و هي تشبه اليهود في اللباس بالمسلمين ،حيث سئل أصحاب الإمام القاضي أبي بكر بن العربي جماعة فقالوا" ...رجل يهودي يعمم و يركب السروج على فاره الدواب و يقعد في حانوته من غير غيار ولا زنار*و يمشي كذلك في الأسواق بغير غيار يعرف به ، بل بأفضل زي كبار المسلمين و أحسنه ،فبين لنا بطولك كيف الواجب عليهم من التزام حكم الذمة؟"[1] . إنها مسألة مطروحة بشدة وهي لباس اليهود و النصارى و الذي أخذ حيزا مهما على المستوى السياسي خاصة في عهد الموحدين و قد أدى لتساؤلات عديدة، ذكر الماوردي أنه يجب تغيير لباس أهل الذمة بلبس الغيار و شد الزنار[2] ،أما بالرجوع لجواب ابن العربي فنجده قد أجاز لبس العمامة لكن على شروط، منها أن تكون لطيفة قريبة و ليست غالية الثمن من رقيق الكتان و ضرب مثالا على ذلك بكبار أهالي بغداد إلى أن وصل إلى عدم تركهم يركبون على السروج مما فيه مباهات على المسلمين، فالنص النوازلي يعطينا حقيقة أو واقع مخالف للحقيقة التي يجب أن تكون وهي تميز أهل الذمة ، مما يدفعنا لنتيجة وهي أن اليهود كانت لهم مكانة معينة داخل السلطة السياسية و التي سمحت لهم بالعيش وفق رغباتهم و إلا لماذا أصبح اليهود يلبسون لباس الوجهاء من المجتمع الإسلامي؟ وهنا يتساءل أحد المستشرقين هل كان الحفصيون متساهلون مع اليهود حتى سمحوا لهم بركوب الخيل؟ ،فمثلا سنة 802هـ /1400م كان أقرباء رئيس الطائفة اليهودية بقسنطينة البالغ عددهم الخمسين نفرا يركبون

** الحايك لباس نسوي وهو قطعة قماش منسوجة بطريقة يدوية غالبا ما يكون مستطيل الشكل و يتراوح طوله ما بين 2 و 3 أمتار و يكون لونه أبيض و يستعمل كسترة للمرأة و كلباس للعروس ، أنظر / الجباري عثماني، مظاهر من العادات الإجتماعية في اللباس و الزينة لدى المرأة بوداي سوف أواخر القرن 19م ،مجلة الدراسات و البحوث الإجتماعية،جامعة الوادي، عدد02، نوفمبر 2011، ص189،ص191

[1] الونشريسي ، المعيار، مصدر سابق، ج2،ص 254

[2] لخضر سعيداني، واقع الأقليات الدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوزال الونشريسي ، ماجستير ، 2013/2012م، جامعة وهران، ص48

الخيل[1] . إذن هذه دلالة واضحة على النفوذ السياسي الذي تمتعت به طائفة اليهود في تلك الفترة و هناك شاهد قوي على تفلت الأوضاع في قضية الملبس ،حيث يخبرنا المقري أن أهل الأندلس من النصارى أو اليهود وخاصة المسلمين لم يعودوا يضعون العمائم و أكثرهم يمشون دون طيسان ما عدا الأشياخ المعظمون ،أما اليهود غالبا ما يرتدون غفائر صفر[2] .

تفيدنا هذه النازلة بلباس الوجهاء ،إذ يتضح جليا أن لباسهم كان مختلفا عن العامة لما لهم من احترام ووقار وهيبة[3] ، فاليهودي تشبه بوجهاء المجتمع و كانت حادثة ابن عطاء الطبيب اليهودي تثبت بما لا يدعو للشك نفوذ اليهود السياسي و تشبههم بالوجهاء من المجتمع ،حيث بعثه المعز بن باديس لمسألة فقهية إلى أبي عمران موسى* ، فلما دخل عند الشيخ في داره ظنه احد رجالات الدولة فسأل أحد الحاضرين فأخبره أنه من خيار ملته ،فغضب الشيخ لما علم بأنه يهودي و أمر بجعل صبغ على طرف عمامته للتميز[4]، و الغالب أيضا ما كان الوجهاء و القادة و الأمراء يلبسون الصوف[1].

---

[1] سليمان ولد خال ، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي و الإسلامي بين سنة 633هـ/922هـ رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص363

[2] المقري أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين ،القاهرة ،مصر، ،1949م، ج01، ص 208

* هو ما يلبسه الذمي و يشده على وسطه ، أنظر / ابن منظور ،لسان العرب، مصدر سابق ، ص381

[3] ثريا محمود عبد الحسن، أزياء المجتمع الأندلسي من 92هـ إلى 625هـ، مجلة كلية الآداب ،جامعة ديالى، العراق،2008م، عدد102، ص195

*أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي الحاج البربري الغفجومي نسبة لغفجوم بطن من زناتة ولدسنة 368هـ ،شيخ المالكية بالقيروان ،رحل للأندلس و أخذ علم الكلام ببغداد كان إماما في الفقه و القراءات و توفي في رمضان سنة 430هـ وله 62 سنة، أنظر / ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب ، مصدر سابق ،ج5،ص 135 و يوسف بن يحي التادلي، التشوف الى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب بالرباط ،طبع مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1997م،ط02،ص87

[4] الدباغ أبو عبد الرحمن ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ،تحقيق محمد ماضور ،المكتبة العتيقة ،تونس، 1388هـ/1968م، ط2، ص161 و محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية، مصدر سابق، ج01،ص 158

لم يتوقف النص النوازلي هنا ،بل جاءت نازلة أخرى في حق أهل الذمة ليحي بن عمر بالقيروان ،إذ وجد نصارى و يهود تشبهوا بالمسلمين في اللباس فكانت الفتوى بأن يعاقب كل من يخالف تعاليم الشريعة بالضرب و الحبس[2] ،وهذا ما ذهب إليه أيضا أبو يوسف حيث قال"... أن لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه و لافي مركبه ولا في هيئته ويؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات و بأن تكون قلانسهم مضربة ....و أن لا يحذوا حذو المسلمين ، وتمنع نساءهم من ركوب الرحائل..." [3].

لقد أثبت الواقع أن اليهود تزينوا بزي الأعيان ولم يلزموا بلباسهم متجاوزين بذلك كل المحاذير الفقهية ولو تتبعنا النوازل خاصة في الفترة المرابطية نجد اليهود لا يلتزمون بالزي ، فإما هذا راجع لنفوذهم في السلطة أو لدرجة التسامح ، رغم بعض الحوادث التي راح ضحيتها اليهود كحادثة قرطبة 529هـ/1134م و نفوذ اليهود السياسي جعلهم يصلون لمراتب في السلطة حتى أصبحوا أهل الحل و العقد كما وصفهم إبن عذارى في إمارة غرناطة :" ..وصارت لليهود صولة على المسلمين "[4]

[1] إبن أبي الضياف ،إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تحقيق لجنة كتابة الدولة للشؤون الثقافية، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية ، تونس، م1965، ص157

[2] الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج6،ص42

[3] أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم ،الخراج ،درا المعرفة للطباعة و النشر، بيروت ،لبنان، 1399هـ/1979م، ص127

[4] عيسى بن الذيب ،المغرب و الأندلس في عصر المرابطين ، مرجع سابق ، ص77،ص 83

إن ما يمكن استخلاصه من نوازل أهل الذمة في اللباس ،هو عدم الالتزام باللباس الذي حدده الشرع ويعود : **أولا** لغياب السلطة السياسية و التي لم تسعى لتطبيق أحكام الشريعة على أهل الذمة في اللباس

و **ثانيا** النفوذ السياسي الذي حظي به اليهود خاصة في السلطة ما مكنهم من الحرية في الملبس كحبر اليهود في قسنطينة ، وقد وصل بهم الأمر إلى التشبه بالوجهاء و الأعيان .

ثالثا :ضعف سلطة الفقيه أمام سلطة الحاكم في إقناعه بضرورة فرض اللباس الموصوف في الشريعة لأهل الذمة .

رابعا : لقد أمدتنا نوازل اللباس بالزي الذي كان يلبسه الناس آنذاك ، و التميز الحاصل بين الوجهاء و العامة ما جعلنا نتعرف على جانب مهم في المجتمع و هو الملبس .

شكل اللباس محورا مهما في النصوص النوازلية ، إذ أمدنا بواقع و حال أهل الذمة و استطاع النص من كشف بعض الحقائق التاريخية كما وضح العلاقة بين ثلاثية السلطة و الفقيه و الذمي و التي لم تخرج كونها عرفت تساهل كبير بالنسبة للذميين .

3/ الأعياد و الاحتفالات :

تعد الأعياد و المواسم ظاهرة اجتماعية عرفها البشر منذ زمن بعيد ،منها ما هو إحياء لمناسبات عامة يحتفل بها الناس جميعا ، ومنها ما يرتبط بشعائر دينية أو مناسبات اجتماعية ،وعليه كانت الاحتفالات لا تنقطع في الأسرة المسلمة ،سواء بزواج فيها أو ولادة أو ختان .

لقد تنوعت الاحتفالات التي كانت تقام في المدن ،فيحتفل بالمولد النبوي الشريف* في الثاني عشر من ربيع الأول من كل سنة ،فيتم إيقاد الشموع و التزين و تقوم الأسرة بتحضير مختلف الأطعمة و إعطائها للجيران سواء كانوا مسلمين أو يهود أو نصارى، فقد تعود المجتمع على ذلك[1] فشارك المسلمون أيضا النصارى و اليهود في أعيادهم كعيد العنصرة[2] أو عيد سان خوان و عيد المسيح ، ففي ليلة عيد الميلاد كان المسلمون و أهل الذمة يطبخون نوعا من الثريد و في اليوم الأول يصنع الأطفال أقنعة و يتوجهون إلى الأعيان قصد طلب الفواكه و ينشدون أغانيهم و يشاركوهم أيضا في الاحتفال بعيد دانيسيا

---

[1] عيسى بن الذيب ،المغرب و الأندلس في عصر المرابطين، المرجع السابق ، ص 180

*كان أول من نقل الإحتفال بالمولد من المشرق إلى المغرب أبو العباس أحمد العزفي أما أول السلاطين إحتفالا به السلطان يعقوب المريني ثم إتخذ المولد النبوي شكله الرسمي و صبغته العامة عهد السلطان يوسف إذ أمر بعمل المولد و تعظيمه و الإحتفال به في جميع البلاد سنة 691هـ/1292م و صدر مرسوم ملكي و كان ذلك بإشارة من الفقيه أبو طالب عبد الله بن القاسم العزفي ، أنظر/ نضال مؤيد ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، دراسة حضارية سياسية، رسالة دكتوراه ، جامعة العراق، صفر 1425هـ/2004م، ص94

[2] لليهود عدة أعياد منها عيد البشارة و هو ذكرى إفتداء إسماعيل عليه السلام و يرمزون إليه بعيد الخلاص و بالعبرية" روش هيشا" وعيد صوماريا أي عيد الصوم الكبير و يصومون 15 ساعة و هو بالنسبة لهم تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى و عيد المظلة أو الظل و يدوم سبعة أيام و يجلس اليهود حت ظلال النخل و أشجار الزيتون تذكارا للغمام الذي أظلهم يوم التيه و بالعبرية "حجهآ سيب" و عيد الفصح نسبة للضحية التي قدمها يعقوب عليه السلام القربان البشري، و عيد الأسابيع أو العنصرة و فيه أنزل الله الوصايا العشر و يصنعون القطايف و يسمى أيضا عيد الخطاب لزعمهم أن الله خاطب بني إسرائيل في طور سيناء و عيد التنظيف أو الحنكةو قد زعموا أن هيكل سليمان نظف من الأوثان زمن البطالمة ، أنظر/ زينب عبد الله أحمد كرير، أهل الذمة في العهد الحفصي، منشورات جامعة الزقازيق، مصر ، 2005م، ص 196 ، ص 202

و هو إحتفال يكون عندما تبدأ أسنان الطفل بالظهور[1] . يقدم لنا المعيار نازلة بخصوص الاحتفال بالأعياد مع أهل الذمة ،حيث سئل أبو الأصبغ محمد التميلي عن ليلة ينير و التي يسميها الناس الميلاد و يتهادون فيها بينهم صنوف الأطعمة و التحف لوجه الصلة أهو بدعة أم مكروه؟[2] .

يمكن من خلال هذه النازلة أن نرى الحياة اليومية التي كان يعيشها السكان فهم يتساءلون و يسألون الفقهاء ،وهذا من خلال وجود جيران نصارى أو يهود في التعامل اليومي معهم ، و هناك قصة مشهورة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم مع جاره اليهودي فرغم إساءة الأخير له إلا أنه كان محسنا معه وهذا ما يعكس إنسانيته ، و مسألة الجوار سنتطرق إليها فيما بعد ، أما بخصوص الرد أو الجواب على الفتوى فكان حازما " ... فمحرم فعله عند أهل العلم" ثم يزيد و يقول" لا تجوز الهدايا في الميلاد من نصراني و لا مسلم و لا إجابة الدعوة فيه و لا الاستعداد له "[3] و الجواب نجده أيضا عند البرزلي فيقول"... ولا يحل قبول هدايا النصارى في أعيادهم للمسلمين و كذلك اليهود ، وكثير من جهلة المسلمين ممن يقبل ذلك منهم في عيدة الفطيرة عندهم و غيره"[4] و البرزلي يقصد ميلاد المسيح عليه السلام وهذا معظم عند النصارى .

إن القراءة المتأنية لهذين النصين عن عدم مشاركة المسلمين لأهل الذمة في أعيادهم يجعلنا نخلص إلى محاولة الفقهاء أن يعزلوا أهل الذمة عن الحياة الاجتماعية للمسلمين في ذلك العصر من باب التشبه و فساد الدين ، لكن يبقى عامل الزمان و المكان يؤثر على الفتوى فهذا الأمر لا يمكن مسايرته في وقتنا الحالي نتيجة الضعف الذي أصاب السلطة السياسية و الدينية و التخلف الحضاري .

---

[1] سعيداني لخضر، الأقليات الدينية في المغرب الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص 40

[2] الونشريسي، المعيار ، مصدر سابق، ج11، ص 151

[3] الونشريسي ،المعيار، المصدر السابق ، ج11،ص 151

[4] أبي القاسم بن أحمد البلوي ،البرزلي ، فتاوى البرزلي "جامع مسائل الأحكام" مصدر سابق ، ص 573

بالرجوع إلى النص النوازلي للونشريسي يتضح مدى الاختلاف بين فتوى البرزلي و ما جاء في المعيار، إذ كانت نازلة سئل عنها القاضي أبو عبد الله بن الأزرق عن يهود يصنعون رغائف لهم يسمونها عيد الفطر و يهدونها للمسلمين من جيرانهم ، فهل يجوز قبولها؟ ، فكانت الإجابة عن النازلة أن هدية الكفار فيها كراهة ، و منها اختلاف ما جاء به البرزلي و الونشريسي و يضيف في نص الإجابة الشيخ ابن عرفة أنه لا يحل قبول هدايا النصارى في أعيادهم للمسلمين و كذلك اليهود[1] .

إن سكان الأندلس لم يكونوا مجبرين على الالتزام بتلك النصوص الفقهية التي تحرم الاحتفال مع أهل الذمة إذ شاركوا جيرانهم من القشتاليين في ليلة يناير و حفل العنصرة بركوب الخيل و المباراة[2] رغم وجود فتوى لابن الحاج في المعيار تحرم ذلك " ... ولا يعارون دابة و لايعانون على شيء من عيدهم لأن ذلك من تعظيم شركهم و عونهم على كفرهم و ينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين على ذلك " [3].

يفيد هذا النص النوازلي أن السلطة السياسية لم تكن تشدد على الالتزام بأحكام الشريعة فكلام

ابن الحاج دال بأكثر من دلالة على ذلك ، فتراخت السلطة و تركت الحرية لأهل الذمة و المسلمين بأن يتشاركوا في الأعياد ، رغم أن المعيار لم يخبرنا عن نازلة وقعت و شارك اليهود المسلمين في عيدهم؟ . لقد اختلفت مشروعية الاحتفال مع أهل الذمة مع اختلاف المكان و الزمان، نجدها محرمة في المغرب الأوسط و الإسلامي كافة ، مكروهة في الأندلس نتيجة لاعتبارات قد تكون كثرة اليهود و النصارى داخل المجتمع الأندلسي أو روح التسامح بين أطياف المجتمع ، إضافة إلى أن السلطة لم تحاول فرض الأحكام الشرعية على أهل الذمة.

---

[1] الونشريسي ،المعيار ، مصدر سابق، ج11،ص111

[2] Rachel Ariè .lEspagne musulmane an temps de nasrides .1232 /1492 .eboccard .paris. 2em èd. 1990 .pp400

[3] الونشريسي، المعيار، مصدر سابق ذكره، ج02، ص489 .

4/ الجوار:

تعتبر مسألة الجوار من المسائل المهمة التي أوصت بها الشريعة الإسلامية و قد حفظت لنا السنة النبوية آثارا كثيرة في باب حسن الجوار و أشهر حديث لرسول الله صلى الله عيه وسلم الذي شبه فيه الجار بالوريث لمدى وصاية جبريل عليه السلام عليه ، وفي هذا الباب قدمت لنا النوازل صورا و نماذج عن ذلك و هناك نازلة جاءت للقابسي يسأل فيها الرجل عن جاره اليهودي الذي تربى معه فهو يعامله معاملة حسنة[1]. فأجاب القابسي في شرح دقيق فرأى أن لا حاجة لهذا الرجل بالاختلاط بأهل الذمة لكن إذا كان لجاره حاجة فلا حرج في مساعدته و حتى في الكلام إليه ، و أن لا يكون في لين و حتى إن ألقى السلام فيكون الرد بعليكم [2].

من خلال هذه الفتوى جعل القابسي حدودا لمعاملة الذمي في دار الإسلام ، ومسألة الحذر و المبالغة فيها قد تكون نابعة من الحرص على الابتعاد على المحرمات التي كان يسمح بها لأهل الذمة و لو كانوا في مجتمع إسلامي ، إذ جاءت الأمثلة عن الاختلاط بين المسلمين و اليهود كثيرة ،فجماعة من إفريقية حبسوا على طعام فدخل عليهم يهودي فدعوه للأكل معهم ، وقد خوف الفقهاء من الوقوع في المحرمات لما رأوه في المجتمع من منكرات و تناقضات رهيبة و هنا يورد برونشفيك حادثة و هي أن اليهود كانوا يبيعون الخمر خفية للمسلمين من جيرانهم خاصة و الغريب أنهم كانوا يتعاطونه ، ففي قسنطينة كانوا يخلطونه مع العسل[3] .

[1] مصدر نفسه ، ج11، ص300 ،ص301

[2] الونشريسي، المعيار، مصدر سبق ذكره ، ص301

[3] زينب عبد الله، أهل الذمة في العهد الحفصي، مرجع سابق ، ص 203،ص 204

لم تتوقف مسألة الجوار عند مجاورة شخص لشخص بل تعدت إلى مجاورة الأماكن الدينية للمسلمين، إذ يورد لنا الونشريسي نازلة كانت تستفسر عن جواز إستيجار ماء المسجد لليهود؟[1]

يعتبر المسجد عصب المجتمع الإسلامي إذ به أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم دولته و فيه خط مجتمعه المسلم و المساجد ديوان أمم الإسلام فهي تعرض جوانب كبيرة من تاريخ الأمة و تطورها[2] ،

بالعودة الى النازلة هي صورة واقعية عن ظاهرة نقص المياه في أحياء اليهود ،فقد جاءت النازلة تقول" أن يجزي لهم الماء فيخرج من المسجد لدورهم بعد حفر أبيار بصحنه* مقدار خمس قواديس أو ما يقرب منها فهل يجوز ذلك؟[3] .

كان مشكل الماء مطروحا بشدة في المغرب الإسلامي ، ومثال ذلك ما حدث في مراكش خاصة بعد أن أصبحت عاصمة المرابطين و تزايد عدد السكان فوجدت الدولة في مأزق و هو ندرة المياه فكان لزوما عليهم جلب الماء من وادي وريكة و قد أكمل الموحدون المشروع ، و بقدوم المهندس الأندلسي عبيد الله بن يونس تغيرت الأمور و جلب معه نظام جديد عرف بالخطارات[4].

---

[1] الونشريسي، المعيار، مصدر سابق،ج07،ص 52

[2] حسين مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة، الكويت ، 1981 م،ص 41

[3] الونشريسي، المعيار ، مصدر سبق ذكره ، ج7،ص51

*الصحن هو ساحة مفتوحة أو فناء في المسجد و يعتبر من الخصائص المعمارية للمساجد خاصة في الأندلسو عادة ما تغرس فيه النباتات و الزهور لتلطيف الجو و تبنى فيه النافورات، أنظر/ عبد الكريم حسن محسن، صحن المسجد و دروه في إحياء العمارة التقليدية في المساجد المعاصرة ، مؤتمر العمارة الإسلامية بالشام، جامعة غزة الإسلامية،فلسطين، 2008م، ص 05

[4] حسن جلاب، من تاريخ الماء و أساليب الري و التوزيع بمراكش، مجلة دعوة الحق ،المغرب، عدد 265، ص04

بالرجوع لجواب الفقيه نجده سمح لليهود بإستيجار الماء بشروط، أن لا يكون على حيطان المسجد ضرر من إجراءه بالموضوع المذكور[1].

نستخلص مما سبق ذكره في قضية الماء و جلبه من المسجد أمران :

أولا أن الدولة لم تكن تراعي حق أهل الذمة بالتزود بالمياه لقضاء حوائجهم اليومية بل يمكن القول أن شبكة التزود بالمياه كانت منعدمة في حارة اليهود ،وهذا ما يطرح تساؤلا؟ رغم تطور شبكة الري عند المسلمين خاصة بالأندلس و بلنسية كمدينة إشتهرت بهذا النظام سواء على المستوى الزراعي أو مستوى شبكات السقي للمدينة [2] .

ثانيا: ثراء اليهود و قدرتهم المالية على حفر آبار ثم شق قنوات الري داخل حارة اليهود و هذا ما يكلفهم أموالا ، لكن رغم ذلك استطاعوا فعل ذلك و هناك نازلة أخرى ، تؤكد سوء أهل الذمة وعدم احترامهم لجيراهم المسلمين ، حيث " اشتري يهودي دارا في درب ليس فيه إلا مسلمون من أهل العافية و الخير فسكن اليهودي الدار و آذى جيرانه بشرب الخمر" فظاهرة شرب الخمر كانت منتشرة لدى هذه الفئة ، و قد سبق أن تطرقنا لبيع اليهود للخمور، مع كل هذا لم يسجل الونشريسي لنا عن ذمي اشتكى من جاره المسلم مما يبين مدى احترام المسلمين للذميين و تحقيق مبدأ المسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

أما جواب المفتي على النازلة فكان بضرورة إكراء البيت في حالة عدم الرجوع عن الإذاية[3] .

---

[1] الونشريسي ،المعيار، مصدر سبق ذكره ، ج07، ص 53

[2] توماس غليك .ف ، التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ،ج02،ص 1351

[3] الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج08،ص437

إذا كانت المدينة قد عرفت مسألة الجوار ،فلم تكن البادية بمعزل عن أهل الذمة إذ يطلعنا المعيار عن نازلة تتعلق بيهود البادية سئل عنها قاسم العقباني[1] " يهود سكنوا البادية و يتاجرون لكن بعضهم سكنوا المدينة و تطول إقامتهم بالبادية ،فهل يجوز أخذ الجزية منهم[2] ؟

يتضح من خلال النازلة أن اليهود قد سكنوا البادية لأجل التجارة و لا يستبعد أن يكونوا من اليهود الذين كانت لهم تجارة كبيرة يسكنون البادية قصد استقبال تجارتهم ثم العودة بها للمدينة، و في نفس الوقت دليل على أن التجارة بيدهم و قد اشرنا سابقا أنهم امتهنوا حرفا كثيرة و ما سنتطرق له في نازلة يهود توات سيكون أوضح عن علاقة اليهود بالبادية و التجارة الصحرواية .

كان جواب العقباني بأن تؤخذ منهم الجزية و قد حددها بأربع دنانير و أربعون درهما و هذا ما يعبر عن نظرة متكافئة لتطبيق الحكم الشرعي سواء في البادية أو في المدن كبجاية و عنابة و الجزائر أو مناطق داخلية كقسنطينة و تبسة و القيروان[3]. إن النص الفقهي النوازلي لم يتوقف كشاهد على واقع أهل الذمة داخل مجتمع المغرب الأوسط بل تعد الأمر إلى تسجيل المنازعات القضائية و الخصومات التي تقع أحيانا بين أهل الذمة أنفسهم و المسلمين و هذا ما سنتطرق له في نوازل المنازعات القضائية .

---

[1] قاسم بن سعيد العقباني التلمساني، ولد بتلمسان سنة 768هـ و تولى القضاء ببجاية و تلمسان ووهران ، و مراكش ايام الدولة المرينية و توفي سنة 840هـ أنظر/ التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، مصدر سبق ذكره، ص 365، و ابن مريم ، البستان، ص51

[2] الونشريسي، المعيار ، مصدر سبق ذكره ، ج02،ص 253

[3] روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من ق13م إلى نهاية ق15م ،ترجمة القاسم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان، 1988م، ط1، ج1،ص431،ص432

5/ المنازعات القضائية :

إن المجتمعات البشرية على اختلاف زمانها و مكانها لا تخلوا من أسباب النزاع و الخصومة مهما بلغت من رقي حضاري و علمي ، الأمر الذي يستدعي وجود القضاء لفض بعض المنازعات و الخصومات و بذلك حقيق عمارة الأرض ليسود العدل[1] و سواء كان المجتمع إسلاميا أو غير ذلك .

كان قوله تعالى (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...) الآية 49 المائدة دليلا على مشروعية القضاء في الإسلام و لهذا كان إجماع علماء الأمة عليه ، فقالوا أن القيام به من فروض الكفايات و أن أمر الناس لا يستقيم بدونه فيكون واجبا كفائيا[2].

لقد تراوحت المنازعات القضائية بين رفع شكوى للمفتي و بيان التعامل مع أهل الذمة أو إظهار حق من الحقوق التي تكون إما عند أهل الذمة أو ادعاء على أنه أحق بها ، ويمكن طرح نازلة حدثت بتلمسان وهي ظهور ساحر يهودي بقلعة هوارة سنة 849هـ حيث رد عليها العقباني أبي الفضل قاسم وكان نص النازلة"...ورد علينا يهودي فاشتغل بأعمال أمثاله اليهود ، ثم اشتهر أمره أنه شاعر و ساحر مهين للمسلمين ، و أظهر الكبرياء و صار يمشي مشية المتكبرين ...فانتهى أمره إلى أن سب المسلمين بأن لا أصل لهم ولا حسب و لا نسب ...فلما ثبت ذلك عليه بعدول مرضيين أخذه الحاكم و كبله حتى يعلم ما ترون فيه من قتله أو صلبه "[3] .

---

[1] عاطف محمد أبو هربيد ، أهمية القضاء في الإسلام ، يوم دراسي حول ديوان المظالم و دروه في تحقيق العدالة في المجتمع ،الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين ، 2012 م ،ص14

[2] عبد الكريم زيدان ، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م، ط02، ص13،ص14

[3] الونشريسي ، المعيار، مصدر سابق ، ج2 ،ص399

اعتبر إدموند دوتي خلال معاينته الميدانية للمجتمع المغاربي أن سكان المغرب العربي لا يزالون يعتبرون الطبيب ساحرا بل و يعتقدون أن الطبيب إبن السحر فالناس في شمال إفريقيا قلما يميزون بين السحر و صرع الجن ، حيث يختص السحرة و المشعوذون بعلاج الأمراض بما في ذلك المستعصية و التي عجز عنها الطب الحديث[1]، و السحر كظاهرة أو علم عرفته جميع الشعوب بما ذلك اليهود و قد جلبوه معهم خلال استوطانهم المغرب الإسلامي ، و النازلة تعطينا نظرة واقعية و هي أن المجتمع كانت فيه ظواهر اجتماعية كممارسة السحر و لو اقتصرت النازلة على ذمي يهودي ،لكن بول باسكون في مقالته المعنونة" الأساطير و المعتقدات بالمغرب العربي "يرى أن المجتمع المغاربي ككل لا زال يمارس السحر ويعتقده كون رجال الدين الغامضين –لا نعرف ماذا يقصد بالغامضين؟- المبعثرين في البوادي لهم دور أساسي في الحفاظ على المعتقدات بالسحر و يعزو ذلك إلى أن هؤلاء الرجال من الدين الغامضين أبعدوا عن مراكز الرقي الحضاري داخل مجتمعاتهم فتحولوا إلى هذه الممارسات ، ليخرج في الأخير إلى أن أطياف المجتمع المغاربي على تنوعها الفكري لا زالت تصدق الأساطير مما يضفي عليه طابع المنقول و هو التصديق بالإسلام و الغير المعقول الإيمان بالأساطير [2] .

إن النظرة الداخلية لمجتمع المغرب الأوسط تعطينا ظاهرة، بأن السكان بقدر إيمانهم بالمعتقدات الأسطورية والسحر إلا أنهم رفضوها من وجهة الشريعة و حكمها ، إذ اعتبرت النازلة صورة للواقع المعاش وكيف يمارس أهل الذمة فنون السحر و الشعوذة و أنها ظاهرة كانت منتشرة به حتى زمن البربر و لعل الكاهنة حاكمة البربر كانت في الأصل مشعوذة .

---

[1] سعيد الحسين عبدولي ،ميكروسوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسات السحرية و الشعوذية ،مجلة الدراسات و البحوث الإجتماعية ،جامعة الوادي، الجزائر، عدد05، فيفري 2005م، ص35

[2] بول باسكون ، الأساطير و المعتقدات بالمغرب ، المجلة الإفريقية للإقتصاد و الإجتماع، B.E.S.M ، عدد 166، كانون الثاني 1986 م ،ص71 ،ص85 ، أنظر/ جلول بدوي، تلمسان موطن السحر و الشعر، الأصالة عدد26 ، الجزائر ،1974م،ص 369

بالعودة للفتوى و ما أجاب عنها العقباني على السائل يرد : أن اليهودي يستحق الضرب الموجع و السجن الطويل في القيد[1].

هذه الفتوى دالة على أن الحكم فيها جاء على أساس قضائي صدر من المفتي المسلم و طبقه الحاكم أو السلطة ، فهي إذن لم تنظر كون اليهودي ذمي يستوجب مقاضاته عند قاض خاص من أهل ملته هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد الحكم مخالف لما أورده القرطبي في تفسيره إذ يقول" و أما ساحر الذمة فقيل يقتل ... و قال إبن خويز منداد فأما إذا كان ذميا فقد إختلفت الرواية عن مالك فقال مرة يستتاب و قال مرة يقتل و إن أسلم" [2]. لقد اختلفت الفتوى وهذا حسب زمان ومكان الواقعة ، وربما كان حكم العقباني يرتكز على أقوال أخرى لم يذكرها القرطبي خاصة بالاجتهاد في المذهب ، و ما يهمنا من النازلة أنها صورت لنا القضاء في حق أهل الذمة ، وهناك نوازل أخرى منها يهودي يسرق أولاد المسلمين و يبيعهم[3] . إن ظاهرة بيع البشر أو الإتجار بالرقيق* ليست جديدة على اليهود ، إذ عمدوا على بيع الرقيق و أسرى الحرب وحتى كانوا أيضا يسرقون أولاد النصارى و يشترونهم من أباءهم الفقراء و يبيعونهم للمسلمين في إسبانيا[4] كما كانوا يبادلون ملوك الصحراء مثل حكام برنو الخيول بالعبيد فكانت تجارة مربحة جدا ،إذ عملت أعداد كبيرة من التجار اليهود على العمل في هذه التجارة حتى القرن 15م[5].

---

[1] الونشريسي ، المعيار ،مصدر سبق ذكره ، ج2، ص 400

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق ، ،ج1،ص41

*الرقيق أو الرق هو حالة أو وضع شخص تمارس عليه أي من السلطات المرتبطة بحق الملكية و تجارة الرقيق هي حيازة شخص و بيعه او مبادلته و جميع أفعال التخلي عنه بيعا او مبادلة ،أنظر/ديفيد فايسبورت ، ،إلغاء الرق و أشكاله المعاصرة، مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، الجمعية الدولية لمكافحة الرق ، مطبوعات الأمم المتحدة ، نيويورك و جنيف، 2002م، ص 03

[3] الونشريسي ،المعيار ،مصدر سابق ، ص435

[4] عبد السلام الترمانيني ، الرق ماضيه و حاضره، عالم المعرفة ، الكويت ، 1979م، ص 85،ص86

[5] عبد الوهاب الميري، اليهود و اليهودية، موقع : www.elmessiri.com ،شوهد يوم2014/05/02م ،الساعة 20:23د ، أنظر /الحسن الوزان، وصف افريقا ، مصدر سابق ،ج2،ص 177،ص178 و احمد الحمدي ، تحديد وضعية عبيد توات من خلال الكشف و البيان لأصناف مجلوب السودان احمد بابا التنبكتي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، عدد 22و23،رجب 1435هـ/ماي2014م،جامعة وهران ، الجزائر، ص 442

كانت إجابة القاضيان على النازلة غير متساهلة فأجاب أبو علي بأن يقتل بالسيف و أجاب القاضي الثاني بأن يصلب و يقتل[1] و لكل و دليله .

تأتي نازلة أخرى تستشكل أمر يهودي مدعي عليه من قومه في التقاضي عند حكام المسلمين و كان نص النازلة" سئل ابن العطار عن جماعة من اليهود يطالبون شخصا منهم بمظالم و دعاوي و يزعمون أن لهم براهين ببينة يهود ، ويذهبون إلى محاكمته ببينة اليهود، و المدعي عليه يرغب بمحاكمته عند حكام المسلمين إذ بيده وثيقة عربية بعدول المسلمين مما يطلبونه به " [2]. لقد كان ابن العطار حاسما في المسألة إذ أجاب أنه إذا أظهر المطلوب من الوثيقة التي فيها براءته و أتى بشهود المسلمين العدول حوكم عند حكام مسلمين و إن لم يكن لهم رفعه إلى حكامهم من اليهود[3] في حين جاء نص البرزلي في نفس الفتوى أكثر شرحا حيث قال "...فلا يحكم بحكم المسلمين بينهم في ما لا تظالم فيه إلا برضى الخصمين و زاد بعض أهل المذهب رضي أساقفتهم فيخير الحاكم اذن و قال في المدونة و ترك الحكم خير لهم ..."[4] .

لقد أظهرت هذه النازلة النزاع بين أهل الذمة ، إذ كل طرف يريد الاحتكام لمن رآه أهلا للحكم ، وهذا دليل على نزاهة القضاء الإسلامي آنذاك و لعل الدليل القوي على هذا نازلة أوردها البرزلي و هي أن يهودي طالبته زوجته اليهودية بأشياء ادعتها أنها لأبيها و هو يرى أنها له و أن بيده سجلا لقاضي الجماعة

---

[1] الونشريسي ، المعيار، مصدر سبق ذكره ، ج02،ص435

[2] الونشريسي ،المعيار ، مصدر سابق ، ج10، ص 56

[3] المصدر نفسه ، ص56

[4] البرزلي ، فتاوى البرزلي، مصدر سابق ، ج04،ص 106 ،ص107

و وثائق منعقدة بالخط المغربي و شهود المسلمين ، وأثبت أن قضاة اليهود على عداوة مع أبيه و هي زعمت أن حقها ثبت عندهم (قضاة اليهود) و أنها من غير حكمهم لن ترضى بحكم آخر[1].

كان دليل على التقاضي عند القضاة المسلمين و في نفس الوقت وجود قضاة خاصين بأهل الذمة من ملتهم كلفتهم السلطة بذلك، و برجوعنا لجواب النازلة نجد أن الاختلاف وقع فيها فمنهم من رأى الحكم يعود لأهل ملتهم من القضاة و منهم من رأى أن الحكم يكون لقضاة المسلمين و هذا ما قاله أصبغ بن سعيد[2] . عرف القضاة المسلمون حالات عديدة في القضاء بين أهل الذمة و بينهم و بين المسلمين حتى في المشرق ، حيث جاءت نازلة في بلاد الخليل أن " نصراني ذمي علا بناءه على جاره المسلم ثم باعه من مسلم قبل حكم الحاكم عليه بالهدم "[3] فهذه النازلة قضت بالحكم الذي صدر من قاض المسلمين وهذا دليل على أن معظم القضايا كانت ترفع للقضاة المسلمين .

لقد عكست النوازل الفقهية المتعلقة بالحياة اليومية لأهل الذمة الواقع الاجتماعي الذي ميزهم داخل مجتمع إسلامي محافظ ، حاول من خلال طرح الفتاوى تبيان الصواب من الخطأ في الحياة اليومية ، سواء من ناحية الملبس و الطعام أو المناسبات و الأعياد و الجوار و حتى المنازعات القضائية ، كل هذا أعطته لنا النازلة الفقهية ، بكل موضوعية مجردة .

---

[1] المصدر نفسه ، ص107

[2] البرزلي، فتاوى البرزلي ،مصدر سبق ذكره ص 107 ، ص108

[3] العلائي أبي سعيد صلاح الدين ، الفتاوى المستغربة ، تحقيق عبد الجواد حمام ، دار النور ، سوريا، دمشق ، 1431هـ/2010م، ط01،ص71

المبحث الثالث: نوازل أهل الذمة في الحياة الاقتصادية

سنستعرض في هذا المبحث مختلف مناحي الحياة الاقتصادية التي ميزت هذه الفئة ، كالبيوع و الجزية و المعاملات المالية ، و التي ستحدد لنا كيف تعامل المسلمون في الجانب المالي الاقتصادي مع غيرهم وهذا من خلال العناوين المحورية التالية :

-الجزية

-المعاملات المالية

-نوازل الأحباس

1/ الجزية:

إن الاقتصاد في المغرب الأوسط عموما إعتمد على مصادر متنوعة ،كانت الدولة أو السلطة حريصة على تسيير هاته العائدات وفق ما يخدم المجتمع ،فكانت الضرائب و العشور و الزكاة و الغنائم إضافة إلى الجزية[1] ،كلها مصادر لبيت مال المسلمين و الجزية باعتبارها جزء من هاته المداخيل ،حاولت السلطة إستغلالها أحسن استغلال ، فالنصوص النوازلية أمدتنا بعدة نوازل في هذا الشأن .

جاءت نازلة ضمن نازلة بناء الكنائس ، وهي من حق الإمام إستبدال الجزية بضعف الصدقة "...فيكون ما يأخذه جزية بإسم الصدقة ،فيأخذ من خمس من الإبل شاتين و من خمس و عشرين ابنتي مخاض . ومن عشرين دينارا ، دينارا ومن مائتي درهم عشرة دراهم و مما سقته السماء الخمس و ما سقي بآلة العشر و يأخذ من ست و ثلاثين لبون "[2] .

تعتبر الجزية المساهمة المالية التي يقدمها أهل الذمة للدولة الإسلامية[3]وهي مقابل ما يؤديه المسلمون من زكاة ، و تساهم الجزية بشكل كبير في العوائد المالية[4]، فميزان الدفع من زيادة أو نقصان على أهل الذمة عائد لمبدأ المشاركة المالية من قبل مواطني الدولة ، وفق عدالة الإسلام ، وفي هذا يقول ابن عابدين أن مصرف الجزية كسد ثغور و بناء قنطرة أو جسر[5] ، وبذلك كان لها مساهمة إقتصادية كبيرة.

---

[1] الجزية مبلغ من المال يؤخذ من أهل الكتاب و المجوس بدار الإسلام في كل عام ، وهي مشروعة بالكتاب و السنة ،أنظر/ عدنان محمد أمامة ،التجديد في الفكر الإسلامي ،دار إبن الجوزي ، القاهرة، 1424هـ، ط1، ص528، و إبن القيم الجوزية ،أحكام أهل الذمة ، مصدر سابق ، ص 79 ،و الفصل الأول ص03

[2] الونشريسي ، المعيار ، مصدر سابق، ج02،ص 234

[3] إبراهيم يوسف يوسف ، النفقات العامة في الإسلام ، دار الكتاب الجامعي ، الإمارات العربية المتحدة، 1980م، ص 65

[4] منذر قحف ، دور السياسات المالية و ضوابطها في الإقتصاد الإسلامي ، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1999م، ص69

[5] عامر محمد نزار جلعوط ، حقائق و مفاهيم عن الجزية في الإقتصاد المالي الإسلامي ، مجلة الإقتصاد ، جامعة الزقازيق ، مصر، عدد 59، 2004م، ص 02

إن ما جاء به المعيار من وجه إستبدال الجزية بالصدقة يظهر الأهمية البالغة بمكان لها ، فهي تساهم في الاقتصاد المحلي ، و في نوازل الجزية للذميين جاءت نازلة عند البرزلي ،حيث سئل اللخمي عن يهود إفريقية تؤخذ منهم الجزية جملة لو مضت على عددهم ،جاءت أقل من أربعة دنانير هل يمضي ذلك[1]؟ .

هذه النازلة جاءت في حق يهود المغرب الإسلامي ، والسائل يستفسر عن قيمة الجزية فيجيب اللخمي* أن مقدار الجزية تتراوح فيما ذكره السائل لأنه ليس هناك قدوة ، فإذا أخذ من الموسر أربعة دنانير فقد خفف عنه[2] ، فهذه النازلة تكشف لنا القدرة المالية التي كان أهل الذمة يتمتعون بها ، حيث أن أربعة دنانير كانت كافية كمقدار للجزية وبذلك كان ما يمكله اليهود خلال العام من أموال أحسن و أفضل من مقدار أربعة دنانير.

اعتبرت الجزية من المصادر التمويلية للاقتصاد المحلي ،إذ بينت لنا النازلة أن السلطة لم تتهاون في جمع الجزية و لو كان ذلك بتغيير المسمى لها كالصدقة ، وهذا لأهميتها ، إضافة لذلك كشفت الراحة المالية التي كان يتمتع بها اليهود و هذا بمقدار الجزية التي كانوا يدفعونها .

---

[1] البرزلي ،نوازل البرزلي ، مصدر سابق ، ج02،ص 42

[2] المصدر نفسه ،ص 42

*عبد الله بن محمد بن علي اللخمي ، من فقهاء المالكية ،باعث الحركة العلمية في بلاد المغرب ، و قد اعتمد عليه خليل في مختصره و له كتاب التبصرة ، توفي سنة478هـ ، أنظر / القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك ،مصدر سابق ، ج02 ،ص 199،أنظر/ ابو بكر محمد الأموي الاشبيلي ،فهرسة الاشبيلي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1419هـ/1998م،ص01،ص 94 ، و ابن عبد الملك الاشبيلي، الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، 1433هـ/2012م،ط01، ج 01، ص 668

2/ **المعاملات المالية :**

تعددت معاملات أهل الذمة من خلال النوازل ، إذ كانت تارة البيع و الشراء و تارة أخرى معرفة حكم معاملة مالية كالربا ، فنجد نازلة حول حكم معاملة اليهود ، فجاءت نازلة حول جواز معاملة اليهود بالبيع و الشراء منهم و الاستدانة أم لا[1] ؟ . إن اليهود في القدم لم يكونوا تجارا بل متطفلين على التجارة ، ولكن مع مرور الزمن أوجدوا لأنفسهم مكانا مرموقا في التجارة[2] خاصة في بلاد المغرب الإسلامي و الأندلس بل امتهنوا عدة مهن كما أشرنا سابقا ، و بحكم الممارسة كونوا خبرة كبيرة أفضت لولوجهم إلى المجال بنجاح ، فتذكر وثائق الجنيزا[3] المصرية أن عائلة يهودية من المهدية[4] بعثت ولدها لكسب الخبرة من القاهرة.

من خلال تلك النازلة يظهر أن اليهود تحكموا في التجارة الداخلية و أصبحوا يقرضون السكان ، فالسائل يبحث عن الحكم الشرعي من خلال المعاملات التجارية .

---

[1] الونشريسي ،المعيار ، مصدر سابق، ج05،ص244

[2] حسن ظاظا ،اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، دار الإتحاد العربي للطباعة ، مصر، 1975م، ص "ل" و ص164

[3] الجنيزة أو الجنيزا كلمة تشبه الكلمة العربية جنازة وهي من الدفن ، هي مجموع الوثائق التي وجدت في كنيس بن عزرا مدفونة في القاهرة حيث قدر عددها ب200ألف و أقدمها كان يعود للقرن 11م ، وقد تنوعت النصوص فيها من عدة فنون كإعداد العقاقير إلى فن الموسيقى و بعض المواضيع كالشعر العبري و الأدب و حتى عقود الزواج ، وتضم أيضا العديد من المعلومات عن نظام الحياة اليومية لليهود وبذلك تعد مصدرا هاما لتاريخ اليهود في العصور الوسطى و 70 بالمائة منها محفوظة بمكتبة جامعة أكسفورد بإنجلترا ، أنظر / محاسن محمود الوقاد ،اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1999م، ص15،ص16،ص17

[4] المهدية مدينة بإفريقية بالمغرب الأدنى تونس حاليا ، أسسها المهدي سنة 303هـ و هي على ساحل المتوسط عليها سور عال محكم وكانت عاصمة الفاطميين ،أنظر / ياقوت الحموي ،معجم البلدان، مصدر سابق ،ج05، ص229 و حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001م،ص 70

لقد جاء نص الجواب : أنه إذا اشترى وباع اليهود على ما يجوز شرعا و لا يعمل معه بربا ولا بوجه لا يسوغ في الشرع فذلك حلال طيب سائغ[1]. لقد تمتعت فئة التجار بوضعية دينية يغمرها روح التسامح ، فكانوا أكثر حرية في التجارة و المعاملات المالية خاصة على مدن الساحل، حيث كان التجار اليهود يشكلون مجموعة تجارية قائمة حول البحر[2] و في بعض الأحيان إتصلوا بالخليفة الموحدي لتسهيل معاملاتهم التجارية[3] . تنوعت النوازل الخاصة بالشراء و البيع و هذه المرة كانت نازلة حول جواز شراء مسلمة و عتقها ، فكان نص الجواب أن العتق ثابت و الولاء يكون للمسلم و إذا أرادت الخروج من عنده فهي حرة تذهب أين شاءت[4] .

كانت هذه النازلة حول بيع و شراء الرقيق ، ولعل من مدن المغرب الأوسط التي اشتهرت بأسواق النخاسة و بيع العبيد و الإيماء وهران وهذا لتطور هذه التجارة مع السودان ،حيث أشرنا سابقا أن اليهود نشطوا في هذه الحرفة ،إلا أن هذه النازلة تطلعنا على أن النصارى كان لهم حضور أيضا في هذه الحرفة ، ولا نخرج من باب المعاملات، فقد وجدت نازلة أخرى حول جواز الصلاة في ثوب نصراني ، حيث سئل ابن مزين عمن اشتري ثوب نصراني فقيل لا تصلي به حتى تغسله؟ فأجاب أنه إذا لم يعلم أنه نصراني أو لبسه نصراني ردّ ، وإن علم بذلك فليس جهله يوجب ردّه[5] .

إن هذه النازلة تكشف بيع أهل الذمة للألبسة و الأقمشة في المجتمع ، وهي مهنة أخرى عمل فيها النصارى ، رغم أن بيع الأقمشة و الكتان اشتهر عند اليهود غالبا.

---

[1] الونشريسي ، مصدر سبق ذكره ، ص244

[2] عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، موفوم للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 2002م ج1،ص216

[3] إبراهيم القادري بوتشيش ،تاريخ المغرب الإسلامي ،مرجع سابق ،ص 98

[4] الونشريسي،المعيار،مصدر سابق ، ج02،ص253

[5] المصدر نفسه،ج05،ص 53

هناك نازلتان في الأندلس حول جواز بيع أصول الكرم للنصارى و بيع اللعب المصنوعة لرأس السنة و كلتا المسألتين رأى ابن رشد حرمتهما [1].

لقد وصل أهل الذمة إلى مراتب عالية في المجتمع سواء خلال العهد المرابطي كما أشرنا سابقا أو العهد الموحدي و حتى الزياني ، ولعل النازلة التي جاءت في حكم تولي يهودي الصرف في بيت مال المسلمين لدليل على ذلك، فقد سئل عن يهودي ولي صرفا لبيت مال المسلمين ليزن الدراهم المقبوضة و المصروفة و ينقدها ،هل تحل توليته[2] ؟ . كانت مهنة ضرب السكة و ما تعلق بالنقود في عهد الزيانيين بتلمسان تحت رعاية عائلة إبن ملاح القادمة من قرطبة[3] ، فهي التي كانت تتولى ضرب السكة وكل ما تعلق بها ، رغم ذلك فالنازلة بينت لنا الدرجة العالية التي وصل إليها أهل الذمة حتى أصبحوا في أعلى المناصب المهمة في الدولة .

جاء جواب الفتوى بأن لا يحل توليته ولا يجوز إبقاؤه فيها و لا يحل إعتماد قوله في شيء من ذلك[4]. تأتي نازلة أخرى حول المعاملات المالية و هي حول حكم مبايعة أهل الكتاب، جوازها من عدمه، فأجاب أن دراهم مباحة لنا والطعام و نحوه ...بخلاف المصحف و الخيل و ما فيه مضرة للمسلمين[5]، ربما هذه النازلة تعكس وفرة مال أهل الذمة و قدرتهم التجارية حيث ازدهرت مشاريعهم

[1] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق،ج06، ص 69
[2] المصدر نفسه ، ج12،ص376
[3] إبن خلدون ، تاريخ العبر ، مصدر سابق ، ج 07 ، ص124 ، ص125
[4] الونشريسي، المعيار، مصدر سابق ، ص376
[5] المصدر نفسه ،ج05،ص 103

التجارية في مختلف السلع[1] ونلحظ أيضا أن المفتي لا يقر أو لا يذهب بالإقرار لبعض السلع التجارية لأهل الذمة ببيعها للمسلمين كي يحفظ هيبة المسلم في دينه ولا يرضى له الدنية[2] .

شكلت نوازل المعاملات المالية باختلاف أحكامها الواقع التجاري المعاملاتي لأهل الذمة داخل مجتمع المغرب الأوسط ، و بينت صورا مختلفة لهذا التعامل الإقتصادي ،إضافة إلى أنها بينت سيطرة أهل الذمة على بعض المعاملات التجارية ، و تصدرها مكانا مرموقا في الهيئة المالية آنذاك .

3/ نوازل أحباس أهل الذمة :

إن الدور الذي لعبته الأحباس أو الأوقاف كان مهما سواء من الناحية الاجتماعية كتوفير أماكن الرعاية للفقراء و المساكين أو من الناحية الاقتصادية [3]كالمساهمة المالية في بيت المال أو حتى عوائد مالية تذهب للدولة ، و المعيار قد احتوى على نوازل عديدة في قضية الأحباس[4] أو الوقف سواء الخاصة بالمسلمين أو بأهل الذمة . جاءت نازلة في المعيار حول أحباس أهل الذمة ،حيث سئل القاضي أبو الفضل عياض عن أحباس حبسها النصارى على كنيسة لهم وبقي القسيسون يستغلونها إلى أن أجلاهم الأمير فردّ المسلمون الكنيسة مسجدا ...فبقيت الأحباس المذكورة على ما كانت عليه يكس منها المسجد

---

[1] آحميدة النفير ، المعيار و الهوية و الحوار"قراءة في التجربة التاريخية للمغرب الإسلامي" ، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، الإمارات العربية المتحدة ،دبي ، عدد14 ، 1996م، ص69

[2] نور الدين طوابة ،ملامح عن واقع الأقليات في المغرب الإسلامي ،مجلة آفاق الثقافة و التراث،مرجع سبق ذكره ، عدد59، 2007م ،ص 77

[3] محمدحسن العيدروس ،المغرب في العصر الإسلامي ،دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 1430هـ/2009م، ط01،ص 292

[4] الأحباس أو الأوقاف وهي حبس العين على ملك الواقف عن طريق التمليك أو التصدق بالمنفعة على الفقراء أو صرفها في أوجه الخير و إنتشر إسم الوقف ولا تزال تسمى في المغرب العربي أحباسا ،أنظر/ بن عمار بوضياف ،مفهوم الوقف كمؤسسة مالية في الفقه الإسلامي و التشريع ،دار الهدى ،عين مليلة، الجزائر، 2010م، ص27،ص 28 و سفيان شبيرة ،آثار الشخصية الاعتبارية للوقف ، رسالة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر ،قسنطينة ، 2011/2010م،ص 05

و يستغل الأئمة الباقي ...إلى أن قام عامل بيت المال لضمها لبيت مال المسلمين بغير إذن الأمير...فهل يجوز ذلك له[1] ؟ .

إن المضمون الاقتصادي للأوقاف أو الأحباس المباشرة كالمسجد تقدم خدمات مباشرة ، كالمدرسة أو المستشفى ، وهذه الخدمات المباشرة تمثل الإنتاج الفعلي أو المنافع الفعلية لأعيان الأموال الوقفية ، و تمثل الأصول الثابتة الإنتاجية المتراكمة من جيل لجيل فهي رأس مال إنتاجي تهدف إلى تقديم سيل أو فيض من المنافع[2]، وبقدر ما أعطته لنا النازلة حتى في أن الأموال الوقفية كانت تصرف في دفع رواتب الأئمة و التي كانت السلطة في غنى عنها ، إلا أنها أمدتنا كذلك بظاهرة ضم الأموال الوقفية الخاصة بأهل الذمة لبيت مال المسلمين ، وهذا دليل على وفرة العوائد من الحبوس . أما نص الجواب فكان بأنه لا حرمة لأحباس أهل الذمة ، وأنه كان أمرا حسنا عندما حولت الكنيسة مسجدا و أن ما كانت للكنيسة من أحباس فهي لبيت مال المسلمين ،أما إذا انتفع بها المسجد في البناء و الإمام في الأجرة فهذا من النظر السديد[3].

لم يتوقف النص النوازلي هنا ،بل جاءت نازلة أخرى و لكن في الأندلس حول تحبيس اليهود على مساجد المسلمين و كان جواب أبو عمران بأنه لا يجوز[4].

الوقف وما يمده من خدمات خيرية للناس و للفقراء له أهمية بالغة[5] فهو مؤسسة مالية إجتماعية[6] و هنا تعترضنا نازلة حول يهودي حبس على عقبه وجعل المرجع لفقراء المسلمين ، و سئل إبن

---

[1] الونشريسي ، المعيار، مصدر سابق، ج07، ص 73

[2] منذر قحف ، الوقف الإسلامي ، دار الفكر ،دمشق ، 1427هـ/2006م، ط02،ص 33

[3] الونشريسي، المعيار ،مصدر سبق ذكره ، ج07، ص73 ،ص74

[4] الونشريسي، المعيار، المصدر السابق ، ص65

[5] منذر قحف، دور السياسات المالية و ضوابطها في الإقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق ،ص 84

[6] منذر قحف ، الوقف الإسلامي ، مرجع سابق ، ص10

سهل* عن يهودي حبس على بنته عقارا و على عقبها فإذا انقرضوا رجع حبسا على مساكين المسلمين[1] ، فكان نص الجواب لا يجوز لأحباسهم التي حبسوها على وجه التقرب إلا ما يجوز للمسلمين في أحباسهم.

أقر إبن عتاب أن تحبيس المسلم لجنته جائز و بيع اليهوديان للمسلم جائز ولا قيام لليهودي على الأحباس ولو كانت له أوراق لأن نفاذ البيع قد تم[2] ، وهذا ما جاء كنازلة لإبن عتاب حول مسلم حبس جنة بعدما اشتراها من يهوديان ،ليأتي يهودي و يطالب بها زاعما أن أحدهما حبسها على أولاده و ليس له فرع و بذلك تؤول لهذا المدعي[3] .لقد أظهرت نوازل الأحباس الخاصة بأهل الذمة الدور الكبير للمسجد ، وكيف ساهمت الأموال الوقفية في خدمة المجتمع ، إضافة إلى روح التسامح التي ظهرت عند بعض اليهود في تحبيس أموالهم على المسلمين ما يعكس التعايش الحاصل بين الأقليات الدينية و المسلمين.

---

[1] الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ج07،ص 59

*القاضي عيسى بن سهل الأسدي الجياني، ت486هـ/1093، ولد بجيان سنة 413هـ /1022م ، و رحل إلى سبتة 468هـ ثم رجع للأندلس و قد تولى القضاء بغرانطة زمن المرابطين ، توفي سنة 486هـ ،من مؤلفاته الإعلام بنوازل الأحكام، أنظر / الذهبي محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، لبنان، 1422هـ/2001م، ج19،ص 25 و ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، تحقيق محمد الاحمدي أبو النور ،دار التراث للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، ،ج02،ص 70 و ص71 و أبي القاسم ابن بشكوال، الصلة، صححه وراجعه عزت العطار ،مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر ، 1414هـ/1994م، ط02،ج01،ص415

[2] الونشريسي، مصدر سبق ذكره ، ج07،ص 438

[3] المصدر نفسه ،ص 438

المبحث الرابع :الحياة الدينية لأهل الذمة من خلال النوازل

تعتبر الحياة الدينية او الطقوس التعبدية التي كان اهل الذمة يقومون بها داخل المجتمع المسلم مثيرة للجدل في المدونة النوازلية ،حيث تراوحت بين السؤال عن احقية تلك الممارسات كبناء الكنائس و الاماكن التعبدية أو حتى مسألة الجدل الديني المتمثل في المناظرات و سنستعرض ذلك من خلال النقاط التالية:

-نازلة يهود توات

-المناظرات الدينية

المبحث الرابع :الحياة الدينية لأهل الذمة من خلال النوازل

إن الممارسات الدينية لأهل الذمة قد كفلتها الشريعة الإسلامية ، فهم أحرار في العبادة و لا يمكن منعهم من تأدية شعائرهم الدينية الخاصة بهم[1] ، فالنص النوازلي قد أمدنا بنوازل عدة حول حياتهم الدينية و هذا ما سنتطرق إليه .

1/ نازلة يهود توات :

اعتبرت نازلة يهود توات ، الخط المفصلي بين أهل الذمة و المسلمين في بلاد الصحراء ،حيث دار على نازلتها جدل واسع امتد حتى عصرنا الحديث، وهذا ما أدى إلى الاهتمام بها سواء من الناحية التاريخية ، علاقة اليهود وواقعهم في مجتمع الصحراء أو الفقهية كجواز بقاء يهود توات و الحق لهم في ممارسة شعائرهم ، وقبل إستعراض نص النازلة ، يجب التعريف بإقليم توات الذي احتضن النازلة و التطرق لأهم العناصر البشرية التي كانت تكونه.

أ/ إقليم توات :

لم يتفق المؤرخون و الباحثون حول أصل محدد لتسمية "توات" حيث ينسبها الرصاع لإحدى قبائل البربر إذ يقول" ... ومنهم طوائف الطوارق و لمتونة و توات"[2] ،بينما يرى البعض أصلها بربري و تعني الأماكن المنخفضة[3] أما عبد الرحمن السعدي فرأى أن توات أصلها تكروري* ويعني نوعا من

[1] محمد الروكي ، حقوق الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي ،مجلة آفاق الثقافة و التراث ،مرجع سابق ، عدد27 ،28، 2000م، ص39

[2] محمد الأنصاري الرصاع، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة ،تونس، 1976م، ص127

[3] زهير قزان، حاضرة توات المالكية ،ماجستير، جامعة أدرار، 2011/2010م،ص 03

*بلاد التكرور هي الإقليم الغربي من الجنوب السوداني و أهم مدنه كانوا و تمبكتو ،أنظر/ محمد بلو عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ،تحقيق بهيجة شاذلي، مطبعة المعارف الجديدة ،المغرب، الرباط، 1996م،ط01،ص 47

المرض ،فقد أصيبت جماعة لأحد سلاطين إمبراطورية مالي بمرض إسمه توات فأطلقوا التسمية على تلك المنطقة التي أصيبوا فيها به[1] ، أما بعض المؤرخون فيرون أن أصل الكلمة توات أصلها أعجمي أطلقت على إحدى بطون لمتونة[2].

ب/ الموقع الجغرافي :

يتوسط إقليم توات الجهة الغربية من الصحراء الكبرى[3] أي جنوب المغرب الأوسط و يتشكل من ثلاث وحدات أساسية :تينجوراين (قورارة[4]) ،توات الوسطى ،تيدكلت[5] .

يمتد إقليم توات من قصر عريان الرأس[6] شمالا إلى زاوية الركاني جنوبا ، ويحد توات من الناحية الشمالية العرق الغربي الكبير و منطقة تيكورارين[7]و وادي الساورة و عرق الراوي و من الناحية الغربية وادي مسعود[1] و شرق توات هضبة تادميت و منطقة تيديكلت[2] و جنوب شرقها سبخة مكرغان و تنزروفت .

---

[1] عبد الرحمن السعدي ،تاريخ السودان، تحرير هوداس و بنوة، مكتبة أمريكا و الشرق، باريس، 1981م،ص 07

[2] عائشة بوشقيف، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي لإقليمي توات و السودان الغربي خلال القرن 09هـ/15م، رسالة ماجستير ،جامعة تلمسان، 2013/2012م، ص 02

[3] سالمي زينت، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ ،ماجستير ،جامعة تلمسان، 2011م/2012م، ص "م"

[4] كلمة معربة من الأصل البربري تينجورارين و التي تعني التخييم فالزناتيون الأوائل كانوا رحلا فبنوا أطواق لمواشيهم و حفظ خيراتهم ، أنظر / بليل رشيد، قصور قورار و أوليائها الصالحين في المأثور الشفاهي و المناقب و الأخبار المحلية ،ترجمة الحميد بورايو مركز البحوث في عصور ما قبل التاريخ ،عدد 03 ،2005م، ص 37 ،ص38 و الصحراء المغربية عبر التاريخ، مجلة دعوة الحق، وزارة الشؤون الاسلامية المغربية، ،مرجع سبق ذكره، عدد 168 ،ص12

[5] سالمي زينب ،الحركة العلمية في إقليم توات، مرجع سبق ذكره، ص "م"

[6] عريان الرأس هو الشيخ محمد بن الصالح تلميذ سيدي أبي الرواين دفين مكناس ،أنظر/ أبوسالم العياشي، ماء الموائل ، دار الغرب للنشر و الطباعة ، الرباط، المغرب، 1977م ،ص20

[7] منطقة مأهولة بعيدة بحوالي مائة ميل شمال شرق تسابيت ،سكانها أغنياء وقد كانوا تجارا ، وتعني الكلمة معسكرات ، أنظر /الحسن الوزان، وصف إفريقيا ، مصدر سابق ، ج01،ص 133

إذن هو فلكيا يقع بين خطي طول 1شرقا و 4 غربا و بين دائرتي عرض 26 و 30 درجة شمالا[3] و متوسط ارتفاعه عن مستوى سطح البحر مابين 200و 300متر[4] .

بعد إستعراض الموقع الجغرافي ، و أهميته في صحراء المغرب الأوسط نتطرق إلى التكوين البشري الذي ميز الإقليم و أهم العرقيات التي سكنته .

ج/ التكوين البشري لإقليم توات : تنوع إقليم توات بمجموعة سكانية مختلفة فضّم عدة فئات بما فيها أهل الذمة أو اليهود .

1/ البربر: هم السكان الأصليين لتوات و يرجع تواجدهم إلى ما قبل مجيء الإسلام بقرون ، و أهم القبائل التي سكنت هذا الإقليم زناتة[5] من بني عبد الواد و بني مرين و نظرا لتوفر السكينة و الأمن و بعد الإقليم على السلطة السياسية في الشمال[6] سكنوه .

---

[1] يتكون من واديان (وادي قير و وادي زوزفانة عند فجيج يتجه نحو الجنوب و هناك يسمى وادي الساورة و يصل كرزاز ليتجه نحو الغرب بإتجاه مغاير ولما يصل للجنوب يطلق عليه وادي مسعود ،أنظر / فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن و التاسع عشر الميلاديين ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1997م، ص 02

[2] منطقة شاسعة بين الهقار منها شرقية وعاصمتها عين صالح و غربية عاصمتها أولف ،أنظر /عائشة بوشقيف، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي ، مرجع سبق ذكره،ص 03

[3] مزيلخ عاشور، الشيخ بن عمر التنلاني و منهجه في تلخيص الدر المصون للسمين الحلبي ، مجلة التراث العربي ، دمشق، عدد107، 2007م، ص179 ، أنظر/ محمد صالح حوتية ، توات و الأزواد ، دار الكتاب العربي، القبة ، الجزائر ، 2007، ج01،ص 28

[4] سالمي زينب، الحركة العلمية في إقليم توات، مرجع سابق ، ص "ص"

[5] زناتة هو شانا بن يحي بن صولات و منهم البرانس ككتامة و صنهاجة و مصمودة و أوريغ ، أنظر/ إبن حزم الظاهري ،جمهرة أنساب العرب ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1962م، ط05، ص 495

[6] موسى لقبال ،البتر و البرانس و المظهر الإجتماعي لسكان المغرب، مجلة الأصالة ،الجزائر،عدد 24، أفريل 1975 ، ص161،ص162

لقد عمل البربر على زراعة الأرض و هذا لوجود المياه و كذلك مارسوا التجارة و حرفة الرعي .

بعد سقوط دولة المرابطين هاجرت قبائل لمتونة إلى توات فسكنوا تمنطيط و أسسوا القصور و كان أهم هاته القبائل أولاد يعقوب و أولاد يحي[1] .

2/العرب: إن الهدف الرئيسي لوصول العرب لمنطقة توات هو نشر الإسلام ، وكذلك التجارة ، وبالرجوع إلى تاريخ دخولهم للإقليم كان ذلك مطلع القرن 07هـ/13م ، وهذا في شكل جماعات و هجرات ، ومن أهمها هجرة الأشراف الذي يتصل نسبهم إلى الحسين و الحسن رضي الله عنهما و قد قدموا من المغرب الأقصى ، فحضوا بالاحترام و هذا للإرث الديني و البعد القدسي للرسول "ص"[2]، و كذلك عرف الإقليم قبائل أخرى منها قبائل المعقل الذين دخلوا مع الهجرة الهلالية و قد استقروا بقصور توات و من أهمهم الجعاونة و المطارفة و الغسل ....[3].

كما استقر بالإقليم عرب القدوية الذين استقروا شرق توات بعد مجيئهم من الحجاز و آخرون قدموا من تافيلالت و كان أهم نشاط العرب في توات الزراعة فحفروا الآبار و مارسوا التجارة [4].

لم يقتصر إقليم توات على البربر و العرب فحسب بل ضم فئة أخرى و هي فئة الزنوج أو العبيد و هم قسمان:

---

[1] عائشة بوشقيف، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق ، ص 12

[2] مقلاتي عبد الله و محفوظ رموم، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام و الثقافة العربية، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2009م،ص 34

[3] إبن خلدون ، العبر، مصدر سابق، ج06،ص 78

[4] عائشة بوشقيف، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق ، ص 13

أ/ الزنوج:

يعود تواجدهم إلى أزمنة بعيدة حيث أشرنا سابقا أن احد السلاطين أصيب رجاله بمرض في المنطقة فاستقروا بها مع جملة من العبيد ، وقد ذكر السعدي ذلك ، و مع الوقت تزايد عددهم نتيجة التجارة بين الأقاليم الشمالية و بلاد السودان الغربي، و لم تخلوا قصور توات منهم فمارسوا عدة أنشطة كشق الآبار و رعي المواشي و العمل في البساتين ، ويذكر ابن بطوطة في رحلته من تكدا إلى توات 745هـ/1353 م أن القافلة كانت تحمل 600 خادم[1] (رغم أن العدد مبالغ فيه وهذا لصعوبة الطريق و المسالك) .

ب/الحرّاثون او الحراطّون[2]:

وهم فئة مارست مختلف النشاطات الزراعية و المهن الشاقة ، وبرعوا في حفر الفقارات و إمتهنوا كذلك الرعي ، و البعض يقول أنهم من أب حر و آمة .

3/اليهود:

كنا في السابق قد أشرنا إلى هجرة اليهود إلى المغرب الأوسط، و كيف دخلوا المنطقة عبر منافذ متعددة ،أما بخصوص إقليم توات فقد رأى الباحث Jacob Oleil أن اليهود الذين سكنوا الإقليم كانوا على ثلاث هجرات ، الأولى كانت في القرن 2م و جاءت عبر صحراء ليبيا إلى توات و الثانية كانت من الموصل و اختلطت مع يهود خيبر بمصر في القرن6 م ثم اتجهت نحو توات و الثالثة و الأخيرة كانت من

---

[1] إبن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلماء ، بيروت، لبنان ، 1996م، ج02،ص 801

[2] أحرطان و تعني المختلط او المهجن و هناك من يقول أصل الكلمة " حر ثاني"، أنظر/ سالمي زينب ، الحركة العلمية في إقليم توات، مرجع سبق ذكره ،ص "ض"

الأندلس خلال القرن 7م لتصل إلى توات في حدود القرن 10م[1] أما برنار سافرو Beanard Saffroy فيرى أن اليهود وصلوا لتوات منذ حوالي 50 سنة قبل الميلاد و استقروا بالإقليم[2] – أما البعض فيربطون هجرة اليهود بالرحلات الأوروبية لاستكشاف الطرق التجارية حيث استعانوا بهم في ذلك[3] . مع هذه الهجرة الأخيرة شكلوا قوة اقتصادية و هناك بعض القبائل أسلمت منهم و لقبت بالمهاجرية لكنهم بقوا محافظين على عاداتهم و تقاليدهم ، و قويت تجارتهم بتوات بل سيطروا عليها إضافة إلى أنهم شكلوا قوة حرفية كانت تمتهن حرفة الصياغة وقدر عددهم ب ثلاثمائة و ستون صائغ[4].

كانت هذه الفئات تشكل شبه إتحاد تجاري مستقل و يتولى رؤساؤها حكم واحاتهم ، إضافة إلى التسامح مع أهل الذمة اليهود الذين كونوا علاقات جيدة مع رؤساء القبائل وقد وصف الرحالة الإيطالي **"مالفات أنطونيو"** وضعية اليهود قائلا " يتكاثر اليهود هنا و تسير حياتهم في سلم تحت ظل الرؤساء الذين يدافع كل منهم عن أتباعه ولهذا يتمتع اليهود بحياة سهلة و تسير التجارة بواسطتهم و هناك الكثيرون يضعون ثقتهم فيهم..."[5] فتأتي النازلة التي عرفت بنازلة يهود توات و تكون مفصلية في الحياة الدينية و الإقتصادية لهذا الإقليم بل أخذت حيزا مهما في جانبها الديني عند نوازل الونشريسي، و كانت مثار جدل واسع حتى قال عنها أحد المستشرقين أننا لا نكاد نتصفح المعيار بدون أن نقرأ على يهود توات و كيف كانت تلك القضية هامة في ذلك العصر

---

[1] Jacob oleil .les juifs au sahara .le touate au moyen age .c.n.r..s .èdition .paris .1994.p15

[2] Bernard saffroy .chronique du touat centre saharienne .Ghardaia .Algerie .1994.p01

[3] بوغرارة نبيلة ،محمد بن عبد الكريم المغيلي و مساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا 823هـ/909هـ، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة، 2003/2004م، ص206

[4] عائشة بوشقيف، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق ،ص 14

[5] علي محمد عبد اللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،ليبيا ، 2001م، ط01،ص39

ج/ النازلة:

تبدأ النازلة من قصور صحراء المغرب الأوسط بتوات ، حيث كتب الفقيه أبو محمد بن عبد الله بن أبي بكر العصنوني (ت986هـ/1560م) قاضي إقليم توات إلى فقهاء تلمسان و فاس ، فيصف المغيلي[1] وولده بأنهما مشاغبان بل هما صاحبا فتنة في الإقليم[2]، في حين اعترض المغيلي على ذلك وهذا راجع لأسباب منها نفوذ اليهود في أغلب مدن المغرب الإسلامي و توات خاصة و سيطرتهم على التجارة[3] .

يذهب العصنوني في رسالته المطولة إلى أن المغيلي قال بوجوب هدم كنائس اليهود و قال لا يعلم فيها خلاف و قال لا يفتي بتقريرها إلا دجال ، بل يذهب المغيلي ويقول أن من مات و أراد هدمها و يموت فهو في الجنة أما إن لم يفعل فهو من أهل النار[4] ؟.

إن نظرة المجتمع آنذاك كانت متأرجحة بين التسامح الكبير الذي مثله العصنوني و التعصب الذي مثله المغيلي، انطلاقا من الاعتبار الديني الذي ينعت بني إسرائيل بأوصاف مخزية و حقدهم على

---

[1] محمد بن عبد الكريم المغيلي ، أحد الفقهاء و العلماء الذين اشتهروا بمعاداتهم لليهود في بلاد المغرب الإسلامي ، أصله من مغيلة إحدى القبائل التي كانت تسكن من قرب تلمسان ،إختلف المترجمون في سنة ميلاده ، تعلم و تفقه على أبرز علماء تلمسان منهم محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب ،خرج لمجال الدعوة وكانت توات منزله وقد دخل في صراع مع اليهود لأسباب دينية و أخرى سياسية إقتصادية ، من مؤلفاته "مايجب على المسلمين من اجتناب الكفار و ما يلزم من أهل الذمة من الجزية و الصغار" ،هاجر لكانو و كان ذا منزلة رفعية عند سلطانها فكان داعية للمنهج الصحيح للإسلام و عاد لتوات بعد مقتل ابنه و توفي 909هـ /1503م بتوات ،أنظر/ التنبكتي ،نيل الإبتهاج،مصدر سابق ، ص 576 و محمد بن عكسر الشفشاوي، دوحة الناشر مصدر سابق ،ص 130 و إبن مريم ، البستان ، مصدر سابق ، ص 253

[2] الونشريسي ،المعيار، مصدر سابق، ج02،ص 214

[3] أحمد الحمدي ، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي ،مكتبة الرشاد للطباعة و النشر ،سيدي بلعباس ،الجزائر، 1433هـ/2012م،ص 126

[4] الونشريسي، مصدر سبق ذكره ،ص 216

الإسلام و المسلمين[1] و المغيلي رأى بوجوب هدم كنائس اليهود و ضرورة ملاحقتهم لأن المعابد تعتبر من الرموز السيادية في المجتمعات الدينية[2]. كانت مراسلة قاضي توات العصنوني لبعض العلماء و الذين أبدوا رأيهم ومنهم :يحي أبي البركات الغماري التلمساني الذي كانت فتواه متشددة مع المغيلي حيث رأى أنه لا يجوز هدم كنائس اليهود ويرى أن المفسدة هي من يثير الهرج و يحدث الفتن المؤدية لقتل النفوس و سلب الأموال و إشتعال نار الحرب[3] .

إن رأي أبي زكرياء لا يعدو أن يكون فتوى أو رد على المغيلي الذي يراه متشددا في حكمه على يهود توات و أيده في الحكم أحمد بن زكري حيث قال: هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين .....و التشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول من المسائل..."[4] .

لقد استطاع العصنوني حشد أكبر عدد من المؤيدين له في فتواه بعدم جواز هدم كنائس اليهود و هذا ما أيده فيه الفقيه الرصاع[5] فقيه تونس و مفتيها، فيقول" فلا مانع لهم من شراء ما يبنونه لسكناهم ..... و إذابتهم و مناقصة أموالهم و حيواتهم و بهائهم لا يحل ذلك فإنهم تحت ذمة المسلمين ...، و إذا صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد غير الله تعالى فلهم أن يتصرفوا

---

[1] سناء عطابي، واقع اليهود في المغرب الأوسط من خلال النصوص الفقهية المالكية ،مجلة الأداب و العلوم الإنسانية ،جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة ، عدد12، 2011م، ص 178

[2] مبارك فضيلة ،صحوة المغيلي و ثورته ضد يهود تمنطيط، ملتقى "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية و الثقافية إبان العصر الحديث (1500/2000م) ،جامعة أدرار، 2010م، ص 138،ص 139

[3] الونشريسي، المعيار،مصدر سابق ، ج02،ص 218

[4] المصدر نفسه،ص 218

[5] محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري التونسي ،قاضي الجماعة ، من مؤلفاته تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين و شرح حدود إبن عرفة في الفقه توفي سنة 894هـ ، أنظر / التنبكتي ،نيل الإبتهاج ،مصدر سابق، ص 560 ،ص 561 ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت، لبنان ، 1412هـ/1992م، ط01،ج08 ، ص 287و ص288

فيها ببناء ما يحبون ..."[1] لقد كانت أراء هؤولا الفقهاء حاسمة في مسألة بناء الكنائس فما كان من المغيلي سوى أن انتقل لفاس وهذا لحشد أراء الفقهاء و إقناعهم بأن فتواه في هدم الكنائس شرعية ، و بالفعل أيديه الونشريسي حيث قال" ...لا تقرر الملاعين اليهود أبعدهم الله فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير ..." [2].

إن رأي الونشريسي في المسألة كان واضحا فهو يرى أن هدم كنائس اليهود واجب ، و أيده في ذلك فقيه فاس و مفتيها أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي حيث قال"... فلا تنبغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار..."[3] ، أما التنسي فشدد أيضا على عدم المسامحة لليهود بإقامة متعبد بهم بتوات وهذا لإظهار شرف الإسلام و لا يظهر معه غيره[4].

ربما ما ذهب إليه أصحاب الرأي بجواز هدم كنائس اليهود رآه ابن سهل في نوازله حيث قال" و ليس في شرائع الإسلام إحداث أهل الذمة من اليهود و النصارى كنائس ولا شنوغات في مدائن المسلمين و بين ظهرانيهم "[5]. من خلال ما سبق يتضح أن الفتوى تتغير بناء على تغير المصلحة المبنية عليها أو إختلاف العوائد و الأعراف المرعية فيها أو زوال الضرورة الملجئة إليها أو بتغير الوصف أو الاسم أو من عدة أسباب التي تتغير من أجلها الفتاوى[6].

---

[1] الونشريسي ،المعيار، مصدر سبق ذكره ،ص 229

[2] الونشريسي، المعيار، مصدر سابق ، ص 232

[3] المصدر نفسه ، ص 225

[4] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح ، مرجع سابق ، ص 119

[5] إبن سهل ،الإعلام بنوازل الأحكام، مصدر سابق ،ج02،ص 257

[6] ناصر قارة ، تغير الفتوى المفهوم و الأسباب و الضوابط، ملتقى إشكالية الفتوى ، مرجع سابق ،ج01، ص34

لقد كان الصراع في إقليم توات بين الشيخ المغيلي و القاضي و أنصار العصنوني أكبر من أن يكون مسألة نازلة أو حكم فقهي ، فقد مرّ يوما المدعو مبروك بن أحمد وهو من مناصري اليهود بالمنطقة و رمى حفنة من الرمال في الواجهة التي كان يجلس فيها المغيلي[1] و هذا التصرف دليل قوي على صراع خفي بين فئتين ،اليهود و أنصارهم و المغيلي و أنصاره لكن ما يطرح ، هل كانت نازلة يهود توات مجرد فتوى قصد من خلالها المغيلي إخراج اليهود و إجلائهم بل وحشد الرأي العام للقضاء على أهل الذمة بالإقليم ؟ ألا يمكن اعتبار طلب المغيلي من ملك كانو بأن يقبض على اليهود التواتيين و إدخالهم السجن بعد مقتل إبنه دليل على وجود حقد ؟، مع أن ملك كانو رفض ذلك و أخبر المغيلي أنهم أناس ليس لهم ذنب[2] ؟ وكيف يخرج هذا الحكم الغير منطقي من المغيلي وهو يعرف الحكم الفقهي لأولئك الناس المسالمين ؟ .

لقد أيقن المغيلي أن نفوذ اليهود قوي و أصبحوا يتحكمون في الحياة الاقتصادية[3] و هم الآمر و الناهي في الإقليم فأعلن الثورة عليهم سنة 882هـ/1477م بتأييد من القبائل و إستطاع تهديم و تخريب كل مكان يتعبد فيه اليهود بتوات، وهكذا نفذ ما كان يصبو إليه رغم عدم تأييد سلطان الوطاسيين لرأيه ، وهنا يطرح تساؤل آخر هل كان المغيلي يريد السلطة السياسية على الإقليم ؟ لأنه ثار ضد اليهود و بدون تزكية سلطوية وطاسية ؟ بالفعل فقد أسس المغيلي إمارة توات[4] .

قرر المغيلي أن يترك توات بعد استقرار الأوضاع و ينتقل إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام و لكن نتائج فتوى المغيلي كانت سيئة على على الإقليم من الناحية الإقتصادية[5] ، فقد تعطلت الكثير من الصنائع و الحرف التي كانت تحت سيطرة اليهود إضافة إلى عدم تأييد معظم القبائل لما ذهب إليه المغيلي و هنا

---

[1] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح، مرجع سبق ذكره ،ص 122

[2] بوشقيف عائشة ، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سبق ذكره،ص76

[3] مقلاتي عبد الله ،موقف الشيخ المغيلي من يهود توات ،مجلة الحقيقة ،عدد 06، 2005م، جامعة أدرار ،ص 257

[4] الحمدي أحمد، الفقيه المصلح، مرجع سابق ،ص 129

[5] مقلاتي عبد الله، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مرجع سابق ، ص 258

يمكن الخلوص إلى أن المغيلي أراد تحقيق إمارة في الصحراء مبدأها الشريعة و هذا ما نراه في كتابه فيما يجب على الأمير حسن النية للإمارة [1]،هذا ما يكشف الفكر السياسي الإصلاحي عند المغيلي .

بعد مقتل إبنه عاد المغيلي إلى توات و أعلن الثورة الثانية على اليهود بعدما وجد أنهم عادوا لمراكزهم ، وكانت الحرب بينه و بين جيش عمر بن عبد الرحمن وقد هلك الكثير فيها ، و في النهاية مالت كفة الغلبة للقاضي العصنوني ، فما كان من المغيلي سوى أن لجأ إلى قبائل البرامكة و إستقر عندهم ليكمل باقي حياته حتى الوفاة سنة 909هـ[2] .

إن ما ظهر من خلال نازلة يهود توات هو اختلاف الآراء الفقهية في تأييد حق الممارسة الشعائرية لأهل الذمة ، ويمكن القول أن أهل الذمة لم يمارسوا شعائرهم بالصورة التي كفلها لهم الشرع و هذا ما رأيناه في هدم كنائس اليهود ،بغض النظر على الأسباب الحقيقة وراء ذلك ،و فكرة التسامح الديني كانت غائبة ، رغم ذلك كانت هناك آراء أخرى أيدت الحرية الدينية و الحق في ممارسة الشعائر ، وهذا ما يعكس الوسطية السمحة في الإسلام ،من خلال هذا لا يمكن الخروج بالطرح الذي يقول أن أهل الذمة في المغرب الأوسط لم يمارسوا شعائرهم الدينية لأنه في نهاية الأمر بقي اليهود في توات و مارسوا ديانتهم رغم التبعات الأخرى.

إن ترك أهل الذمة يمارسون اعتقادهم ثم يضيق عليهم بالمصادرة و النفي و العذاب هذا شيء لا يخلو من التعصب ،إذ ما معنى أن تسمح لهم بإعتناق عقيدة ثم تفرض عليهم نهيا بالإيجاب و التحريم[3]،إذن أهم

[1] محمد بن عبد الكريم المغيلي، مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة ،تحقيق مقدم مبروك، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر، 2011م، ج01،ص 141

[2] مقلاتي عبد الله، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مرجع سبق ذكره، ص265

[3] يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية و الحل الإسلامي، المكتب الإسلامي ، بيروت، هـ1418/1998م، ط03، ص 36،ص37

شيء يجب التذكير به من خلال معالجة نازلة جاءت في المعيار هو موضوع الحوار الإسلامي مع الآخر في صيغته المعاصرة [1].

لم تكن الحياة الدينية لأهل الذمة مقتصرة على ممارسة الشعائر الدينية فقط بل تعدت إلى المناظرات الدينية و الجدل حول بعض الأمور العقدية في ديانة أهل الذمة أو حتى التكلم في الإسلام ، وهذا ما سنتطرق له تحت مفهوم الجدل الديني عند أهل الذمة .

[1] أحميدة النفير، الآخر و الهوية و التراحم ،قراءة في التجربة التاريخية للغرب الإسلامي ،مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، عدد27، 1425هـ /2004م، ص 266

2/ الجدل الديني:

إن العلاقة بين الإسلام و أهل الديانات الأخرى علاقة متنوعة إذ كانت أولى المناظرات في الإسلام التي حدثت عند ملك الحبشة بين جعفر بن أبي طالب و عمرو بن العاص رضي الله عنهما و التي تعكس الطرح الموضوعي لمختلف الديانات السماوية[1]فالجدل الديني سمة من سمات الرقي المعرفي و قبول الآخر وهو الموضوع الذي يدور بشأنه الحوار و المناظرة[2] .

جاءت نازلة في المعيار أو مناظرة بين الشيخ أبي عبد الله الشريف[3] وأحد اليهود في تلمسان إذ سأل اليهودي ثلاث أسئلة كان أولها :أن أبا النصر الفارابي جمع التقدم بالزمان و بالعلة التامة ، فأجاب عليه الشيخ أن الجواب أجاب عنه إبن الصائغ و الثاني لماذا حرم إنزاء* الحمار عن الفرس على بني إسرائيل و أبيح لكم ؟ فقال الشيخ عزمت أن أجيبه بالنسخ لكن قلت لا أقول كي لا يقول اليهودي جئتني على مذهبي و الثالثة لمن بعث موسى عليه الصلاة و السلام ؟ فقال لبني إسرائيل[4] ، هذه النازلة جاءت كاختبار للشيخ ابي عبد الله الشريف من الذمي ولنا في هذا الأمر سياق ، حيث تعود اليهود طرح مسائل في الدين الإسلامي تعجز صاحبها مثلما فعل اليهود لما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح و الفتية الذين

---

[1] محمد عبد الله السحيم ، الحوار النصراني الإسلامي ،مجلة كلية دار العلوم ،جامعة الفيوم ،عدد 19، يونيو 2008م، ص 06

[2] عبد الله بن إبراهيم العسكر ،الجدل الديني في الأندلس ،مجلة التاريخ ، جامعة الملك سعود ، عدد15 ،1429هـ/2008م، ص 01

[3] أبي عبد الله الشريف التلمساني أحد العلماء و الفقهاء في تلمسان كان إمام جامع الخراطين له شرح مختصر للتسهيل لإبن مالك ،توفي سنة 847هـ/1444م و دفن بباب الجياد ،أنظر / إبن مريم ، البستان مصدر سابق ، ص222 ، و القلصادي ابي الحسن ، رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الأجفان ،دار إبن حزم ،لبنان ،بيروت، 1432هـ/2011م، ط01، ص104

*الإنزاء و هو حمل الحيوان على الوثب أي على إناثها ولا يقال إلا للشاء و الدواب و الحيوان ، ومسألة إنزاء الحمار فيه إختلاف مكروه عند الحنابلة وعند الحنفية لا كراهة في ذلك ،أنظر /محمد بن أحمد السفاريني ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، دار الكتب العلمية ،لبنان ، 1417هـ/1996 م، ط01،ج02 ،ص 31

[4] الونشريسي،المعيار، مصدر سابق ج02،ص 154

تاهوا في الدهر[1] ، فنلحظ أن الذميين يريدون التشكيك او حب المعرفة ، أو المناظرة لأجل إظهار حقيقة معتقدهم . جاءت مناظرة بين إبن رشيق و أحد القساوسة من مراكش وهذا في بلاد الأندلس في مدينة مرسية و كان موضوعها القرآن و إعجازه[2] ،فهذه المناظرة تعطينا مدى الأهمية البالغة التي كان يوليها رجال الدين من أهل الذمة بالدين الإسلامي ، ومحاولتهم التلبيس على أهل الحق و الطعن في الأركان الأساسية للإسلام و رغم ذلك إستطاع ابن رشيق أن يغلبهم بالحجج النقلية و العقلية .

هناك نازلة أخرى حول سب النبي صلى الله عليه وسلم من طرف نصراني ،فرد المفتي أن لا شيء عليه لأن سب النبي كفر و سب غيره ليس بكفر[3] .

لم تكن مسألة الجدال الديني طاغية لدى أهل الذمة آنذاك ، حيث أن الذميين لم تكن لهم الجرأة أحيانا للدخول مع علماء في جدال أو الفارق العلمي الكبير بين العالم و الذمي من الناحية العلمية أو خوفهم من إحداث مسائل في الجدال قد تضر وجودهم وتغير نظرة المجتمع لهم .

لقد كان كتاب المعيار و ما احتواه من نوازل أرشيفا تاريخيا موثقا لمجتمع في حقب زمنية متعددة ، و قد أمدنا بالواقع آنذاك و لا زالت نوازل الونشريسي تحتاج إلى إعادة قراءة سواء من الناحية الفقهية أو حتى التاريخية لاستخلاص و معرفة أحوال المجتمع بمختلف أطيافه بغض النظر عن أهل الذمة .

---

[1] عبد الملك ابن هشام ، السيرة النبوية، علق عليها عبد الرزاق الخطيب، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، 1432هـ/2011م ،ط02،ج01،ص 229

[2] الونشريسي ،المعيار ، ج11،ص 156

[3] المصدر نفسه ،ج02،ص 522

شكلت منطقة المغرب الأوسط مكانا مهما بالنسبة للعناصر المهاجرة عبر العصور القديمة و حتى العصور الوسطى، حيث هاجر اليهود و النصارى إليها فتراوحت الأسباب في ذلك ، فمن الفرار الى الإضطهاد الديني خاصة اليهود في فترة الحضارة البابلية و زمن الإمبراطورية الرومانية ، ومع كل انتفاضة سياسية ضد الحكم يكون اليهود أولى الفئات المطرودة ، فشكلت منطقة شمال إفريقيا ملاذا آمنا لهذه الفئة ،و الجدير بالقول أنه حتى النصارى و المجوس لم يكونوا بمعزل عن تواجدهم في المنطقة وهذا ما رأيناه في الحضور الكنسي و ظهور أكبر القديسين في تاريخ البابوية في المغرب الأوسط كما هو الحال مع القديس أوغسطين ، الأمر الذي أنتج قبائل بربرية مسيحية في المنطقة ، مع وجود فئة قليلة للمجوس ما أعطى التنوع الديني في المغرب الأوسط ، وحتى بدخول الإسلام للمنطقة حافظت تلك الطوائف على مسارها الديني معتمدة في ذلك على الشريعة الإسلامية التي كفلت لها حقوقها .

لقد احتوى المعيار على مجموعة من النوازل الخاصة بأهل الذمة في مختلف الجوانب الاجتماعية ، فرأينا طبيعة الطعام الخاص بأهل الذمة و كيف كان اللحم المصدر الأساسي للطعام في المنطقة ، إضافة إلى ممارسة فئة أهل الذمة أنواعا من الحرف كالقصابة ، أما في طريقة الملبس فلم يكن أهل الذمة يختلفون عن المسلمين فالشواهد كثيرة على تشبه تلك الفئة بالمسلمين بل حتى بالوجهاء داخل المنظومة الطبقية لمجتمع المغرب الأوسط ، فكان حضورهم قويا جدا ، ولا تخلو الحياة الاجتماعية لأهل الذمة من الاحتفال بالأعياد و المناسبات الدينية ،فكانت مشاركة المسلمين لهم متعددة مما عكس روح التسامح و الاندماج التام لتلك الفئة في المجتمع الإسلامي ، و لا نخرج من الحياة الاجتماعية حيث كانت النوازل شاهدا على مسألة حسن الجوار للمسلمين مع أهل الذمة في الغالب إلا ما حفظته بعض النوازل عن إساءة الذميين لجيرانهم المسلمين ، ولا يعدو ذلك أن يكون ممارسة فردية لا تعكس النمط العام السائد آنذاك المبني على حسن الجوار ، و أخيرا عرف أهل الذمة المنظومة القضائية الإسلامية بعدلها في الفصل في القضايا التي كانت غالبا بين أهل الذمة أنفسهم ،حيث حفظت لنا نازلة عن لجوء أهل الذمة للقضاء الإسلامي وهذا

لنزاهته و عدله مما يجعلنا نستخلص أن أهل الذمة تمتعوا بحياة اجتماعية عادية تميزت بالتسامح و العيش وفق حدود الشريعة .

لو تحدثنا عن الحياة الاقتصادية لأهل الذمة سنقول أن الشريعة الإسلامية فرضت عليها مقدارا من المال تكون السلطة السياسية هي من تتولى جمعه ،مما ساهم بشكل أو بآخر في السياسة الاقتصادية للدولة آنذاك ، إضافة إلى ذلك أمدتنا بعض النوازل عن حالة أهل الذمة في المجتمع وهذا لاحتلالهم مرتبة مرموقة كفئة التجار و أمناء المال ، ما خلق نوعا من تحكم أهل الذمة بالتجارة و نفوذهم داخل السلطة السياسية، ولا نخرج من الحياة الاقتصادية حيث كانت الأحباس أو ما وقفه أهل الذمة من المسائل التي أخذت حيزا داخل المجتمع ، فكنا نجد نوازلا حول توقيف دور و جنان على مساكين المسلمين و تحويل حبوس الكنائس إلى نفقات على المسجد ، فكل هذا يعكس رفاهية بعض فئات أهل الذمة ماليا و مدى حرصهم على مساعدة المسلمين و عدم تغير فكرة ما هو ديني عند أهل الذمة و عند المسلمين .

إن مسألة ممارسة الشعائر الدينية الخاصة بأهل الذمة في المغرب الأوسط كان الحديث عنها بشكل كبير ، فالونشريسي في نوازله لم يحفظ لنا نوازلا تتحدث عن تضييق السلطة على أهل الذمة في ممارستهم الدينية أو تضيق الناس في شمال مغرب الأوسط ، لكن الشاهد الوحيد الذي وصلنا عن مسألة التضييق جاء من صحراء المغرب الأوسط ، في نازلة توات و التي اختلفت الفتاوى حولها ، فدلالتها الحقيقة لم تكن دينية بقدر ما كان القصد منها شيء آخر ، أراد منه المغيلي التضييق على اليهود اقتصاديا خوفا من السيطرة على الإقليم سياسيا ، ورغم ما حدث للمغيلي مع اليهود، تبقى نازلة يهود توات شاهدا على الاختلاف الفقهي و سعت الشريعة الإسلامية كون آراء الفقهاء كانت مختلفة في المسألة . يبقى المعيار للونشريسي من بين أهم النصوص و المؤلفات في النوازل ، حيث حفظ لنا تاريخ المنطقة الفقهي و الاجتماعي على شكل نوازل ، لا زالت تحتاج من الباحث التمعن و اعادة القراءة خاصة

في مسألة أهل الذمة ، وهذا لتبيان مدى روح التسامح و التعايش داخل المجتمع المسلم ، في فترات متعددة من العصور ، ولعل هذا يساعدنا في إعطاء الصورة الحقيقة للإسلام مع أهل الذمة و خاصة ما نعيشه في حاضرنا اليوم و سوء فهم المجتمع المسلم لغير المسلمين ، و ما يتعرضون له من اضطهاد لا يتصل بالتعاليم الصحيحة للشريعة الإسلامية و التي بعث رسولها رحمة للإنسانية و الناس أجمعين .

خـــــاتــمة

خـــاتمة

إن نـوازل الونشريسـي باعتبارهـا مدونـة فقهيـة مالكيـة بامتيـاز سـاهمت بشـكل كبـير في حفـظ الـتراث و المرجعيـة المالكيـة في المغـرب الإسـلامي ، و لا يمكـن أن تفقـد قيمتهـا مـع الوقـت خاصـة في ظـل تعـدد الفنـون الـتي يمكـن أن تسـاعد البـاحثين في الاعتمـاد عليهـا كالتـاريخ ، وبـذلك يمكـن تصـنيفها ضـمن الأرشـيف الفقهـي الـذي يكتسـب أهميتـه مـع الوقـت لمعرفـة ماضـي المغـرب الأوسـط و قـراءة الأبعـاد الحضـارية الـتي كانـت تكونـه في مختلـف جوانـب الحيـاة سـواء الاجتماعيـة منهـا أو السياسـية و الاقتصـادية ، ولعـل بحثنـا هـذا أخـذ الجانـب الاجتمـاعي المتمثـل في دراسـة فئـة مـن مجتمـع المغـرب الأوسـط عرفـت بأهـل الذمـة ، وقـد تجلـى لنـا جملـة مـن النتـائج مـن خـلال مـا سـبق في فصـول البحـث و يمكـن استخلاصـها فيمـا يلي :

- سـاهمت النـوازل الفقهيـة في تطـوير المـذهب المـالكي و حفظـه وهـذا بمجمـوع النـوازل الفقهيـة الـتي تركهـا الونشريسـي و المـازوني و الـبرزلي و غـيرهم ، وأعطـت طابعـا جديـدا للممارسـة الفقهيـة في المنطقـة بالتجديـد و مسـايرة العصـر مـا أضـفى صـبغة التجـدد علـى الفقـه و بـذلك لم يعـد مجـرد تنظـير بـل اصـبح واقـع يمارسـه الفقهـاء عـن طريـق الإفتـاء في النازلـة و البحـث و الاجتهـاد حيـث لا زالـت النـوازل الفقهيـة إرثـا متميـزا و مصـدرا هامـا لدراسـة التـاريخ الخـاص بـالمغرب الأوسـط، و المنطقـة ككـل في مختلـف الجوانـب و لا يمكـن تجاهلهـا أو التغاضـي عنهـا، لمـا تمثلـه مـن مـادة خصـبة و كثـيرة ، فعلينـا أن ننهـل منهـا لمعرفـة الماضـي و تسـويقه لأجيـال الحاضـر بمـا يخـدم الواقـع ، اضـافة لـذلك كانـت بيئـة المغـرب الأوسـط علـى مـر السـنين خصـبة لإنتـاج العقـول و العلمـاء ،إذ يعتـبر الونشريسـي مـن النمـاذج الفريـدة الـتي أنتجتهـا المنطقـة، وهـذا يـدل علـى الأوضـاع العلميـة وطبيعـة المجتمـع الـذي كـان يقـدس كـل مـا هـو ديـني ، و يسـهر علـى تخـريج نخـب علميـة ولعـل الحواضـر العلميـة كانـت شـاهدة علـى ذلـك كتلمسـان و مازونـة و بجايـة ، وهـذا سـاعد علـى التقـدم الفكـري في المنطقـة ، أمـا مـا ميـز مجتمـع المغـرب الأوسـط هـو تسـامحه مـع فئـة أهـل الذمـة حيـث تمتعـوا بحريـة كبـيرة في مختلـف ميـادين الحيـاة كاللبـاس و الممارسـات التجاريـة و الدينيـة ، و كانـت لهم مكانة مرموقة عند السلطة مما أهلهم لبلوغ أعلى المناصب في الدولة ، و بذلك أعطى

خــاتمة

- مجتمع المغرب الأوسط صورة المسلم الاجتماعي الذي يقبل الآخر وفق الأطر الإسلامية التي تنظم حياته . و هذا الحضور للفئات الغير مسلمة كان قويا في مجتمع المغرب الأوسط منذ العصور القديمة، حيث تنوعت الفئات من اليهود الذين سكنوا في المنطقة و النصارى خلال العهد الروماني ، و حتى المجوس ، مما عكس تسامح البربر ، و حتى بمجيء الإسلام للمنطقة نظم تلك العلاقة المبنية على فهم الآخر و إعطاءه الحق في ممارسة شعائره وفق دفع مقدار من المال عرف بالجزية و التي حدد لها الفقهاء شروطا و ضوابطا لتكون الشريعة عادلة مع الجميع . لا يمكننا أن نحصر فقه النوازل في حلقة الفقه ، بل تجلت أهميته في كون منطقة المغرب الإسلامي شهدت نقلة علمية فريدة ، ساهمت في تجديد المذهب المالكي و بينت لنا مدى ثراء الحياة العلمية التي شهدتها المنطقة مما خلق نوعا من التميز عن المدرسة الفقهية المالكية المشرقية ، وأعطى خصوصية للمدرسة الأندلسية و المغاربية ، أما بالرجوع لعصر الونشريسي فنجده قد شهد تجاذبات سياسية كبيرة خاصة الفتن التي وقعت داخل البيت الزياني و التي عجلت برحيل صاحب المعيار نحو المغرب الاقصى ، و أفرزت لنا مجموعة من الإشكاليات لا زالت تحتاج إلى البحث ،كالسبب الحقيقي الذي جعل الونشريسي يدخل في صراع مع السلطة الزيانية و تخريب الأخيرة لبيته ما عجل برحيله ؟ ، و عدم إفتاء الونشريسي بحرمة كل من يتخاذل بنصرة المسلمين في الأندلس حيث كان شاهدا على سقوط غرناطة ؟، إضافة إلى سؤال ملح هو لماذا أفتى الونشريسي بعدم جواز بقاء مسلمي غرناطة في الأندلس رغم أن المسلمين كانوا قديمي عهد بالمنطقة ولهم الحق في ممارسة شعائرهم الدينية حتى قبل صدور مرسوم 1511م ؟، كل هذا يجعل الباحث يعيد النظر في عصر الونشريسي و الظروف المحيطة به . كذلك لا يمكننا في هذه الخاتمة أن نتجاهل قضية يهود توات و التي مثلت حق أهل الذمة في ممارسة شعائرهم الدينية في المجتمع الإسلامي ، حيث أخذت أبعادا مختلفة كانت التأويلات فيها كثيرة فمن رغبة المغيلي في القضاء على نفوذ اليهود الاقتصادي في الصحراء إلى خوف

المغيلـي مـن اليهـود بـأن تصـبح لهـم امـارة يهوديـة بسـبب تحكمهـم في الاقتصـاد ، أو رغبـة المغيلـي نفسـه في إنشـاء إقلـيم سياسـي يكـون هـو حاكمـه ، وهـذا مـا رفضـه سـلطان السـعديين و خـاف منـه لمـا أراد المغيلي الثورة على اليهود في المنطقة .

و مـن خـلال هـذا البحـث أيضـا تُظهـر لنـا قضـية نازلـة تـوات مفهـوم الـولاء السـلطوي ، حيـث كـان اسـتنجاد المغيلـي بالسـعديين دليـل علـى تبعيـة المنطقـة للسـعديين سياسـيا رغـم وجـود المنطقـة في حـدود المغـرب الأوسـط جغرافيـا ؟، فهنـا يبقـى التسـاؤل لمـاذا رفـض المغيلـي الاسـتعانة بالزيـانيين ؟ وهـل كانـت أيـامهم الأخـيرة في الحكـم وضـعفهم العسـكري هـو مـا جعـل المغيلـي يغـض الطـرف عـنهم ؟ فالأمـر يحتـاج الى اعـادة بحـث في قضـية يهـود تـوات مـن ناحيـة الـولاء السياسـي ، و بينـت لنـا نازلـة تـوات أيضـا مـدى السـعة الكبـيرة للشـريعة و برهنـت علـى أن الفتـوى تحكمهـا عـدة اعتبـارات كالزمـان و المكـان و مـدى قـدرة المفـتي علـى اسـتيعاب نـص النازلـة ، فتعـدد الحكـم في قضـية يهـود تـوات كـان دلـيلا علـى ذلـك ، إضـافة إلى أنها بينـت ارتبـاط اقلـيم تـوات بمنطقـة المغـرب الإسـلامي علميـا و الـذي ظهـر في مراسـلات الفجيجـي لعلمـاء القـيروان و مراسـلة المغيلـي لعلمـاء المغـرب الأوسـط و الأقصـى، و برهنـت كـذلك النـوازل الفقهيـة المالكيـة علـى مـدى مسـايرة الفقهـاء لعصـرهم واعتمـادهم علـى مجموعـة مـن الطـرق للإفتـاء كمراسـلة علمـاء المشـرق ممـا عكـس طـابع التبـادل العلمـي بـين المشـرق و المغـرب في صـيغة منحـت انتقـال المذهب المالكي في ما مضى الى المنطقة عن طريق أتباع الإمام مالك رضي الله عنه .

إن روح التسـامح البعيـدة عـن التعصـب و التشـدد الـديني كانـت السـمة الظـاهرة في سـكان المغـرب الأوسـط مـع أهـل الذمـة ، فمـا نعيشـه في عصـرنا اليـوم يختلـف كثـيرا عـن واقـع الماضـي ، فاصـبحنا اليـوم في مجتمعنـا الإسـلامي لا نفـرق بـين الـذمي و المسـتأمن و الكـافر المحـارب ، وهـذا مـا نـراه في التعـدي علـى غـير المسـلمين في بقـاع البلـدان الإسـلامية بحجـج واهيـة لا أصـل لهـا في الشـريعة ، فعلينـا أن نعيـد قـراءة تاريخنـا الاجتمـاعي لنعـيش بـه في الحاضـر ، و أن لا نـترك المجـال لكـي يسـوّق الإسـلام بطـرق لا تليـق بالدين الذي جاء رحمة للعالمين .

خـــاتمة

لا زالـت نـوازل الونشريسـي تحفـل بمجموعـة مـن النـوازل الخاصـة بالقضـايا الاجتماعيـة في منطقـة المغـرب الإسـلامي و الأنـدلس ، و تحتـاج مـن البـاحثين التمحـيص عنهـا و إحياءهـا كالعـادات الاجتماعيـة و الثقافيـة و بعـض الممارسـات الدينيـة خاصـة للمسـلمين أنفسـهم ، و في الأخـير يمكـن القـول أنـه مـن خـلال هـذا البحـث اسـتطعنا تنـاول التـاريخ الاجتمـاعي لمنطقـة المغـرب الأوسـط مـن خـلال نـوازل الونشريسـي ، فكانـت فئـة أهـل الذمـة كجانـب محـدود لهـذا التـاريخ الـذي يحتـاج منـا الكثـير لصـياغته بمـا يخـدم واقعنـا المعـاش، ولهـذا لا زالـت فئـة أهـل الذمـة في المغـرب الأوسـط تحتـاج إلى بحـوث و دراسـات أخـرى لكـي نفهـم واقعهـا أكثـر و هـذا اعتمـادا علـى النصـوص الدينيـة الـتي تركهـا لنـا النصـارى أو اليهـود في المنطقة مما سيعطينا صورة شاملة لهذا الفئة .

الفهـــــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
–"...حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ «	29	التوبة	07
–"ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ......"	112	آل عمران	07
–" .... مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ "	29	التوبة	09
– "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..."	256	البقرة	10
–" ...وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ	127	النساء	17
–"... إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ "	156	الأعراف	61
–" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ "	17	الحج	66
وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ..	49	المائدة	78
...قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ...	14	الصف	59

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر الفقهية

1/ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

2/ **الأم** ،محمـد بـن إدريـس الشـافعي، تحقيـق رفعـت فـوزي عبـد المطلـب،دار الوفـاء للطباعـة و النشر،المنصورة ،مصر، 1422هـ/2001م، ط01،ج05

3/ **أحكـام أهـل الذمـة،** شمس الـدين محمـد بـن أبي بكـر إبـن قـيم الجوزيـة ، حققـه وعلـق عليـه يوسـف بـن أحمـد البكـري وشـاكر توفيـق العـارودي ،رمـادي للنشـر ،توزيـع دار ابـن حـزم ،بـيروت ،لبنـان ، 1418هـ-1997م، ط1 ، ج01

4/**إعـلام المـوقعين مـن رب العـالمين** ، شمـس الـدين أبـو عبـد الله ابـن قـيم الجوزيـة ، تقـديم أبـو عبيـدة مشهور بن حسن آل سليمان ،دار ابن الجوزي ،القاهرة ،مصر ،1423هـ/2002م ،ط1،ج2

5/**الإتقـان و الإحكـام فـي شـرح تحفـة الحكـام "شـرح ميـارة"**، محمـد بـن أحمـد ميـارة الفاسـي، دار المعرفة ، بيروت لبنان،1420هـ/2000م،دط

6/**بـدائع الصـنائع فـي ترتيـب الشـرائع** ،عـلاء الـدين الكاسـاني ، تحقيـق علـي معـوض وعـادل احمـد عبـد الموجود، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 1424هـ/2003م، ط02، ج09

7 / **الجـامع لأحكـام القـرآن** ، ابي عبـد الله محمـد الأنصـاري القـرطبي ، مكتبـة الصـفا القـاهرة، مصـر ،1425هـ/2005م،ط01،ج8

8/ **جـامع مسـائل الاحكـام** ،أبي القاسـم بـن احمـد الـبرزلي، تحقيـق محمـد الحبيـب هيلـة، دار الغـرب الاسلامي،لبنان،2002م،ط01،ج01

9/ **الـدرر المكنونـة فـي نـوازل مازونـة** ، أبي زكريـا يحـي بـن موسـى المـازوني، تحقيـق مـاحي قنـدوز، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف،الجزائر،1433هـ/2012م ،ط01،ج01

10/ زاد المسـير فـي علـم التفسـير، أبي الفـرج ابـن الجـوزي، دار ابـن حـزم للنشـر و التوزيـع، بـيروت لبنان،1423هـ/2002م، ط01

11/ **زاد المسـتنقع فـي اختصـار المقنـع،** موسى بـن أحمـد الحجـاوي ، توثيـق و ضـبط أبـو أسـامة سـليم بن عيد الهلالي ، مكتبة الرشد ،الرياض ، السعودية ، 2002 م ،ج01، دط

12/ **حاشـية العطـار علـى جمـع الجوامـع،** تقـي الـدين ابـن السـبكي ، ،تعليـق محمدمحمـد تـامر ، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،1431هـ/2009م، ج04،دط

13/ **حاشـية الخرشـي** ،محمـد بـن عبـد الله الخرشـي ، ضـبطه و خـرج آياتـه و أحاديثـه زكريـا عمـيرات ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان 1417هـ/1997، ط1،ج4

14/**كشـف القنـاع علـى مـتن الإقنـاع** ، منصـور بـن يـونس البهـوتي ، مراجعـة هـلال مصـيلحي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، 1982م ،ج3

15/ **فـي آداب الحسـبة و المحتسـب ضـمن كتـاب ثـلاث رسـائل أندلسـية فـي آداب الحسـبة و المحتسـب** ،أحمـد بـن عبـد الله بـن عبـد الـرزاق ، ،تحقيـق ليفـي بروفنسـال ،مطبعـة المعهـد العلمـي للآثـار الشرقية، القاهرة، 1955 م

16/ **مـاء الموائـل** ، أبوسـالم العياشـي، دار الغـرب للنشـر و الطباعـة ، الربـاط، المغـرب، 1977م/

17/**الملـل و النحـل** ،الشهرسـتاني أبي الفـتح محمـد ، تعليـق و تصـحيح أحمـد فهمـي محمـد ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت 1413هـ/1992م،ط02

18/ **مـذاهب الحكـام فـي نـوازل الأحكـام** ،القاضـي عيـاض وولـده محمـد، تحقيـق محمـد بـن شـريفة ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان، 1997م ، ط02

19/ **مجموعـة رسـائل إبـن عابـدين،** محمـد أمـين بـن عمـر ابـن عابـدين دار إحيـاء الـتراث العـربي ، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م،ط01، ج01

20/ **المبسوط** ،شمس الدين السرخسي، دار المعرفة،لبنان،1409هـ/1989م ، ج10،دط

21/ **المدونــة الكبــرى،** مالــك بــن أنــس، دار الكتــب العلميــة، بيروت،لبنــان، 1415هـ/1994م، ط01،ج 01

22/ **الموطـأ**،مالـك ابـن أنـس، علـق عليـه محمـد فـؤاد عبـد البـاقي ، دار إحيـاء الـتراث، بـيرت ،لبنـان، 1406هـ/1985م، ج01

23/ **منهـاج الطـالبين** ، محـي الـدين بـن أبي زكريـاء النـووي الدمشـقي ،تحقيـق وتعليـق أحمـد بـن عبـد العزيـز الحداد ،دار البشائر الإسلامية ،بيروت ،لبنان ،1421هـ/2000م،ط1

24/ **المســـند** ، أحمــد بــن حنبــل ، دار الحــديث القــاهرة ،تحقيــق أحمــد شــاكر ، 1419هـ /1998 ، ط1

25/ **المعيــار المعــرب و الجــامع المغــرب عــن فتــاوى أهــل افريقيــة و الأنــدلس و المغــرب،** أبي العبـاس أحمـد بـن يحـي الونشريسـي، تخـريج جماعـة مـن الفقهـاء باشـراف محمـد حجـي، وزارة الأوقـاف و الشـــــــؤون الإســـــــلامية ،المملكـــــــــــة المغربيـــــــــــة ،1401هـ/1981م، ج01،ج02،ج05،ج04،ج06،ج07،ج09،ج10،ج11،ج12

26/ **مقدمــة فتــاوى الشــاطبي** ،محمــد أبــو الأجفــان ، تــونس، مطبعــة الإتحــاد العــام التونســي ،ط1 ،1984 م

27/ **مختار الصحاح**،أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان، بيروت ، 1986م،دط

28/ **المغنــى** ،موفـق الـدين ابـن قدامـة تحقيـق عبـد الله بـن عبـد المحسـن التركـي و عبـد الفتـاح محمـد الحلـو ،دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1997م، ط03، ج13

29/ **نـوازل الاحكـام** ، عـيس بـن سـهل الأسـدي ، نـورة التـويجري، دار المجـد ،الريـاض، العربيـة السـعودية ، 1995/1410م، ط01

30/ **سـبل السـلام فـي شـرح بلـوغ المـرام** ، محمـد بـن اسماعيـل الصـنعاني، ، تعليـق ناصـر الـدين الألبـاني ،مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض ،العربية السعودية ، 1427هـ/2006م،ط01 ،ج04

31/ **السنن الكبرى،** البيهقي، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، 2002، ج09،دط

32/ **عــون المعبــود شــرح ابــي داود،** محمــد شمــس الحــق آبــادي ، ، دار الفكــر ،بــيروت ، لبنــان، 1424هـ/2002م، ط01

33/ **العنايـة فـي شـرح الهدايـة** ،محمـد أكمـل الـدين الحنفـي ، تصـحيح حـافظ أحمـد كبـير وفـتح علـي و محمد وجيه و محمد كليم ،مطبعة كلكته ، الهند ، م 1830، دط .

34/ **عـدة البـروق فـي جمـع مـا فـي المـذهب مـن الجنـوع و الفـروق،** الونشريسـي ، دراسـة و تحقيـق حمزة أبو فارس ، درا الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان 1411هـ/1990م

35/ **فــتح البــاري فــي شــرح صــحيح البخــاري،**أبــوحجر العســقلاني، دار الريــان للــتراث، مصــر ، 1407هـ/1986م، ج10،دط

36/ **فتــاوى ابــن رشــد،** ابي الوليـد احمـد ابـن رشـد، تحقيـق المختـار بـن الطـاهر التليلـي، دار الغـرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، 1407هـ/1987م، ط01

37/ **فتــاوى الشــاطبي** ، أبي اسـحاق إبـراهيم بـن موسـى الأندلسـي الشـاطبي، تحقيـق: محمـد أبـو الاجفان ،الوردية، تونس ،1406هـ/1985م، ط2

38/ **الفتـاوى المسـتغربة** ، العلائـي أبي سـعيد صـلاح الـدين ، تحقيـق عبـد الجـواد حمـام ، دار النـور ، سوريا، دمشق ، 1431هـ/2010م، ط01

39/ **صـحيح و ضـعيف سـنن أبـي داود** ،ناصـر الـدين الألبـاني، مكتبـة المعـارف ،الريـاض ،العربيـة السعودية، 1419هـ/ 1998م، دط

40/ **القـوانين الفقهيـة** ، أبي القاسـم محمـد بـن أحمـد بـن جـزي الكلـبي الغرنـاطي ، تحقيـق محمـد سـيدي مولاي ،دار النفائس، بيروت ،لبنان، 1425هـ/2005م، ط01

41/ **الرسـالة**،محمـد بـن ادريـس الشـافعي، تحقيـق وشـرح احمـد محمـد شـاكر، مطبعـة مصـطفى البـابي الحلـبي وأولاده، مصر،1357هـ/1938م، ط01

42/ **شـــرح النـــووي علـــى مســـلم** ،أبـــو زكريـــا النـــووي، دار الخـــير ،القـــاهرة، توزيـــع دار الســـلام، 1416هـ/1996م، ط01

43/ **تفسـير إبـن كثيـر**،أبـو الفـداء إسماعيـل ابـن كثـير ، تعليـق محمـد حسـين شمـس الـدين ،دار الكتـب العلمية ، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1998م، ط01، ج2

44/ **الخـــراج** ،أبي يوســـف يعقـــوب بـــن ابـــراهيم ، درا المعرفـــة للطباعـــة و النشـــر، بـــيروت ،لبنـــان، 1399هـ/1979م

45/ **غـذاء الألبـاب شـرح منظومـة الآداب** ، محمـد بـن أحمـد السـفاريني ، دار الكتـب العلميـة ،لبنـان ، 1417هـ/1996 م، ط01،ج02

المراجع الفقهية

1/ أبـو محمـد بـن محمـد الغـزالي ،**الـوجيز فـي فقـه الإمـام الشـافعي** ، ضـبطه و نقحـه و صـححه خالـد العطار ، دار الأرقم بن الأرقم ،بيروت ،لبنان، ط01، 1418هـ/1997م، ج02

2/ محمـد خـير هيكـل ، **الجهـاد و القتـال فـي السياسـة الشـرعية** ، دار البيـارق ، توزيـع دار إبـن حـزم ،بيروت ، لبنان ، 1417هـ/1996م، ط2، ج3

3/ دنـدل جـبر ،**الأقليـات غيـر المسـلمة فـي المجتمـع الإسـلامي** ،دار عمـار، بـيروت ،لبنـان ، 1422هـ/2002م ،ط1

4/ يوسـف القرضـاوي ، **غيـر المسـلمين فـي المجتمـع الإسـلامي** ،مكتبـة وهبـة ، القـاهرة، 1425هـ/2005م، ط4

5/ الصـادق بـن عبـد الـرحمن الغريـاني ،**مدونـة الفقـه المـالكي و أدلتـه**، مؤسسـة الريـان ،لبنـان، بـيروت ، 1423هـ/2002م، ،ط1 ،ج02

6/ محمـد رواس قلعـة جـي و حامـد صـادق قنيـبي، **معجـم لغـة الفقهـاء**، دار النفـائس، بـيروت ،1408هـ/1988م، ط02

7/ وهبـة الزحيلـي، **سـبل الإسـتفادة مـن النـوازل و الفتـاوى و العمـل الفقهـي فـي التطبيقـات المعاصرة**، دار المكتبي للطباعة و النشر، دمشق، سوريا، 1421هـ/2001م،ط01

8/ عبد الكريم زيدان ، **نظام الإفتاء**، دار البعث، قسنطينة ،الجزائر، 1958م

9/ محمـد بـن حسـين شـرحبيلي ،**تطـور المـذهب المـالكي فـي الغـرب الإسـلامي**، منشـورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية، المملكة المغربية ، 1421هـ/2000م

10/ميكلـــوش مـــورافي ، **دراســـات فـــي مصـــادر الفقـــه المـــالكي** ، دار الغـــرب ،بـــيروت، لبنان،1414هـ/1993م ،ط3

11/محمـد بـن الحسـن الحجـوي ،**السـامي فـي الفقـه الإسـلامي** ، تخـريج عبـد العزيـز القـاري ،المكتبـة العلمية بالمدينة المنورة، العربية السعودية ،1397هـ/ 1976م،ط1، ج2

12/ محمـد ابـراهيم علـي ، **اصـطلاح المـذهب عنـد المالكيـة** ، دار البحـوث للدراسـات الاسـلامية و احياء التراث ،دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1421هـ/2000م

13/عدنان محمد أمامة ،**التجديد في الفكر الإسلامي** ،دار إبن الجوزي ، القاهرة، 1424هـ، ط1

14/ إبـراهيم يوسـف يوسـف ، **النفقـات العامـة فـي الإسـلام** ، دار الكتـاب الجـامعي ، الإمـارات العربيـة المتحدة، 1980م

15/ منـذر قحـف ، **دور السياســات الماليــة و ضــوابطها فــي الإقتصــاد الإســلامي** ، دار الفكــر المعاصر، لبنان، 1999م

16/ عـامر محمـد نـزار جلعـوط ، **حقـائق و مفـاهيم عـن الجزيـة فـي الإقتصـاد المـالي الإسـلامي** ، مجلـة الإقتصاد ، جامعة الزقازيق ، مصر، عدد 59، 2004م

17/ بـن عمـار بوضـياف ،**مفهـوم الوقـف كمؤسسـة ماليـة فـي الفقـه الإسـلامي و التشـريع** ،دار الهـدى ،عين مليلة، الجزائر، 2010م

18/ منذر قحف ، **الوقف الإسلامي** ، دار الفكر ،دمشق ، 1427هـ/2006م، ط02

19/ يوســف القرضــاوي، **الأقليــات الدينيــة و الحــل الإســلامي**، المكتــب الإســلامي ، بــيروت، هـ1998/1418م، ط03،

20/ محمـد حجـي، **نظـرات فـي النـوازل الفقهيـة** ، منشـورات الجمعيـة المغربيـة للتـأليف و الترجمـة و النشر ،المملكة المغربية ، 1420هـ/1999م،ط1

المصادر التاريخية و الجغرافية

1/ **الأنـيس المطـرب بـروض القرطـاس فـي أخبـار ملـوك المغـرب وتـاريخ مدينـة فـاس** ،إبـن أبي رزع الفاسي ، اعتناء كارل يوحنا تورنبرغ، طبع دار الطباعة المدرسية ، اوبسالة، 1823م

2/ **الإستقصـا لأخبـار دول المغـرب الأقصـى**، أحمـد بـن خالـد الناصـري، تحقيـق محمـد و جعفـر الناصري، دار الكتاب للنشر ،الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م، ج02

3/ **الإستبصـار** ،مجهـول ، تعليـق سـعد زغلـول عبـد الحميـد ،دار النشـر المغربيـة ،الـدار البيضـاء، المغـرب، 1985م ،ط1

4/ **البلدان**،أحمد بن يعقوب، مطبعة بريل، ليدن، 1860م

5/ **جمهـرة أنسـاب العـرب** ،إبـن حـزم الظـاهري ، تحقيـق عبـد السـلام محمـد هـارون، دار المعـارف، القاهرة، 1962م، ط05

5/ **جنـى زهـرة الآس فـي بنـاء مدينـة فـاس**، علـي الجزنـائي ، تحقيـق عبـد الوهـاب ابـن منصـور، المطبعـة الملكية، الرباط، المغرب، 1411هـ/1991م،ط02

6/ **وصف إفريقيا** ،الحسن الوزان ليون الإفريقي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ، ج2،دت،دط

7/ **الكامـل فـي التـاريخ**،ابـن الأثـير الجـزري ، تحقيـق أبي الفـدا عبـد الله القاضـي، دار الكتـب العلميـة ،بيروت ،لبنان ،1407هـ/1987م ،ط1،ج3

8/ **المقدمـة**،ابـن خلـدون ، إعتنـاء ودراسـة أحمـد الـزغبي، دار الارقـم بـن الارقـم ،القـاهرة ،مصـر ،1421هـ/2001م،ط01

9/ **نفـح الطيـب فـي غصـن الأنـدلس الرطيـب،** المقـري أحمـد بـن محمـد التلمسـاني ، تحقيـق محمـد محـي الدين ،القاهرة ،مصر، ،1949م، ج01

10/ **السـيرة النبويـة،** عبـد الملـك ابـن هشـام ، علـق عليهـا عبـد الـرزاق الخطيـب، دار الإمـام مالـك، بـاب الوادي، الجزائر، 1432هـ/2011م ،ط02،ج01

11/ **العبـر و ديـوان المبتـدأ و الخبـر فـي تـاريخ العـرب و العجـم و البربـر و مـن عاصـرهم مـن ذوي السـلطان الأكبـر،** عبـد الـرحمن إبـن خلـدون ، راجعـه درويـش الجويـدي، المكتبـة العصـرية ،بيروت،لبنـان، 1431هـ/2009م، ج06 ،دط

12/ **فتـوح افريقيـا و الأنـدلس** ، ابـن عبـد الحكـم ، تحقيـق عبـد أنـيس الطبـاع ،مكتبـة المدرسـة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، دط

13/ **صورة الأرض** ، إبن حوقل منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،لبنان، 1417هـ/1996م

14/ **رحلـة القلصـادي** ، القلصـادي ابي الحسـن، تحقيـق محمـد أبـو الأجفـان ،دار إبـن حـزم ،لبنـان ،بيروت، 1432هـ/2011م،ط01

15/ **إنفـاق الميسـور فـي تـاريخ بـلاد التكـرور** ،محمـد بلـو عثمـان فوديتحقيـق بهيجـة شـاذلي، مطبعـة المعارف الجديدة ،المغرب، الرباط، 1996م،ط01

16/ **إتحـاف أهـل الزمـان بأخبـار ملـوك تـونس و عهـد الأمـان،** إبـن أبي الضـياف ، تحقيـق لجنـة كتابـة الدولة للشؤون الثقافية، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية ، تونس، 1965 م

17/ **تـاريخ السـودان،** الـرحمن السـعدي ، تحريـر هـوداس و بنـوة، مكتبـة أمريكـا و الشـرق، بـاريس، 1981م،

18/ **تحفـة النظـار فـي غرائـب الأمصـار و عجائـب الأسـفار**، إبـن بطوطـة، تحقيـق محمـد عبـد المنعم العريان، دار احياء العلماء ، بيروت، لبنان ، 1996م، ج02

19/ **معجم البلدان** ، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1988م، ج2

المراجع التاريخية :

1/ مبـارك رحـيص، **قضـايا المجتمـع المرابطـي مـن خـلال النـوازل الفقهيـة، النـدوة الدوليـة دور المـذهب المـالكي فـي تجربـة الوحـدة المرابطيـة لـدول المغـرب الإسـلامي** ،مطبعـة البلابـل ،فـاس ،المغرب،م2010

2/ مصـطفى الصـمدي، **فقـه النـوازل عنـد المالكيـة تاريخـا ومنهجـا**، مكتبـة الرشـد ، العربيـة السـعودية ،الرياض، 1428هـ/2007،ط1

3/ محمـد المنـوني، **المصـادر العربيـة لتـاريخ المغـرب**، منشـورات كليـة الآداب و العلـوم الانسـانية بالرباط جامعة محمد الخامس، المغرب،1409هـ/1989م، ج02

4/ عبـد القـادر بوتشـيش ،**العلاقـات الإنتاجيـة بـين المـزارعين و أربـاب الأراضـي فـي المغـرب و الأنـدلس خـلال ق6هـ/12م "إضـاءات حـول تـراث الغـرب الإسـلامي و تاريخـه الإجتمـاعي و الإقتصادي**، دار الطليعة، بيروت، لبنان،1422هـ/ 2002م،ط01

5/ عمـر بنمـيرة ،**قضـايا الميـاه بـالمغرب الأوسـط مـن خـلال أدب النـوازل، التـاريخ و أدب النـوازل** ، ندوات ومناظرات رقم 46 ، مطبعة فضالة، الرباط ،المملكة المغربية ، 1994 م ، ط1

6/حسين مؤنس، **تاريخ المغرب و حضارته من القرن السادس ميلادي إلى القرن التاسع عشر ميلادي**، العصر الحديث للنشر، بيروت ،لبنان، 1413هـ/ 1992م، ط1، ج01

7/ سعد زغلول عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال** ، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية ،مصر1424هـ/ 2003م، ج1

8 / محمد الصغير غانم ، **المملكة النوميدية و الحضارة البونية** ، دار الأمة للنشر ، الجزائر، 1998م

9/ عبد الوهاب بن منصور ،**قبائل المغرب** ، المطبعة الملكية ، الرباط، المملكة المغربية ، 1388هـ/1968م ، ج1

10/ سلمى خضراء الجيوسي ، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998 م ،بيروت، لبنان، ط1

11/ أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، ،1418هـ/1998م، ط01

12/ ناصر الدين سعيدون، **من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم و مؤرخين و رحالة و جغرافيين** " ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، ،1999م،ط1

13 / محمد مزين، **الأرض في العلاقات بين فاس وباديتها خلال القرنين 16مو17م، تطور العلاقات بين البوادي و المدن في المغرب العربي**، سلسلة الندوات و المناظرات رقم 10، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس ، الرباط ،المملكة المغربية، 1988م

14/ محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين** ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،سلسة بحوث ودراسات رقم 20، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المملكة المغربية ، 1420هـ/2000م

13 / محمد جنبوبي، **الأولياء بالمغرب** ، دار القرويين للنشر ، المملكة المغربية ،1425هـ/ 2004م

14 /محمد حجي، **الحركة الفكرية في المغرب في العهد السعدي** ، دار المغرب للتأليف و النشر و التوزيع، المملكة المغربية ، 1977م، ج1

15 /عطا الله دهينة ، **الجزائر في التاريخ ، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في دولة بني زيان** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م

16 /محمد خليفة حسن أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية** ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1998م ، ط1

17 /مسعود كواتي ، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين** ،دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ،2000م

18 /مادلين هورس ميادان، **تاريخ قرطاجة**، تحقيق ابراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1981م، ط1

19 /عطا ابو رية ، **اليهود في ليبيا و تونس و الجزائر**، ايتراك للنشر و التوزيع ،مصر، 2005م ،ط1

20 /رشاد عبد الله الشامي ، **الشخصية اليهودية و الإسرائيلية و الروح العدوانية** ، عالم المعرفة ، الكويت، 1986م

21 /ناصر الدين سعيدون، **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988م

22 /أحمد عبد الله ،**العنصرية اليهودية** ،مكتبة العبيكان، الرياض، العربية السعودية، 1998م،ط1،ج1

23 /عبد اللطيف محمود البرغوثي، **التاريخ الليبي القديم**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2007 م،

24 /ريموند شايندلين ، **اليهود في اسبانيا المسلمة** ، جامعة بركلي ،الولايات المتحدة ،مكتبة جامعة بركلي ، مطبعة كريستيان فونو، ،ترجمة كلود عداس ، 1995م

25 /محمد حسن العيدروس ، **العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس** ، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 1433هـ/2012م، ط1

26 /ناصر القفاري، **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، دار ناصر العقل، الرياض ،العربية السعودية، 1413هـ/1993م

27 /بديعة الخرازي ،**تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، ط1، 1428هـ-2007م

28 /أ،ف، غوتيه، **ماضي شمال إفريقيا**، ترجمة هشام الحسيني ، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م

29 /فوزي سعد الله ، **يهود الجزائر هؤولاء المجهولون**، شركة درا الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1995م

30 /محمـد علـي دبـور، **تــاريخ المغــرب الكبيــر**، مؤسسـة تاوالـت الثقافيـة ، ليبيـا ، 2010م، ج1،ط2

31 /زينـب عبـد الله أحمـد كريـر، **أهـل الذمـة فـي العهـد الحفصـي**، منشـورات جامعـة الزقـازيق، مصر ، 2005م

32 /روبـار برونشـفيك، **تــاريخ إفريقيــة فــي العهــد الحفصــي مــن ق13م إلــى نهايــة ق15م** ،ترجمـة القاسـم حمـادي السـاحلي، دار الغـرب الإسـلامي ،بـيروت ،لبنـان، 1988م، ط1، ج1

33 /عبـد الكـريم زيـدان ، **نظـام القضــاء فــي الشــريعة الإســلامية** ، مؤسسـة الرسـالة ،بـيروت، لبنان، 1409هـ/1989م، ط02

34 /عبد السلام الترمانيني ، **الرق ماضيه و حاضره**، عالم المعرفة ، الكويت ، 1979م

35 /ديفيـد فايسـبورت ،**إلغــاء الــرق و أشــكاله المعاصــرة**، مفوضـية الأمـم المتحـدة لحقـوق الإنسـان، الجمعيـة الدوليـة لمكافحـة الـرق ، مطبوعـات الأمـم المتحـدة ، نيويـورك و جنيـف، 2002م

36 م/حاسـن محمـود الوقـاد ،**اليهـود فـي مصـر المملوكيـة فـي ضـوء وثـائق الجنيـزة** ،الهيئـة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1999م

37 /حسـن حسـني عبـد الوهـاب ، **خلاصــة تــاريخ تــونس**، دار الجنـوب للنشـر، تـونس، 2001م

38 /عبـد العزيـز فـيلالي ، **تلمســان فــي العهــد الزيــاني** ، موفـوم للنشـر و التوزيـع ،الجزائـر ، 2002م ج1

39 /محمدحسن العيدروس ،**المغرب في العصر الإسلامي** ،دار الكتاب الحديث، القاهرة ، 1430هـ/2009م، ط01

40 /فرج محمود فرج ، **إقليم توات خلال القرنين الثامن و التاسع عشر الميلاديين** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1997م

41 /مقلاتي عبد الله و محفوظ رموم، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام و الثقافة العربية**، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2009م

42 /علي محمد عبد اللطيف، **تمبكتو أسطورة التاريخ**، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،ليبيا ، 2001م، ط01

43 /محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة** ،تحقيق مقدم مبروك، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر، 2011م،ج01

44 /مبارك الميلي ،**تاريخ الجزائر القديم و الحديث**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، 1986 م، ج2

45 /الحمدي أحمد ، **الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي** ،مكتبة الرشاد للطباعة و النشر ،سيدي بلعباس ،الجزائر، 1433هـ/2012م

46 /بليل رشيد، **قصور قورار و أوليائها الصالحين في المأثور الشفاهي و المناقب و الأخبار المحلية** ،ترجمة الحميد بورايو مركز البحوث في عصور ما قبل التاريخ ،عدد 03 ،2005م

47 /صابر طعيمة، **التاريخ اليهودي العام**، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط03،ج01

48 /فـراس سـواح، **الحـدث التـوراتي و الشـرق الأدنـى القـديم**، دار عـلاء الـدين، دمشـق، 2000م،ط03

49/ محمـد صـالح حوتيـة ، **تـوات و الأزواد** ، دار الكتـاب العـربي، القبـة ، الجزائـر ، 2007، ج01

كتب التراجم و المعاجم

1/ **أسـد الغابـة فـي معرفـة الصـحابة**،علـي بـن محمـد ابـن الأثـير، دار ابـن حـزم، بـيروت، لبنان،1433ه/2012م،ط01

2/ **الأعلام** ،خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان، 2006 مايو، ط15، ج08،

3/ **أزهـار الريـاض فـي أخبـار القاضـي عيـاض**، شـهاب الـدين المقـري، تحقيـق مصـطفى السـقا، مطبعـة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة،مصر،1361ه/1942م، ج3

4/ **أسـاس البلاغـة** ، جـار الله ابي القاسـم محمـود بـن عمـر الزمخشـري، دار الكتـب المصـرية، القـاهرة ، 1341ه/1923م، ج02،دط

5/ **ابـن العنـابي الحنفـي الجزائـري** ، أبـو القاسـم سـعد الله ، رائـد التجديـد الإسـلامي ، الشـركة الوطنيـة للنشرو التوزيع، الجزائر،1977م

6/ **ابـن رزيـن التجيبـي حياتـه و آثـاره**، محمـد بـن شـريفة، مطبعـة النجـاح الجديـدة، الربـاط، المغـرب، 2009م،ط01

7/ **الإسـتيعاب فـي معرفـة الأصـحاب** ،ابـن عبـد الله بـن عبـد الـبر القـرطبي، صـححه عـادل مرشـد ، دار الأعلام ، عمان، الأردن ، 1423ه/2006م ،ط01

8/ **الإصـــابة فـــي تمييـــز الصـــحابة** ، أبـــو حجـــر العســـقلاني ، تحقيـــق عبـــد المحســـن التركـــي ،مركـــز هجـــر للبحوث و الدراسات الإسلامية، القاهرة،1429هـ/2008م، ج1 ،دط

9/ **البســتان فــي ذكــر الأوليــاء و العلمــاء بتلمســان**،إبــن مــريم التلمســاني، مراجعــة محمــد ابــن ابي شــنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1226هـ/1908م ،دط

10/ **بغيــة الوعــاة فــي طبقــات اللغــويين و النحــاة**، عبــد الــرحمن الســيوطي ، تحقيــق محمــد ابــراهيم، دار الفكر، لبنان، 1399هـ/179م،ط02

11/ **دوحــة الناشــر لمحاســن مــن كــان بــالمغرب مــن مشــايخ القــرن العاشــر**، محمــد بــن عســكر الشفشـــاوني ، ، تحقيـــق محمـــد حجـــي ،دار المغـــرب للتـــأليف و الترجمـــة و النشـــر ،الربـــاط ،المغـــرب، 1397هـ/ 1977م،ط2

12/ **درة الحجـــال فـــي أســـماء الرجـــال**، أبي العبـــاس احمـــد ابـــن القاضـــي، تحقيـــق محمـــد الأحمـــدي،دار التراث، القاهرة، دت، ج01

13/ **الــديباج المــذهب فــي معرفــة علمــاء أعيــان المــذهب**، ابــن فرحــون المــالكي، تحقيــق محمــد الاحمــدي أبو النور ،دار التراث للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، ،ج02

14/ **الـــوافي بالوفيـــات**، صـــلاح الـــدين الصـــفدي، دار إحيـــاء الـــتراث العـــربي، بـــيروت ،لبنـــان، 1420هـ/2000م،ط01، ج03

15/ **الوفيــات** ، احمــد بــن حســين ابــن قنفــذ القســنطيني تحقيــق عــادل نــويهض، منشــورات دار الآفــاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م،ط04

16/ **زاد الميعاد في هدي خير العباد** ،شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، حقق نصوصه و خرج أحاديثه ،شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ،بيروت، لبنان ،1425هـ/2005م، ط4 ،ج3

17/ **الحلة السيراء**، ابن الابار ، تعليق علي ابرهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1420هـ/ ، 2000م، ط1،

18/ **لسان العرب** ،محمد بن مكرم ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، 1423هـ/ 2003 م ، ج 03، دط

19/ **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين**، نويهض عادل ، منشورات المكتبة التجارية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ،لبنان ، 1971م،ط1

20/ **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ،الدباغ أبو عبد الرحمن ، ،تحقيق محمد ماضور ،المكتبة العتيقة ،تونس، 1388هـ/1968م، ط2

21/ **المعجم الوسيط**،مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م، ط04

22/ **معجم الفلاسفة**، جورج طرابيشي، دار الطليعة للنشر،بيروت،لبنان،2006م،ط03

23/ **نيل الإبتهاج** ،احمد بابا التمبكتي ، منشورات كلية الدعوة ،طرابلس، ليبيا، 1410هـ/1989م، ج1

24/ **سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن قبر من العلماء و الصلحاء بفاس**،محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد حمزة الكتاني ، دار الثقافة ،الرباط ، 1425هـ/2004م، ط1،ج2

25/ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي محمد بن أحمد ، مؤسسة الرسالة ، لبنان، 1422هـ/2001م، ج19

26/ **فهرسـة أحمـد المنجـور**، سلسـة الفهـارس، تحقيـق محمـد حجـي ،دار المغـرب للتـأليف و الترجمـة و النشر، الرباط ،المملكة المغربية ،1396هـ/1976م

27/ **فهـرس الفهـارس و الإثبـات و معجـم و الإثبـات و المشـيخات و المسلسـلات** ،عبـد الحـي بـن عبـد الكـريم الكتـاني ، إعتـنى بـه إحسـان عبـاس ،دار الغـرب الإسـلامي، بـيروت ،لبنـان، 1402هـ/1982م،ط02،ج2

28/ **فهرسـة الاشـبيلي**، ابـو بكـر محمـد الأمـوي الاشـبيلي ، دار الكتـب العلميـة، لبنـان، بـيروت، 1419هـ/1998م

29/ **فهرسـت الرصـاع**، محمـد الأنصـاري الرصـاع، تحقيـق محمـد العنـابي، المكتبـة العتيقـة ،تـونس، 1976م

30/ **الصـلة**، أبي القاسـم ابـن بشـكوال، صـححه وراجعـه عـزت العطـار ،مكتبـة الخـانجي ، القـاهرة، مصر ، 1414هـ/1994م، ط02،ج01

31/ **شـذرات الـذهب فـي أخبـار مـن ذهـب** ، شـهاب الـدين ابـن العمـاد ، تحقيـق محمـود الأرنـاؤوط ،دار إبن كثير ،سوريا، دمشق، 1410هـ/1989م، ط1،ج6

32/ **تـاريخ العلمـاء و الـرواة للعلـم بالأنـدلس**، ابي الوليـد عبـد الله ابـن الفرضـي، مكتبـة الخانجي،القاهرة، 1408هـ/1988م،ط02

33/ **تـاريخ قضـاة الأنـدلس**، عبـد الله بـن الحسـن النبهـاني، منشـورات دار الآفـاق الجديـدة ،بـيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ط05.

34/ **ترتيـب المـدارك و تقريـب المسـالك لمعرفـة أعـلام مـذهب مالـك** ، القاضـي عيـاض بـن موسـى السـبتي ، ، تحيـق عبـد القـادر الصـحراوي، المملكـة المغربيـة، طبـع بـأمر مـن الملـك الحسـن الثـاني ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية ، ج03

35/ **التشـوف الـى رجـال التصـوف**، يوسـف بـن يحـي التـادلي، تحقيـق أحمـد التوفيـق ، منشـورات كليـة الآداب بالرباط ،طبع مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1997م،ط02

36/ **الـذيل و التكملـة لكتـابي الموصـول و الصـلة**، ابـن عبـد الملـك الاشـبيلي، تحقيـق احسـان عبـاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، 1433ه/2012م،ط01، ج 01

37/ **الضـوء اللامـع لأهـل القـرن التاسـع** ، محمـد بـن عبـد الـرحمن السـخاوي ، دار الجيـل ، بـيروت، لبنان ، 1412ه/1992م، ط01،ج08

المراجع الأجنبية :

1/ Introuduction a l’histoire de L’orient musulman .journale des savonts –voule3-n3- année 1945

2/ Gaurier –le paseè de l’Afrique

3/ Idris –r.h-la berbère orientale sous les zirides -2 vols—paris-1959

4/ Slach –n-jude /hellener .jude.Berbers Rchenhes Sureles .Origines des Jiufs et dojudaisme Afrique :paris ; 1909

5/ Bertrand Lançon, Tiphaine Moreau, Constantin, un Auguste chrétien, Paris, Armand Colin, 2012, 256 p.

6/ Moorman- A History of the Franciscan Order from Its Origin to the Year 1517-paris Pierre Fontaine

7/ Rachel Ariè .lEspagne musulmane an temps de nasrides .1232 /1492 .eboccard .paris. 2em èd. 1990

8/ Jacob oleil .les juifs au sahara .le touate au moyen age .c.n.r..s .èdition .paris .1994.

9/ Bernard saffroy .chronique du touat centre saharienne .Ghardaia .Algerie .1994

10/ Chouraqui André – Les Juifs d’Afrique du Nord- Marche vers l’Occident-volume97-1953-paris

11/ Gonzalo Martínez Díez- El condado de Castilla (711-1038). La historia frente a la leyenda -2 vols Madrid – Valladolid-Junta de Castilla y León - Marcial Pons Historia-2005

المجلات العلمية :

1/ **نمـاذج مـن جهـود فقهـاء المالكيـة المغاربـة فـي تـدوين النـوازل الفقهيـة مبـارك جـزاء الحربـي** ، ،مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية ،جامعة الكويت ،2006م ،عدد 64

2/ **النـــوازل التطبيقيـــة لفقهـــاء المالكيـــة بـــالغرب الإســـلامي خـــلال القـــرنين 4و5هـ مميـــزات وخصائص**،عبد كريم البناني ، مجلة الفقه و القانون،المملكة المغربية، عدد4،فبراير2013

3/ **فقـه النـوازل فـي الغـرب الإسـلامي"نـوازل عبـد الـرحمن أبـي الحـاءك التطـواني"نمـاذج و قضـايا**، توفيق الغلبزوري ، ،مجلة الإحياء ،المملكة المغربية ، عدد22،جمادى الأولى 1425هـ/يونيو 2004م

4/ **وقـائع أندلسـية فـي نـوازل القاضـي عيـاض**، محمـد بـن شـريف، مجلـة دعـوة الحـق، المملكـة المغربيـة ، عدد46 ،شعبان، 1407هـ/1987م

5/ **مـدخل إلـى فقـه النـوازل** ، عبـد الحـق بـن أحمـد حمـيش ، مجلـة الإمـام ، جامعـة الشـارقة ،الإمـارات العربية المتحدة ،عدد10،محرم 1430هـ

6/ **الحيـاة الإقتصـادية بإفريقيـة فـي العهـد الحفصـي مـن خـلال نـوازل البرزلـي و الونشريسـي وكتـب الحسبة**،حافظ حادة، مجلة المشكاة تونس،عدد 07، 2009م

7/ **مدينـة مازونـة الفقهيـة و أثارهـا خـلال ق7هـ/15م** ،محمـد الأمـين بالغيـث، أعمـال الملتقـى الـوطني، المـذهب المـالكي في الجزائـر ، أفريـل 2004م /أنظـر مجلـة البحـوث العلميـة و الدراسـات الإسـلامية ،جامعة الجزائر،عدد01، 2004م

8/ **النـوازل الفقهيـة و العلـوم الإنسـانية "علـم التـاريخ مثالا"أحمـد السـعيدي** ، دوريـة كـان التاريخيـة، المملكة المغربية، السنة الثانية ،عدد06 ذو الحجة 1430هـ/ ديسمبر كانون الأول2009م

9/ **البربر** ،عثمان الكعاك ، مجلة "تاوالت " الثقافية ،المغرب، عدد 03 ، 2012 م

10/ **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية**، حسين مؤنس، مدريد ،مج 5، عددان 1و2

11/ **كتـب الفتـاوى و قيمتهـا الإجتماعيـة "مثـال نـوازل البرزلـي"** ، سـعد غـراب ، مركـز الدراسـات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية ، مصر، القاهرة، ،1975م

12/ **سـتوديا اسـلاميكا** ،مركـز البحـوث الاسـلامية و الاجتماعيـة ،جامعـة شـريف هدايـة الله ،جاكرتـا ،اندونيسيا ، عدد32 ، 1970م

13 / **الصـلات الفكريـة بـين تلمسـان والمغـرب**، ابـراهيم حركـات، مجلـة الأصـالة ،الجزائـر، عـدد26 ، 1395 هـ، 1975م

، ط03

14/ **الجاليـة الأندلسـية بـالجزائر ،مسـاهمتها العمرانيـة و نشـاطها الاقتصـادي و وضـعها الاجتماعي**،ناصر الدين سعيدون، مجلة أوراق مدريد، إسبانيا، عدد 04، 1981م

15/ **الهجـرة الهلاليـة و إشـكالية إنحطـاط حضـارة المغـرب الإسـلامي الوسـيط** ، عـلاوة عمارةمجلـة الأداب و العلـوم الإنسـانية ، جامعـة الأمـير عبـد القـادر ،قسـنطينة، الجزائـر، عـدد04، 1425هـ/2004م

16/ **الحـراك التنصـيري فـي الأقـاليم الافريقيـة** ، كمـال محمـد جـاه الله ، مجلـة قـراءات افريقيـة ، المنتـدى الإسلامي ، بريطانيا، عدد10، شوال –ذي الحجة، /أكتوبر –ديسمبر 2011 م

17/ **حضـارة المغـرب فـي عهـد الرومـان** ، مجلـة دعـوة الحـق ،وزارة الأوقـاف و الشـؤون الإسـلامية ، المملكة المغربية ،عدد 66

18/ **التعـايش السـلمي للمسـلمين مـع أهـل الذمـة فـي الدولـة المرابطيـة فـي عصـر يوسـف بـن تاشـفين**،إيمـان عبـد الـرحمن حسـن العثمـان مجلـة كليـة العلـوم الإسـلامية ، الموصـل ، العـدد 02/15، 1435هـ/2014م

19/ **المرابطـون و سياسـة التسـامح مـع نصـارى الأنـدلس** ،إبـراهيم القـادري بوتشـيش ، مجلـة دراسـات أندلسية ، تونس، رجب 1414هـ/ 1994م، عدد 11

20/ **الديانة عند الأمازيغين** ،جميل حمداوي، مجلة المثقف، العراق ، عدد 20، أفريل 2014م

21/ **متصـوفة بلـدان السـاحل الإفريقـي و موضـوع الـولي و الولايـة** ، الحمـدي أحمـد ، مجلـة الحضـارة الإسلامية ، جامعة وهران ،الجزائر ، ،عدد 16، ماي 2012م،

22/ **مفهـوم الأقليـات و عوامـل نشـوئها**،بشـير شـايب المجلـة الإفريقيـة للعلـوم السياسـية ، عـدد 12 ،الجزائر، 2012م

23/ **يهـود الأنـدلس فـي ظـل الحكـم الإسـلامي** ، هشـام فـوزي عبـد العزيـز، مجلـة دراسـات أندلسـية، المغاربية للنشر و التوزيع، تونس، عدد15 ،1416هـ/1996م

24/ **اللبـــاس الـــديني الرمزيـــة المعرفيـــة و الإجتماعيـــة** ،بومـــدين بوزيد،مجلـــة الدوحـــة، وزارة الثقافـــة و الفنون ،قطر، عدد66، أبريل 2013م

25/ **مظـاهر مـن العـادات الإجتماعيـة فـي اللبـاس و الزينـة لـدى المـرأة بـوداي سـوف أواخـر القـرن 19م** ، الجبـاري عثمـاني ، مجلـة الدراسـات و البحـوث الإجتماعية،جامعـة الـوادي، عـدد02، نـوفمبر 2011 م

26/ **أزيـاء المجتمـع الأندلسـي مـن 92هـ إلـى 625هـ**،ثريـا محمـود عبـد الحسـن، مجلـة كليـة الآداب ،جامعة ديالى، العراق،2008م، عدد102

27 / **مـن تـاريخ المـاء و أسـاليب الـري و التوزيـع بمـراكش**، حسـن جـلاب، مجلـة دعـوة الحـق ،المغـرب، عدد 265،

28 / **ميكروسوسـيولوجيا الجريمـة مـن خـلال الممارسـات السـحرية و الشـعوذية** ،سـعيد الحسـين عبدولي ، ،مجلة الدراسات و البحوث الإجتماعية ،جامعة الوادي، الجزائر، عدد05، فيفري 2005م

29/ **الأسـاطير و المعتقـدات بـالمغرب** ، بـول باسـكون المجلـة الإفريقيـة للإقتصـاد و الإجتمـاع، B.E.S.M ، عدد 166، كانون الثاني 1986 م

30/ **تلمسان موطن السحر و الشعر**،جلول بدوي، الأصالة عدد26 ، الجزائر ،1974م

31/ **المعيـار و الهويـة و الحـوار"قـراءة فـي التجربـة التاريخيـة للمغـرب الإسـلامي"**، آحميـدة النفـير ، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، الإمارات العربية المتحدة ،دبي ، عدد14 ، 1996م

32/ **ملامـح عـن واقـع الأقليـات فـي المغـرب الإسـلامي** ،نـور الـدين طوابـة ، ،مجلـة آفـاق الثقافـة و التراث،الامارات العربية المتحدة ، عدد59، 2007م

33/ **حقـوق الأقليـات غيـر المسـلمة فـي المجتمـع الإسـلامي** ،حمـد الروكـي ، مجلـة آفـاق الثقافـة و التراث ، عدد27 ،28، 2000م

34/ **الصحراء المغربية عبر التاريخ**، مجلة دعوة الحق، وزارة الشؤون الاسلامية المغربية، عدد 168

35/ **الشـيخ بـن عمـر التنلانـي و منهجـه فـي تلخـيص الـدر المصـون للسـمين الحلبـي** ، مـزيلخ عاشورمجلة التراث العربي ، دمشق، عدد107، 2007م،

36/ **البتـر و البـرانس و المظهـر الإجتمـاعي لسـكان المغـرب**، موسـى لقبـال ، مجلـة الأصـالة ،الجزائر،عدد 24، أفريل 1975م

37 / **واقـع اليهـود فـي المغـرب الأوسـط مـن خـلال النصـوص الفقهيـة المالكيـة** ،سناء عطابي، مجلة الأداب و العلوم الإنسانية ،جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة ، عدد12، 2011م

38/ **موقـف الشـيخ المغيلـي مـن يهـود تـوات** ،مقلاتي عبد الله ، ،مجلة الحقيقة ،عدد 06، 2005م، جامعة أدرار

39/ **الآخـر و الهويـة و التـراحم قـراءة فـي التجربـة التاريخيـة للغـرب الإسـلامي** ،أحميدة النفير، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، عدد27، 1425هـ /2004م

40/ **الحـوار النصـراني الإسـلامي** ،محمد عبد الله السحيم ، مجلة كلية دار العلوم ،جامعة الفيوم ،عدد 19، يونيو 2008م

41/ **الجـدل الـديني فـي الأنـدلس** ، عبد الله بن إبراهيم العسكر ، مجلة التاريخ ، جامعة الملك سعود ، عدد15 ،1429هـ/2008م

42 / **تحديـد وضـعية عبيـد تـوات مـن خـلال الكشـف و البيـان لاصـناف مجلـوب السـودان لاحمـد بابـا التنمبكـي**، الحمدي احمد ، ، مجلة الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران، الجزائر عدد 22و 23 ، رجب 1435هـ/ماي 2014م

43/ **كتـب النـوازل مصـدراً للدراسـات التاريخيـة والقانونيـة**، أنور محمود زناتي ، مجلة الشريعة و القانون،المملكة المغربية ، جوان 2012،عدد12

44/ **كتـب النـوازل بـين الاسـتعمال الفقهـي و التوظيـف التـاريخي –المعيـار المعـرب نموذجـا–**، سعيد كربوع، مجلة علوم الانسان و المجتمع ،جامعة بسكرة، مارس 2014م،عدد09

45/ **أهميـة النـوازل فـي الدراسـات الفقهيـة والاجتماعيـة والتاريخيـة**، إسماعيل الخطيب، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، رمضان 1416/ فيفري 1996م ، عدد 316

المذكرات الجامعية :

1/ **جوانـب مـن الحيـاة الإجتماعيـة و الثقافيـة للصـوفية و المتصـوفة مـن خـلال نـوزال و فتـاوى الغرب الإسلامي** ،ناجي لخضر، ماجستير، جامعة الجزائر ، 1431هـ/2010م

2/**ضوابط الفقه النوازلي** ،نورالدين حمادي ، دكتوراه، جامعة الجزائر ، 1429هـ/2008م

3/ **الحيـاة الإجتماعيـة و الإقتصـادية بالأنـدلس مـن خـلال النـوازل الفقهيـة فـي القـرنين 05و06هـ /11-12م** ،عبد العزيز حاج كولة ، ر ماجستير ،جامعة الجزائر02 ،2010/2009م

4/ "**المـنهج الفـائق و المنهـل الرائـق و المعنـى اللائـق بـآداب الموثـق و أحكـام الوثـائق**" ،طوهـارة فؤاد ، ماجستير ، جامعة منتوري ،قسنطينة ،2011م

5/ **أصـول فتـاوى أبـي العـابس الونشريسـي فـي العيـار المعـرب**،عفيفـة خـروبي ، دكتـوراه، جامعـة الجزائر، 2006م

6/ **أهـل الذمـة بالأنـدلس فـي ظـل الدولـة الأمويـة** ، محمـد الأمـين ولـد آن ، ماجسـتير ، جامعـة وهـران، 2005م /2006م

7/ **الدوناتيـة و ثـورات القـرن الرابـع فـي شـمال إفريقيـا** ،خديجـة منصـوري، ماجسـتير ،جامعـة وهـران، 1987/1986م

8/ **المغـرب و الأنـدلس فـي عصـر المـرابطين دراسـة إجتماعيـة و اقتصـادية**، عيسـى بـن الـذيب ، دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009/2008م

9/ **اللبـاس التقليـدي التلمسـاني بـين الهويـة الثقافيـة و المـردود الإقتصـادي**،بـن سـعدون فريـد ،ماجستير ،جامعة تلمسان، 2011/2010م

10/ **واقـع الأقليـات الدينيـة فـي المغـرب الإسـلامي مـن خـلال نـوزال الونشريسـي** ، لخضر سعيداني، ماجستير ، جامعة وهران

2013/2012م،

11/ **جهـــود فقهـــاء المغـــرب العربـــي فـــي بنـــاء النظـــام السياســـي و الإســـلامي بـــين ســـنة 633هـ/922هـ** ،سليمان ولد خال ، دكتوراه ،جامعة الجزائر، 2009/2008م

12/ **الدولـة المرينيـة علـى عهـد السـلطان يوسـف بـن يعقـوب المـرين**ي، دراسة حضارية سياسية، نضال مؤيد ، رسالة دكتوراه ، جامعة العراق، صفر 1425هـ/2004م

13/ **آثـار الشخصـية الاعتباريـة للوقـف ،سـفيان شـبيرة** ، رسالة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر ،قسنطينة ، 2011/2010م

14/ **حاضرة توات المالكية**، زهير قزان، ،ماجستير، جامعة أدرار، 2011/2010م

15/ **الـدور الفكـري لمحمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي لإقليمـي تـوات و السـودان الغربـي خـلال القرن 09هـ/15م**،عائشة بوشقيف، ماجستير ،جامعة تلمسان، 2013/2012م

16/ **الحركـة العلميـة فـي إقلـيم تـوات خـلال القـرون 08-10هـ** ،سالمي زينت، ماجستير ،جامعة تلمسان، 2011م/2012م

17/ **محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي و مسـاهمته فـي الثقافـة الإسـلامية فـي غـرب إفريقيـا 823هـ/909هـ**،بوغرارة نبيلة ، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة، 2004/2003م

18/ **ظـاهرة الإهتمـام باللبـاس عنـد الشـباب الجـامعي** ،بوتقرابت رشيد ، ماجستير ،جامعة الجزائر2، 2007/2006م

الملتقيات :

1/ **فقـــه النـــوازل فـــي المدرســـة المالكيـــة** ، نـــور الـــدين حماديـــالملتقى الـــوطني الثـــاني :جهـــود الفقهـــاء الجزائـــريين في خدمـــة المـــذهب المـــالكي،06و07مـــارس 2012 ،جامعة الوادي ،الجزائر،ج1

2/ **النـــوازل المغربيـــة و دورهـــا فـــي حفـــظ فتـــاوى أعـــلام المـــذهب المـــالكي بـــالقيروان**،الحســـن الـــزين الفـــيلالي، ملتقـــى:القيروان مركـــز علمـــي مـــالكي بـــين المشـــرق و المغـــرب حـــتى نهايـــة ق5هـ ، مركـــز الدراســـات الإســـلامية، القـــيروان ،تـــونس،1995م، ط01

3/ **صـــحن المســـجد و دروه فـــي إحيـــاء العمـــارة التقليديـــة فـــي المســـاجد المعاصـــرة** ،عبـــد الكـــريم حســـن محســـن، مـــؤتمر العمـــارة الإســـلامية بالشـــام، جامعـــة غـــزة الإســـلامية، فلسطين، 2008م

4/ **أهميـــة القضـــاء فـــي الإســـلام** ،عـــاطف محمـــد أبـــو هربيـــد ، يـــوم دراســـي حـــول ديـــوان المظـــالم و دروه في تحقيـــق العدالـــة في المجتمـــع ،الجامعـــة الإســـلامية غـــزة، فلســـطين ، 2012 م

5/ **صـــحوة المغيلـــي و ثورتـــه ضـــد يهـــود تمنطـــيط** ، مبـــارك فضـــيلة ، ملتقـــى "إســـهامات علمـــاء تـــوات في الحركـــة الفكريـــة و الثقافيـــة إبـــان العصـــر الحـــديث (2000/1500م) ،جامعة أدرار، 2010م،

المواقع الالكترونية :

1/ أقاليم الجزيرة العربية، موسوعة ويكيبيديا ، wikipedia.org

2/رشيد آكشار، تاريخ الوثنية في المغرب و قوة تأثيرها على ممارسة المغاربة ، هبة برس، المغرب ،عدد 658 ، 2013م

3 / التجارة و الصناعة في الأندلس، مركز دراسات أندلسية و حوار الحضارات، موقع : www.andalusite.ma

4/ عبد الوهاب الميري، اليهود و اليهودية، موقع : www.elmessiri.com

5/ www.skirege.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الملخص

تعتبر نوازل الونشريسي من بين أهم المدونات الفقهية النوازلية في المغرب الإسلامي ، فقد شملت عدة فتاوى و قضايا تتعلق بالحياة الاجتماعية و الدينية و الاقتصادية لمجتمع المغرب الأوسط حيث استطاع الونشريسي أن يدوّن تلك النوازل معتمدا على نوازل أخرى كنوازل المازوني . لازالت النوازل الفقهية حاضرة في مختلف الابحاث التاريخية الخاصة بالمجتمعات المسلمة رغم أنها فقهية ، ولعل مما تناولته نوازل الونشريسي فئة أهل الذمة داخل مجتمع المغرب الأوسط ، حيث تركت لنا تلك النصوص الفقهية ارثا كبيرا لتلك الفئة ، سواء من الناحية الدينية المتمثلة في ممارسة الشعائر الدينية او الناحية الاقتصادية كالمعاملات المالية أو الناحية الاجتماعية كالعادات و التقاليد ، اضافة الى التفاعل الحاصل بين المسلمين و النصارى و اليهود داخل رقعة المغرب الأوسط فكل هذا سمح للونشريسي أن ينقل لنا صورة واقعية للمجتمع في فترات مختلفة حددتها طبيعة النازلة و مكانها ، اضافة الى ذلك حفلت النوازل على مجموعة من الوقائع الخارجة عن أهل الذمة و التي تخص المجتمع الإسلامي ، و التي تحتاج الى اعادة قراءة لإعادة رسم الواقع السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي لمنطقتنا و فهم الواقع انطلاقا من الماضي .

الكلمات المفتاحية :

النوازل؛ الفتاوى؛ المغرب الأوسط؛ الونشريسي؛ أهل الذمة؛ الأقلية الدينية؛ النصارى؛ اليهود؛ المغرب الإسلامي؛ الشعائر الدينية.

نوقشت يوم 17 فبراير 2015